سيباستيان فيتزيك

Die Therapie

جلسة علاجية

لا شهود
لا آثار
لا جثة!

أكثر من **ثمانية ملايين** نسخة مباعة

رواية

ترجمة: بسمة الخولي

بيت الكتب

مكتبة
كل الجلسات مجانية

إهداء لـ ..

ورد الحديقة

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

جلسة علاجية

الكتاب: جلسة علاجية

المؤلف: سيباستيان فيتزيك

ترجمة: بسمة الخولي

تحرير: نيرمين العاصي

تصميم الغلاف: أحمد فرج

التنسيق الداخلي: ضياء فريد

التدقيق اللغوي: حمودة المصري

رقـم الإيـداع: 20003/ 2024

الترقيم الدولي: 978-977-9613-17-8

Email: bayt.alkotob.publishing@gmail.com

Website: www.thebookhome.com

Mobile: +20 1098620135

facebook: baytalkotob.publishing

Instagram: bayt.alkotob.publishing

مكتبة

t.me/soramnqraa

21 6 2025

جلسة علاجية

سيباستيان فيتزيك

مكتبة
t.me/soramnqraa

ترجمة

بسمة الخولي

«رواية غامضة غير قابلة للتصديق إلى حدٍّ كبير، ولكنها ساحرة في الوقت نفسه، تدور الأحداث في اتجاهات غير متوقعة».

لوس أنجلوس تايمز

«كتاب إثارة نفسية مشوق للغاية، قراءة ذكية وسريعة ومثيرة ستبقى معك لفترة طويلة».

موقع أمازون

من أجل تونغا هاورث

مقدمة

حين دقت الساعة الدقيقة الثلاثين، أدرك أنه لن يرى ابنته مرة أخرى.

فتحت جوزفين الباب، وانزلقت إلى داخل مكتب الرجل العجوز بعد أن ألقت حولها نظرات خاطفة.

طفلته الصغيرة ذات الاثني عشر ربيعًا رحلت إلى الأبد.

علم عن يقين مريع داخله أنه لن يحصل على مزيد من الابتسامات بعد الآن أثناء حملها لفراشها، لن ينتظرها لتغفو لكي يتمكن من إطفاء مصباحها بجانب السرير، لن يستيقظ في الليل مرة أخرى، مُنتزعًا من أحلامه بسبب صرخاتها المذعورة.

كان الإدراك مدمرًا ومفاجئًا، ضربه بقوة شاحنة مسرعة. وقف فيكتور لارينز ببطء، لكن ساقيه بدتا كأنهما تلتصقان بالمقعد، تحذره من الاعتماد على دعمهما. تخيل نفسه ينزلق إلى الأرضية الخشبية ذات الخدوش ليستلقي في غرفة الانتظار، محصورًا بين ربة المنزل البدينة المصابة بالصدفية وطاولة القهوة المكدسة بالمجلات القديمة.

شعر وكأنه على وشك الإغماء، لكن حتى هذه الرحمة الصغيرة حُرِمَ منها. كان عقله لا يزال يقظًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«سيُستدعى المرضى وفقًا لجدية حالتهم، ليس بترتيب وصولهم».

حملق بالباب المبطن بالجلد، والحروف المكتوبة على اللافتة الصغيرة تتمايل أمام عينيه.

الدكتور جرولكي -أخصائي الحساسية- كان صديقًا للعائلة والطبيب الثاني والعشرين في قائمة فيكتور. حتى الآن، لم يتمكن واحد وعشرون طبيبًا من تشخيص حالة جوزي، لقد حيرت حالتها الجميع.

في ذلك اليوم الذي شهد تقديم هدايا عيد الميلاد، استُدعي أول طبيب- وهو طبيب طوارئ- إلى منزل العائلة في شوانفيردر، وكان ذلك قبل مرور أحد عشر شهرًا بالضبط. كانت جوزفين قد تقيأت في الليل وتعاني من الإسهال. ظنوا في البدء أن معدتها قد اضطربت من الفوندو الذي احتوى على ثلاثة أصناف من الجبن، الذي تناولوه في إجازة عيد الميلاد، ولكن في النهاية اتصلت إيزابيل بخط الرعاية الصحية الخاص بهم، بينما حمل فيكتور ابنته في ثوبها الليلي الخفيف إلى غرفة المعيشة. تذكر كيف بدت ذراعاها ضعيفتين؛ واحدة ملتفة حول عنقه تستمد منه الدعم، والأخرى تمسك بدميتها المفضلة، قطة زرقاء ناعمة تُدعى نيبوماك. أمام نظرات الأقارب المجتمعين، استمع الطبيب إلى أنفاسها الضعيفة، وعلق لها محلولًا معالجًا قبل أن يصف لها وصفة طبيعية.

قال الطبيب حينها:

- التهاب بالمعدة والأمعاء، إنه منتشر للأسف. ستتحسن في وقت قصير. وبحلول نهاية الأسبوع ستكون بحال أفضل كثيرًا.

ثم غادر تاركًا إياهم وقد اعتقدوا أنها ستتحسن بالفعل، ما كان عليهم تصديقه.

***

توقف فيكتور خارج باب الدكتور جرولكي. وجد مقبض الباب المعدني الثقيل يقاوم محاولاته الحثيثة للدخول.. هل أرهقته الساعات القليلة الماضية إلى هذا الحد؟ تساءل عن ضعفه، ثم أدرك أن الباب كان موصدًا من الداخل. لماذا يُغلق أحدهم الباب هكذا؟

دار فيكتور حول نفسه، ورأى الغرفة في سلسلة من الذكريات التي انبثقت ثم توالت في وعيه:

صورٌ ذات إطار لإيرلندا على الجدار، شجرة مطاط تذبل في زاوية مغبرة بجانب النافذة، مريضة بالصدفية لا تزال تنتظر رؤية الطبيب. أعطى المقبض دفعة أخيرة غاضبة وتعثر في طريقه إلى خارج غرفة الانتظار، إلى الممر نحو البهو المزدحم بشكل لا يصدق. حتى يُخيل للمرء أن جرولكي هو الطبيب الوحيد في برلين.

تقدم فيكتور نحو مكتب الاستقبال، متجاوزًا في طريقه مراهقًا ذا وجه مليء بالبثور، يفترض أنه ينتظر وصفة طبية.

كانت موظفة الاستقبال وجهًا مألوفًا له من زياراته السابقة، وشعر بالارتياح لرؤيتها في المكتب. قبل نصف ساعة عندما وصل هو وجوزي إلى العيادة، وقف شخص غريب مكانها، لكن الآن ها قد عادت ماريا لمكانها. في أوائل العشرينيات من عمرها وقوية كحارسة مرمى، لكن لديها ابنة هي الأخرى؛ مما جعل فيكتور يعتمد على تفهمها ودعمها.

***

- أرغب في أن تفتحي باب المكتب.

طلب بصوت جاء آمرًا أكثر مما نوى.

- صباح الخير د. لارينز، تسعدني رؤيتك مجددًا.

تعرفت ماريا على الطبيب النفسي على الفور تقريبًا. لم يذهب للعيادة منذ فترة، لكنها اعتادت رؤية وجهه على شاشة التلفاز وأغلفة المجلات. وسامته مع قدرته على شرح التفصيلات الخاصة بالأمراض النفسية بطريقة سهلة وسلسة جعلته ضيفًا مفضلًا في البرامج الحوارية.

لكن في هذا الموقف الآن بالذات، تعسر على الدكتور لارينز الشرح!

- أطالبكم برؤية ابنتي.

حدق المراهق بالرجل الذي اقتحم الصف من توه، ولأنه استشعر المتاعب الوشيكة تراجع خطوة للخلف. وبدورها بدا

الضيق على ماريا، لكنها واصلت الاحتفاظ بالابتسامة المميزة لموظفة استقبال وقالت:

- أخشى أنني لا أفهم ما تقصد د. لارينز.

رفعت ماريا يدها تلقائيًّا لتتحسس حاجبها الأيسر؛ حيث استقر الحلق الدائري الذي لمسته كلما شعرت بالتوتر. والذي لم يكن هنا الآن بناء على طلب الطبيب جرولكي، الذي استمد الفخر من كون عيادته على الطراز التقليدي.

- هل لدى جوزفين موعد؟

كاد فيكتور أن ينفجر في وجهها، لكنه أعاد التفكير وبقي هادئًا. بالطبع كان لديهم موعد، لقد حجزت إيزابيل، وحمل هو جوزي إلى العيادة، متبعًا الروتين المعتاد.

في السيارة - في وقت سابق- وجهت له جوزي سؤالًا:

- أبي، من هو طبيب الحساسية؟ هل هو من يصف حالة الطقس؟

- لا عزيزتي، ما تقصدينه هو خبير الأرصاد.

راقبها عبر المرآة الأمامية متمنيًا لو أنه يستطيع التربيت على شعرها الأشقر. بدت هشة للغاية، وكأنها ملاك منقوش على ثوب حرير ياباني.

- أطباء الحساسية هم من يطببون الأشخاص الذين يمرضون حين يَمسّون مواد معينة.

- هل هذا هو ما أعانيه؟

- ربما

ثم أضاف في نفسه: «دعينا نتمنى ذلك»، معتبرًا أي تشخيص نقطة بداية جيدة..

سيطر مرض جوزفين وأعراضها الغامضة على مسار حياتهم بالكامل. مضت ستة أشهر منذ آخر مرة ذهبت فيها إلى المدرسة؛ حيث كانت تشنجاتها مزعجة ومفاجئة لدرجة أنها لم تعد تستطيع الجلوس في الفصل مع أقرانها. بالنسبة لإيزابيل، عنى ذلك بالطبع العمل بدوام جزئي للإشراف على تعليم جوزي في المنزل. أما فيكتور فقد أغلق عيادته في شارع فريدريش ليتفرغ للاعتناء بابنته، أو بشكل أدق بأطباء ابنته. الأسابيع القليلة الماضية ضاعت في دوامة لا تنتهي من المواعيد والاستشارات، ولم يحصلوا على معلومة مفيدة منها. لم يستطع أحد فهم نوبات جوزي، أو قابليتها للإصابة بالعدوى أو نزيف أنفها الليلي. كل فترة تهدأ الأعراض أو تختفي لفترة طويلة بما يكفي، تبدأ الأسرة في بناء الأمل، لكن المرض يعود ليهاجم فجأة وفي أغلب الوقت بقوة أكبر من ذي قبل. حتى الآن، لم يتمكن الأطباء وأخصائيو الدم والأعصاب سوى من استبعاد السرطان والإيدز والتهاب الكبد ومجموعة من الأمراض، حتى إن طبيبًا أجرى اختبارات للملاريا، وجاءت النتائج سلبية.

***

- د. لارينز؟

قطع صوت ماريا حبل أفكاره وأعاده للعيادة؛ ليدرك أنه كان يحدق بها بفم مفتوح.

- ماذا فعلتم بها؟

عاد صوته له من جديد بصورة مفاجئة، كل كلمة خرجت بصوت أعلى من سابقتها.

- أعتذر د. لارينز، أنا لا أفهم..

- ماذا فعلتم بجوزفين!

توقف المرضى عن الحديث حين رن سؤال فيكتور في الغرفة.

كان من الواضح من تعبير وجه ماريا أنها تتساءل عما يجب فعله. كان السلوك المتقلب متوقعًا في العيادة؛ لأن أبواب جرولكي فُتحت لأي شخص راغب في تحديد موعد، ولأن العيادة وقعت على بعد خطوات قليلة من حيث العاهرات ومدمني المخدرات في شارع ليتزينبورغر.

في بعض الأحيان، بدا وكأن الجزء المشبوه من المدينة قد انتقل إلى الردهة، وفي أحيان كثيرة وجدت ماريا نفسها في مواجهة مع بائعي هوى هزيلين، لا يهتمون بالأكزيما ولكنهم بحاجة إلى مخدر.

لكن الدكتور فيكتور لارينز يمثل مشكلة من نوع مختلف تمامًا؛ أولًا: لم يكن يرتدي بنطلونات رياضية قذرة أو قميصًا مليئًا بالثقوب، كان وجهه خاليًا من البثور النازفة وقدماه أنيقتين جدًّا على أن يرتدي حذاء رياضيًّا مهترئًا، في الواقع كان هناك شيء

مميز مثير للإعجاب في بنيته النحيلة؛ وضعية وقوفه المستقيمة، كتفاه العريضتان، جبهته العالية وذقنه الحازم. كونه من برلين منذ ولادته ونشأته، أخطأ الكثيرون قبلًا في أحيان عدة في الاعتقاد بأنه أحد النبلاء من الشمال، وكان فقط نقص الشيب في صدغيه وأنفه الكلاسيكي يمنعانه من الظهور كرجل ألماني من سلالة نبيلة. ومع ذلك، شعره البني المجعد الذي اعتاد أن يطيله أكسباه مظهرًا جذابًا سلسًا، بالإضافة إلى أنفه المعوج الذي يذكره بشكل مؤلم بحادث إبحار. كان في الثالثة والأربعين من عمره، لكن عمره كان غير محدد، ومظهره كان يترك القليل من الشك في أنه رجل يستخدم مناديله الخاصة المنقوشة بالأحرف الأولى من اسمه ولا يحمل نقودًا معدنية. ربما كانت بشرته شاحبة بعض الشيء، لكن ذلك كان علامة على طبيب مرموق ذي مهنة مزدحمة. كل هذا زاد من حَيْرة ماريا.

كل الأطباء النفسيين المرموقين الذين ينفقون ثروة صغيرة على البدلات المصممة خصوصًا لهم -لديهم نفور طبيعي من إحداث جلبة، لكن الدكتور فيكتور لارينز كان يصرخ بشكل هستيري ويلوح بذراعيه. وماريا غير قادرة على فهم هذا الانفجار، ولم تكن لديها فكرة عما يجب فعله.

***

- لارينز!

استدار فيكتور نحو الصوت الأجش. خرج الدكتور جرولكي من مكتبه معتذرًا وقد انتبه للجلبة، ارتسم القلق على وجهه:

- هل هناك مشكلة؟

يبدو أن هذا السؤال زاد من غضب فيكتور:

- ماذا فعلت بجوزي؟

تراجع الدكتور جرولكي بخوف. عرف عائلة لارينز منذ ما يقرب من عشر سنوات، لكنه لم يرَ فيكتور بهذا الشكل من قبل:

- اسمع لارينز، يا صديقي، لماذا لا تدخل إلى مكتبي ونستطيع...

لكن فيكتور لم يعد يستمع. كانت عيناه مثبتتين على باب المكتب الذي تركه أخصائي الحساسية مفتوحًا. انطلق راكضًا، ودفع الباب بقدمه، ليصطدم بعربة تحتوي على أدوات طبية في أوانٍ زجاجية. كانت المرأة المصابة بالصدفية مستلقية على الأريكة، والجزء العلوي من جسدها مكشوفًا، وفي لحظة الصدمة نسيت تغطية ثدييها.

- ما مشكلتك لارينز؟!

صرخ الدكتور جرولكي، لكن فيكتور كان قد خرج من الغرفة يركض في الممر:

- جوزي!

عاد يركض محاولًا فتح كل باب.

- جوزي! أين أنت؟
- دكتور لارينز، من فضلك!

أسرع الطبيب العجوز خلفه بأقصى ما يستطيع، لكن فيكتور الذي فقد عقله في تلك الأثناء تجاهل توسلاته.

- ماذا عن تلك الغرفة؟

تساءل وهو يحاول فتح آخر باب رفض الانصياع له.

- يحوي مواد تنظيف لا شيء آخر، عامل النظافة يملك المفتاح.
- افتح الباب.

صرخ فيكتور وهو يحرك المقبض بعنف كرجل ممسوس.

أمسك الدكتور جرولكي بذراعيه بقوة مفاجئة:

- اهدأ، لارينز! عليك أن تستمع لي، ابنتك ليست في تلك الخزانة. قامت المنظفة بإغلاقها هذا الصباح ولن تعود حتى الغد.

كان فيكتور يتنفس بصعوبة. استمع إلى الكلمات دون أن يستوعب معناها.

أرخى الدكتور جرولكي قبضته وأمسك بكتف فيكتور وقال:

- دعنا نتعامل مع هذا بشكل منطقي. متى كانت آخر مرة رأيت فيها ابنتك؟
- منذ نصف ساعة، تركتها في غرفة الانتظار ودخلت إلى مكتبك.

هز الرجل العجوز رأسه في حَيْرة ونظر إلى ماريا التي تبعتهم من الردهة لتخبر مديرها:

- لم أرَ جوزفين، لم يكن لديها حجز اليوم.

رغب فيكتور في الصراخ عليها قائلًا: «هراء!» أمسك رأسه.

- أعلم بالتأكيد أن إيزابيل حجزت الموعد. وصلنا إلى هنا هذا الصباح قبل أن تبدأ ماريا في العمل. قال لنا الرجل في الاستقبال أن ندخل وننتظر. كانت جوزي متعبة وضعيفة؛ لذا ذهبت لجلب بعض الماء، وعندما عدت كانت...

- رجل؟ فريق الدعم لدينا كله من النساء.

قال جرولكي.

نظر فيكتور إليه بعدم تصديق، ما زال يحاول استيعاب ما يسمعه.

«لم أرَ جوزي طوال الصباح، لم يكن لديها موعد».

كادت كلمات الطبيب تُمحى بسبب صوت عالي التردد وصل إلى آذان فيكتور من بعيد، يزداد ارتفاعًا وقوة كلما اقترب.

- لم ترها؟! بالطبع رأيتها. كنت في طريقي لجلب الماء عندما دعاها الرجل في الاستقبال. وعدْت جوزي بأنها يمكنها رؤيتك بمفردها. إنها في الثانية عشرة الآن وتحب بعض الاستقلالية، حتى إنها تقفل باب الحمام على نفسها، على أي حال، عندما عدت ولم تكن في غرفة الانتظار افترضت أنها معك.

أدرك فيكتور أنه لم يقل كلمة واحدة، كان فمه مفتوحًا وعقله يسابق الزمن، لكن الأفكار كانت محبوسة داخل رأسه. نظر حوله بلا حول ولا قوة، شاعرًا كما لو أن العالم يتباطأ. أصبح الصوت أكثر حدة، وأكثر إيلامًا، حتى بالكاد استطاع سماع الأصوات حوله. وبدا أن الجميع يخاطبونه في آن واحد: ماريا، الدكتور جرولكي، حتى بعض المرضى.

- لم أرَ جوزي منذ ما يقرب من عام.

كان هذا آخر ما سمعه فيكتور بوضوح. للحظة عابرة، أصبح كل شيء واضحًا، مثل الحالم حين يصير على وشك الاستيقاظ، لمح الحقيقة المُرة. مرض جوزي والألم الذي عذبها طوال الأحد عشر شهرًا الماضية. كان يعرف ما حدث، يعرف ما فُعل بها، وبمعدة متقلصة، كان يعرف أنهم سيأتون خلفه أيضًا. عاجلًا أم آجلًا سيصلون إليه، كان يعلم ذلك بيقين لا يتزعزع، لكن اللحظة مرت وهربت الحقيقة الرهيبة منه، واختفت كما تختفي قطرة ماء واحدة في فيضان.

رفع فيكتور يديه إلى رأسه. كان الصوت الحاد يقترب أكثر فأكثر، مؤلمًا ومزعجًا، أكثر مما يمكنه تحمله.

بدا كأنه صرخة حيوان معذب، وليس صرخة إنسانية، انقطع الصوت بعد فترة، عندما أغلق فمه أخيرًا.

***

1

بعد مضي سنوات

لم يتوقع قطّ بأن يصير الوضع معكوسًا. يومًا ما، كانت الغرفة التي استقر بها الآن جناحًا خاصًّا بسيطًا في عيادة فيدينغ للطب النفس-جسماني في برلين. اعتاد تكريس هذه الغرفة لأصعب مرضاه، ولكن الآن وجد الطبيب النفسي البارز الدكتور فيكتور لارينز نفسه مقيدًا إلى السرير الهيدروليكي الضيق، وجد ساقيه وذراعيه مُحكمتي القيد بأشرطة مرنة رمادية.

لم يزره أي شخص طوال الوقت الذي قضاه هناك؛ لا أصدقاء، ولا زملاء سابقين، ولا عائلة. كانت الوسيلة الوحيدة للتسلية -إلى جانب مراقبة ورق الحائط الأصفر المقشّر، والستائر البنية الملطخة بالدهون، والسقف الملطخ بالماء- هي زيارة الطبيب مارتن روث -استشاري الطب النفسي الشاب في العيادة- مرتين يوميًّا.

لم يطلب أحد في الواقع تصريح زيارة، ولا حتى إيزابيل. شرح الدكتور روث الموقف، ولم يستطع فيكتور لوم زوجته السابقة. ليس بعد ما حدث.

- كم مضى منذ توقفت عن إعطائي الأدوية؟

توقف الطبيب النفسي عن فحص قطرات المحلول المعلقة من حامل معدني ثلاثي الشُّعب عند رأس سرير فيكتور:

- منذ ثلاثة أسابيع يا دكتور لارينز.

شعر فيكتور بالامتنان لروث؛ لأنه استمر في مخاطبته بلقبه. على مدار الأيام القليلة الماضية، أجروا عددًا من المحادثات وعامله روث دائمًا باحترام تام.

- كم مضى من الوقت وأنا واعٍ؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

- تسعة أيام بالضبط.

انتظر فيكتور لحظات قبل أن يتابع:

- حسنًا. إذًا متى سيتم الإفراج عني؟

أدت المزحة إلى رسم ابتسامة على وجه الدكتور روث. كلاهما يعرف أن هذا لن يحدث أبدًا. إذا غادر العيادة يومًا ما، فسيكون إلى مؤسسة نفسية أخرى بنظام أمان مشابه.

نظر فيكتور إلى يديه وهز القيود برفق. من الواضح أن العيادة تعلمت من التجربة. جُرد فيكتور من حزامه ورباط حذائه بمجرد دخوله. لم يكن هناك مرآة في الحمام. وفي أثناء رحلاته اليومية المراقبة إلى المرحاض، لم تكن لديه وسيلة لمعرفة إذا ما كان يبدو بائسًا كما يشعر. في مرحلة ما من حياته اعتاد تلقي المديح على مظهره، وعلى جذب الانتباه بفضل كتفيه العريضتين وشعره الكثيف وجسمه المتناسق؛ جسد مثالي لرجل في سنه. في هذه الأيام، جسده المتدهور لم يكن مثيرًا للإعجاب بأي حال من الأحوال.

- قل لي بصدق يا دكتور روث: كيف تشعر وأنت تراني مستلقيًا هنا بهذا الشكل؟

حاول الطبيب النفسي تجنب النظر له مباشرة، وانحنى ليلتقط اللوح عند قدم السرير. بدا وكأنه يتجادل مع نفسه حول ما سيقوله. هل هي الشفقة؟ أم أنه القلق؟

قرر أن يقول الحقيقة.

- أشعر بالقلق.

- لأن الشيء نفسه قد يحدث لك؟

- أفترض أن هذا يبدو أنانيًّا.

- لا، بل شعور صادق. أنا أقدر صراحتك. علاوة على ذلك، لست مندهشًا من شعورك بهذه الطريقة. لدينا الكثير من القواسم المشتركة، بالرغم من كل شيء.

اكتفى روث بالإيماء.

بالرغم من الوضع الحالي، تشابهت حياتا الرجلين في نواحٍ عِدة؛ تمتع كلاهما بطفولة مميزة في بيئة محمية في أحياء برلين الأنيقة: فيكتور المنحدر من سلسلة طويلة من المحامين التابعين لشركات كُبرى، نشأ في وانسي، وروث ابن اثنين من جراحي اليد، نشأ في ويست إند. بعد دراسة الطب في جامعة برلين الحرة، تخصصا في مجال الاضطرابات العقلية. وبصفتهما المستفيدين الوحيدين من وصايا والديهما، استحوذا على ممتلكات العائلة وثروة كبيرة. لكن بدلًا من التقاعد لما تبقى من حياتهما، انتهى بهما المطاف في العيادة كمريض وطبيب، جمعتهما الصدفة أو القدر معًا.

قال فيكتور:

- لا يمكنك إنكار وجود تشابه بيننا، ماذا كنت ستفعل لو أنك مكاني؟

- تقصد: إذا كانت ابنتي واكتشفت من عذبها بهذا الشكل...

أكمل روث ملاحظاته، ووضع اللوح جانبًا ناظرًا في عين فيكتور.

- بصراحة، لا أعتقد أنني كنت سأتمكن من النجاة مما تعرضت أنت له.

ضحك فيكتور بشك.

- لم أنجُ، قضى عليّ، يمكن للموت أن يكون قاسيًا حقًّا.

- ربما بوسعك إخباري.

- عن ماذا؟

لم يكن بحاجة للسؤال، عرف فيكتور ما يعرضه الطبيب النفسي بالضبط؛ لأنهما تحدثا في الموضوع عدة مرات سابقًا.

- كل شيء، أخبرني بالقصة بأكملها. ما حدث لجوزفين، ما سبب مرضها.. لِمَ لا تخبرني بالقصة من البداية؟

- أنت سمعت أغلبها بالفعل.

- أرغب في سماع التفاصيل، خطوة بخطوة، ما حدث، وكيف آلت تلك الأمور لما حدث في النهاية.

النهاية الكارثية.

- أسوأ ما في الأمر هو أنه خلال كل تلك السنوات بعد اختفاء جوزي فكرت في أن لا شيء يفوق سوء عدم معرفة ما حدث. مضت سنوات منذ أن شوهدت للمرة الأخيرة، لا سبب يدفعني للاعتقاد بأنها ما زالت حية. أحيانًا أتوق لمكالمة هاتفية تخبرني بأنه عُثر على جسدها. لا شيء يؤلم أكثر من التعلق بين راحتي القدر، عدم المعرفة والبقاء أسيرًا للظنون، لكنني كنت مخطئًا، هناك ما هو أسوأ.

انتظر روث أن يُكمل.

«الحقيقة أسوأ».

جاء صوت فيكتور أقرب للهمس قبل أن يواصل:

- الحقيقة التي بدأت تلوح لي خيوطها منذ البداية تتسلل إلى عقلي تدريجيًّا، بينما أنا في عيادة الطبيب جرولكي في اليوم الذي اختفت فيه جوزي. كانت حقيقة بشعة، عجزت عن تحملها حتى إن عقلي قرر طمسها. لكن بعد مرور الوقت فرضت نفسها على عقلي من جديد، وتلك المرة عجزت عن تجاهلها. ظهرت الحقيقة جلية وشعرت بالحَيْرة، حقًّا شعرت بالحَيْرة حين تصرخ تلك الحقيقة في وجهي مباشرة.

- ماذا حدث؟

- وجدت نفسي وجهًا لوجه مع الشخص المسؤول عما حدث، وكان هذا أكثر مما يمكنني تحمله. حسنًا، أنت

تعرف أفضل من أي شخص آخر ما حدث على الجزيرة، وما حدث بعدها.

- الجزيرة.

قالها روث متأملًا:

- باركام أليس كذلك؟ لِمَ ذهبت إلى هناك؟

- كطبيب نفسي، عليك أنت أن تجيب عن هذا السؤال.

قالها فيكتور مبتسمًا، ثم واصل:

- حسنًا، دعني أقدم لك روايتي عما حدث؛ طلبت مجلة إخبارية مقابلة حصرية، تواصلت الصحافة معي كثيرًا، بقدر يفوق قدرتي على الحصر. ودائمًا ما رفضت. إيزابيل لم تحب فكرة التحدث إلى وسائل الإعلام. ثم أرسلت بونتي لي بعض الأسئلة عبر البريد الإلكتروني وبدأت أتساءل: ربما سيساعدني إجراء المقابلة على توضيح أفكاري، كنت أرغب في الوصول إلى حل نهائي.

- وظننت أن باركام هو المكان المناسب للتفكير في إجاباتك.

- نعم.

- هل اصطحبك أحدهم؟

- عارضت زوجتي الفكرة، كان لديها مواعيد عمل مهمة في نيويورك ولم ترغب في المجيء. في الواقع، أعجبتني فكرة العزلة. تمنيت أن توفر لي باركام المساحة التي احتجت إليها.

- المساحة اللازمة لتوديع ابنتك.

كان تقريرًا وليس سؤالًا، لكن فيكتور أومأ على أي حال.

- نعم، أعتقد أنه يمكنك صياغتها بهذه الطريقة. على أي حال، وضعت حاجياتي في السيارة، بما فيها كلبي، وانطلقت إلى الساحل. عبرت بالسيارة على عبّارة حتى سيلت، ومن هناك على قارب ركاب إلى باركام . لو أنني علمت فقط ما ينتظرني هناك، لما ذهبت.

مرض جوزفين الغريب، اختفاؤها، المقال في المجلة.

خفض فيكتور ذقنه إلى صدره وأدار رأسه، أصدرت فقرات عنقه صوت قرقعة حين استقرت في مكانها، لم يكن لديه أي وسيلة أخرى للحركة بوضعه هذا مُحكم الربط إلى الفراش.

أخذ نفسًا عميقًا ببطء وأغلق عينيه. لم يستغرق الأمر في المعتاد أكثر من ثوانٍ ليعود عقله إلى باركام؛ إلى الكوخ المسقوف بالقش على الشاطئ، حيث أمل -بعد مرور أربع سنوات كاملة على المأساة التي وقعت- أن تعود حياته إلى مسارها الصحيح.

بحث عن بداية جديدة، حاول أن يجد وسيلة ليحصل على إجابات ناهية ووافية.

لكن هذا كلفه كل ما لديه.

***

2

قبل ظهور الحقيقة بخمس أيام، باركام

بونتي: كيف كانت الأوضاع بعد اختفاء ابنتك؟

لارينز: كالموت. بالطبع، كنت لا أزال آكل وأشرب وأتنفس وأحيانًا أتمكن من النوم لبضع ساعات متواصلة، لكنني لم أعد حيًّا بعد الآن. انتهت حياتي في اليوم الذي اختفت فيه جوزي.

بقي المؤشر في نهاية السطر يومض بثبات أمام فيكتور. كان على الجزيرة لمدة أسبوع يستيقظ مبكرًا، ويعمل حتى الليل على مكتبه المصنوع من خشب الماهوجني العتيق، محاولًا العثور على إجابة للسؤال الأول للمجلة. في ذلك الصباح، نجح أخيرًا في كتابة ثلاث جمل متتالية.

مثل الموت، لم تكن هناك طريقة أخرى لوصف ما شعر به في الأيام والأسابيع التي تلت اختفاء جوزي. أغمض عينيه.

لم يستطع فيكتور تذكر ما حدث بعد المشهد في عيادة الدكتور جرولكي، لم يكن لديه أي فكرة عن أين ذهب، أو مع من تحدث، أو كيف تطورت الأمور في خضم الفوضى التي مزقت أسرته. تحملت زوجته معظم العبء. كانت إيزابيل هي التي بحثت في خزانة ملابس جوزي وعرفت ما كانت ترتديه يوم اختفت. هي

من حملت الأخبار للعائلة والأصدقاء ووجدت صورة مناسبة، وأخرجتها من ألبوم العائلة لتسلمها للشرطة.

في هذه الأثناء، كان زوجها الطبيب النفسي يتجول بلا هدف في الشوارع. واجه الدكتور فيكتور لارينز أزمة حقيقية واحدة فقط في حياته وقد أفقدته القدرة على الاستمرار. تعاملت إيزابيل بشكل أفضل بكثير منذ البداية.

بعد أربعة أشهر عادت إلى العمل كمستشارة إدارية بدوام كامل، بينما باع هو عيادته الخاصة وتقاعد.

صدر صوت صفير عالٍ من الكمبيوتر المحمول، مشيرًا إلى أن طاقة البطارية على وشك النفاد. في ذلك الصباح الأول في المنزل، نقل فيكتور المكتب بعيدًا عن المدفأة ووضعه أمام النافذة. أعطاه ذلك إطلالة بانورامية على البحر، ولكن لم يكن هناك مكان لتوصيل الشاحن. إذا أراد النظر إلى بحر الشمال الجميل الشتوي، كان عليه نقل الكمبيوتر كل ست ساعات إلى طاولة القهوة بجانب المدفأة حيث يمكن شحن البطارية. حفظ الملف بسرعة قبل أن تضيع البيانات إلى الأبد.

تضيع للأبد مثل جوزي.

حطت نظراته على سطح البحر، واستدار فجأة من النافذة؛ خشية أن تكون الأمواج المتلاطمة مرآة لروحه. العاصفة تشتد، الرياح تصفر فوق السقف المصنوع من القش وتثير الأمواج إلى ارتفاعات شاهقة.

لم يكن هناك أي مجال للشك فيما يعنيه هذا. كان شهر نوفمبر يقترب من نهايته والشتاء، بمساعدة حلفائه الثلج والصقيع، قد جاء ليطالب بحصته من العام.

الموت، هذا ما فكر فيه فيكتور وهو يقف ويحمل الحاسوب المحمول إلى طاولة القهوة حيث الشاحن.

كان المنزل - مبنى صغير ذو طابقين - قد بُني منذ عشرينيات القرن الماضي، لم يتطلب اهتمامًا أو إصلاحًا منذ وفاة والدَيْ فيكتور. حافظ هالبيرستاد -رئيس بلدية الجزيرة- على عمل المولدات والكهرباء، وهو ما كان فيكتور ممتنًّا له بصورة كبيرة في مثل هذا الطقس.

لكن وقت طويل مضى منذ أن أقام أي فرد من العائلة في الكوخ الخشبي، ليصير في طريقه لتدهور الحال؛ الجدران بحاجة إلى الطلاء من الداخل والخارج، والأرضية الخشبية بحاجة ماسة إلى التلميع، باستثناء الردهة حيث كانت الألواح تكاد تتوسل كي تُستبدل، أشعة الشمس والمطر قد شققت إطارات النوافذ ذات الزجاج المزدوج؛ مما جعل الغرف رطبة بلا داعٍ. في الثمانينيات، كان الديكور يبدو فخمًا وثروة العائلة كانت واضحة في اختيار الأثاث، لكن مصابيح تيفاني، وكراسي الجلد الناعمة، والأرفف المصنوعة من خشب الساج، تراكم عليها الغبار بشكل كبير. لم ينظفها أحد لسنوات.

أربع سنوات، وشهر واحد، ويومين، ليكون دقيقًا.

لم يكن فيكتور بحاجة إلى فحص التقويم الممزق في المطبخ ليعرف تاريخ زيارته الأخيرة. مرت أكثر من أربع سنوات منذ آخر مرة وطئت قدماه باركام . حتى في ذلك الحين، كان السقف بحاجة إلى الطلاء ورف الموقد مغطى بالسخام لبعض الوقت. في تلك الأيام، على الرغم من ذلك، ساد شعور أكثر بالنظام.

كانت حياته لاتزال سليمة.

بحلول أواخر أكتوبر من ذلك العام، كان المرض قد استنفد معظم قوة جوزي، لكنها كانت لا تزال قادرة على مرافقته إلى الكوخ.

***

جلس فيكتور على الأريكة الجلدية، وأوصل جهاز الكمبيوتر المحمول وحاول ألا يفكر في عطلة نهاية الأسبوع التي سبقت زيارتهما المشؤومة إلى العيادة. تدفقت الذكريات مرة أخرى.

أربع سنوات.

مضى ثمانية وأربعون شهرًا منذ اختفاء جوزي. على الرغم من حملات الشرطة المتعددة، والنداءات الإعلامية الوطنية، وبرنامج تلفزيوني خاص من جزأين، فقد اختفت دون أي أثر، ومع ذلك واصلت إيزابيل الاعتقاد بأن ابنتهما ما زالت على قيد الحياة؛ ولهذا السبب حاولت منعه من إجراء المقابلة.

- لا تحتاج إلى إغلاق تلك الصفحة.

قالت له وهو يستعد للرحيل. كانا في الممر المرصوف بالحصى خارج المنزل، وكان فيكتور قد وضع أمتعته في السيارة الفولفو السوداء: ثلاث حقائب؛ واحدة تحتوي على الملابس، والأخريان تحتويان على الوثائق المتعلقة باختفاء جوزي (قصاصات الصحف، والنصوص، والتقارير المقدمة من كاي ستراثمان المحقق الخاص الذي وظفه).

- لا يوجد ما أنت مُطالب بتقبله، أنت لست في حاجة لوداعها. ابنتنا على قيد الحياة!

لم يكن لديها ما تقوله أكثر من ذلك؛ لذا تركت فيكتور يذهب إلى باركام بينما سافرت هي إلى نيويورك في واحدة من رحلات عملها. ربما هي الآن في واحدة من ناطحات السحاب في بارك أفينيو. كان العمل وسيلتها لتشتيت نفسها.

اشتعلت قطعة خشب أكثر، ثم تشققت وبدأت تتحلل في الموقد. ارتعش فيكتور بعصبية، وقفز سندباد -الذي غفا تحت المكتب- على قدميه وتثاءب أمام اللهب. كان الكلب من نوع جولدن ريتريفر ضالًّا، عثرت عليه إيزابيل قبل عامين في موقف سيارات في حمامات وانسي.

- فيمَ كنتِ تفكرين؟ لا يمكنك استبدال ابنتنا بكلب! صرخ في وجهها عندما عادت إلى المنزل مع سندباد. اندفعت مدبرة المنزل إلى غرفة الغسيل في الطابق الأول بقلق.

- ماذا ستسميه؟ جوي؟

حتى في ذلك الحين، رفضت إيزابيل أن تُستفز. انحدارها من إحدى أعرق أسر البنوك الألمانية لم يأتِ عبثًا، وقدرتها على الثبات والهدوء كان جديرًا بإرثها الألماني الأصيل. كانت عيناها الزرقاوان فقط هي ما تظهران ما تفكر فيه حقًّا: لو أن فيكتور اعتنى بجوزي بشكل أفضل، لكانت ما زالت معهم، تقفز وتتحمس لفكرة امتلاك كلب. علم أنها تلومه، رغم أنها لم تقل كلمة واحدة.

في النهاية، بقي سندباد، وبسخرية القدر أصبح فيكتور هو الشخص الذي تعلق به.

كان الوقت قد حان لكوب آخر من الشاي. وقف فيكتور وسار إلى المطبخ، يتبعه الكلب بكسل على أمل الحصول على وجبة خفيفة بعد الظهر.

- لا فرصة يا صديقي!

انحنى فيكتور ليربت على الكلب برفق، ولاحظ أن أذنيه منبسطتان على رأسه.

- ما الأمر، سندباد؟

انحنى بجانبه وسمع شيئًا هو الآخر؛ صوتًا معدنيًّا أشبه بالخدش أو الاحتكاك الذي أعاد إليه ذكريات قديمة. ما هذا؟ كان الصوت آتيًا من أعماق عقله، قادمًا من الماضي.

تسلل فيكتور نحو الباب.

ها هو مرة أخرى، مثل عملة معدنية تُجر عبر الأرض. ساد الصمت للحظة، ثم عاد الصوت.

توقف فيكتور حابسًا أنفاسه، بينما بدأت الذاكرة تتشكل. صوت سمعه كثيرًا في طفولته؛ حفيف مفتاح معدني وهو يحتك بالملاط المحروق؛ صوت اعتاد والده أن يصدره عندما يعود من الإبحار ليخرج المفتاح الاحتياطي من تحت وعاء الزهور الخزفي بجانب الباب.

والآن، لا يعقل أن يكون والده.

تجمد فيكتور. شخص ما يعرف أين اعتاد والداه الاحتفاظ بمفتاحهما، وذلك الشخص ينوي الدخول. هل جاء أحدهم خصوصًا بحثًا عنه؟

نبض قلبه بقوة، تقدم بخطى واسعة إلى الردهة ونظر من خلال الثقب في الباب الخشبي الثقيل. لم يكن هناك أحد في مرمى بصره. كان على وشك رفع الستائر الصفراء والنظر من النافذة إلى يمين الشرفة عندما غير رأيه وضغط وجهه على الباب. قفز إلى الوراء مرعوبًا. تسارعت ضربات قلبه ...

صعد الدم إلى أذنيه، وانتصبت الشعيرات على ذراعيه. علم بدون ذرة شك ما رآه. للحظة وجيزة، كانت هناك عين بشرية تحدق به، تنظر من خلال ثقب الباب إلى المنزل. بدت العين مألوفة له، رغم أنه لم يكن لديه فكرة عن صاحبها.

كان عليه أن يتمالك نفسه.

أخذ نفسًا عميقًا، وسحب الباب ليُفتح بقوة.

***

- ماذا بحق الجحيم...؟

قصد فيكتور إخافة الدخيل المجهول بتحديه بأعلى صوته، لكنه توقف في منتصف الجملة، متفاجئًا بوجوده وحيدًا. استقرت الشرفة فارغة ولم يكن هناك أحد على ممر الحديقة المؤدي إلى البوابة على بعد ستة أمتار من الباب. كان الطريق المرصوف بالحصى المؤدي إلى القرية مهجورًا. خرج فيكتور للخارج، ونزل الدرجات الخمس إلى الحديقة وتفحص تحت الشرفة،

حيث اعتاد الاختباء أثناء طفولته كي لا يعثر عليه أطفال الجيران. الآن، حتى في ضوء الشمس الخافت، بدا من الواضح أنه لا شيء مريب يكمن في الظلام منتظرًا.

بعض أوراق الشجر المتساقطة التي جرفتها الريح لا أكثر.

شعر فيكتور بقشعريرة طفيفة، فرك يديه معًا وهو يسرع في الصعود على الدرجات. كادت الرياح أن تغلق الباب الخشبي الثقيل، وتطلّب الأمر جهدًا لسحبه ضد تيار الهواء. كان على وشك الدخول عندما توقف في مكانه.

ها هو مرة أخرى. هذه المرة بدا الصوت أقل حدة، وأعلى ترددًا، وجاء من اتجاه مختلف. لم يعد الصوت خارج المنزل، كان يصدر من غرفة الجلوس،

وكأن الدخيل يعلن عن وجوده.

أحدهم كان داخل المنزل!

***

3

بدأ فيكتور يتقدم نحو غرفة الجلوس ببطء، ماسحًا الردهة بنظره بحثًا عن أسلحة محتملة في حال كان الدخيل مسلحًا.

لم تكن هناك فائدة من الاعتماد على سندباد لحمايته. الكلب الريتريفر يحب الناس وسيلعب مع الغرباء بدلًا من مطاردتهم. بالإضافة إلى ذلك، فقد عاد الكلب بالفعل ليستأنف قيلولة بعد الظهر، تاركًا سيده ليتعامل مع المشكلة وحده.

- مرحبًا؟

قوبل بالصمت.

عرف فيكتور أن آخر عملية سطو مسجلة في باركام تعود إلى عام 1964. ووفقًا لتقرير الشرطة، كان الحادث جزءًا من شجار بين ثملين، ولم تُتخذ أي إجراءات عقابية. لم يكن أي من هذا يبعث على الطمأنينة على أي حال:

- هل هناك أحد بالداخل؟

حبس أنفاسه، متسللًا على طول الممر بأقصى هدوء ممكن. على الرغم من جهوده القصوى ليلتزم الهدوء التام، فإن الأرضية الخشبية كانت تئن تحت وزنه، وخانه نعل حذائه الجلدي مع كل خطوة خطاها.

تساءل فيكتور عن سبب محاولته التسلل، في حين أنه قبل ثوانٍ كان يصرخ بصوت عالٍ. مد يده إلى المقبض وكان على وشك دخول غرفة الجلوس، وعندما فُتح الباب من الداخل، باغتته الصدمة حتى إنه نسي أن يصرخ.

***

مشهد الغريب أثار في نفسه كلًّا من الغضب والارتياح؛ من جهة شعر بالارتياح لرؤية امرأة صغيرة وجذابة وليس مجرمًا ضخمًا، ومن جهة أخرى كان غاضبًا من محاولتها الجريئة للاقتحام منزله في وضح النهار.

- كيف دخلتِ؟

سأل بحدة. وقفت المرأة في مكانها، لم تظهر أي خجل أو خوف.

- طرقت الباب، وكان الباب الخلفي مفتوحًا. أنا آسفة لإزعاجك.

- إزعاجي؟

اختفى خوف فيكتور، واستُبدِل بحاجة ملحة للتنفيس عن غضبه. اندفع نحو المرأة.

- فليذهب الإزعاج إلى الجحيم، كدتِ تصيبينني بصدمة قلبية.

- برجاء تقبل اعتذاري.

- أنتِ كاذبة.

قال فيكتور بصرامة، متخطيًا إياها:

- أنا لا أستخدم ذلك الباب أبدًا، كان مقفلًا.

في الواقع، لربما كان الباب مفتوحًا؛ لأنه لم يتحقق منه قطّ، لكنه لم يكن ينوي ترك فعلتها تمضي بسهولة. بدلًا من ذلك، وقف بجانب مكتبه وأخذ يمعن النظر فيها. كان هناك شيء مألوف بشكل غامض في ضيفته غير المدعوة، رغم أنه كان واثقًا من أنهما لم يلتقيا من قبل. كان شعرها الأشقر مرتبًا ومجموعًا في ضفيرة متوسطة الطول، كان طولها نحو خمسة أقدام وأربع بوصات، نحيفة جدًّا، وعلى الرغم من نحافتها بدت معالمها الأنثوية واضحة؛ فخذان عريضان وثديان متناسقان. لو كانت أطول قليلًا، لأمكنها العمل كعارضة أزياء. نظر فيكتور إلى بشرتها الصافية وأسنانها البيضاء اللامعة، متوقعًا أن تقول إنها تصور إعلانًا تجاريًّا على الشاطئ.

- أنا لا أكذب عليك، دكتور لارينز. أنا لا أكذب عادة ولن أفعل ذلك الآن.

مرر فيكتور يده عبر شعره وحاول جمع أفكاره. كان الوضع سخيفًا. المرأة اقتحمت منزله، أخافته حتى الموت، والآن لديها الجرأة لتناقضه. كان للأمر كله وقع كابوس سيئ.

- لا أعرف من أنتِ، لكن اسمعي أنا آمركِ بمغادرة منزلي فورًا، لا تحاولي حتى..

لكنه قطع كلماته فجأة.

- انتظري لحظة، من أنتِ؟

فجأة أصيب بدهشة من مدى صعوبة تخمين عمرها. من النظرة الأولى، بدت شابة، ربما في منتصف العشرينيات بالنظر لبشرتها الخالية من العيوب، لكن ملابسها تعود لامرأة أكبر سنًّا، ارتدت بدلة وردية من شانيل ومعطف كشمير أسود يصل حتى الركبة وقفازات جلدية سوداء، وحقيبة يد مصممة خصوصًا، وتعطرت بعطر مشابه لذاك النوع الذي تضعه إيزابيل. تحدثت بثقة ووقار غير ملائم لشخص أقل من ثلاثين عامًا.

تساءل فيكتور إن كانت صماء، بدت وكأنها لم تسمع سؤاله، وظلت واقفة عند الباب تحدق بصمت من بعيد.

- حسنًا، لا يهم من تكونين، لا ينبغي لكِ أن تكوني في منزلي وقد تجاوزتِ حدودك. تفضلي بالخروج من الباب الأمامي وابتعدي عن ممتلكاتي، لا أرغب في أن أتعرض للإزعاج مرة أخرى.

خطت المرأة خطوتين سريعتين نحوه، مما جعله يتراجع متفاجئًا:

- ألا تريد أن تعرف من أنا، دكتور لارينز؟ بالتأكيد لن تصرفني دون أن تسأل لماذا جئت.
- بالتأكيد سأفعل.
- أتوقع أنك تتساءل ماذا تفعل امرأة مثلي في جزيرة منسية مثل هذه.

- لا.

فجأة شعر فيكتور بالتردد، كان قد نسي تقريبًا كيف هو الشعور بالاهتمام تجاه شخص آخر.

- إذًا لا تريد أن تعرف كيف تتبعتك؟

- لا.

- أستطيع أن أرى أنك مهتم. يمكنك التحدث بصراحة معي.

- التحدث بصراحة معك؟ يبدو هذا غريبًا خاصة أنه قادم من شخص اقتحم منزلي توًّا.

- إذا استمعت فقط، سترى أن حالتي هي...

قاطعها لارينز:

- غير مهتم. وإذا كنتِ على علم بوضعي، وأنا متأكد أنكِ كذلك، لعلمتِ أنه من غير المقبول تمامًا أن تقتحمي منزلي بهذه الطريقة.

- وضعك؟ أخشى أنني لا أفهم، دكتور لارينز.

- ماذا؟

تساءل فيكتور للحظة ما الأمر الأكثر إثارة للدهشة: حقيقة أن الغريبة استمرت في مناقضته، أو الصدق في صوتها عندما قالت هذه الكلمات.

- إذًا أعتقد أنكِ لم ترَيْ صحيفة منذ أربع سنوات.

- أخشى أنني لم أفعل.

قالت دون أن تكلف نفسها عناء التوضيح.

تزايدت حَيْرة فيكتور لتضاهي رغبته في معرفة المزيد.

- بالتأكيد تعلمين أن عيادتي مغلقة. بعت المكان قبل عامين إلى..

- البروفيسور فان درويزين. بالضبط. كنت مريضته وأحالني إليك.

- ماذا؟

لم يصدق فيكتور أذنيه. ضيفته غير المرغوب فيها نجحت في جذب انتباهه بالكامل.

- لم تكن إحالة رسمية، لكن البروفيسور كان مُصرًّا على أنك الطبيب المناسب لحالتي. بصراحة، أنت كنت خياري الأول أيضًا.

هز فيكتور رأسه ببطء. لماذا سيكشف فان درويزين عنوانه الخاص لمريض؟ بالتأكيد مدربه القديم أكثر دراية بوضعه، بالإضافة إلى أن فيكتور لم يكن في حالة تسمح له بالعمل، والبيت على الشاطئ بالتأكيد ليس مناسبًا لذلك. سيتصل بالبروفيسور لاحقًا ويناقشه في ذلك. في الوقت الحالي، كانت أولويته هي التخلص من الدخيلة واستعادة الهدوء بحياته.

- أخشى أنه يجب عليك المغادرة. أنتِ تضيعين وقتك هنا.

لم تبذل المرأة اي مجهود للمغادرة.

بدأ ذعر فيكتور يتحول شيئًا فشيئًا إلى إرهاق. شعور كئيب باليقين من أن ما يخشاه حقيقةٌ، لن يتمكن أبدًا من الابتعاد بما يكفي ليبدأ صفحة جديدة من حياته؛ لأن أطيافًا من حياته القديمة تبعته إلى الجزيرة. أطياف أحياء وأموات سيان.

- أتفهم أنك لا ترغب في أن يتم إزعاجك، باتريك هالبرستروم بنفسه أقلني بالقارب هذا الصباح، لم يتركني أن أضع قدمًا واحدة على الجزيرة قبل أن يحدثني عنك ويحذرني من أن أكون مصدر إزعاج.

- أنتِ تعنين هالبيرستاد.

صحح لها.

- العمدة.

- الشخص الثاني الأكثر أهمية على الجزيرة -بجانبك بالطبع- لم يتردد في إخباري بذلك أيضًا. سأحرص على اتباع نصيحته وأحط بمؤخرتي اللطيفة في مكان آخر، لكن أولًا ستمنحني فرصة للشرح.

- مؤخرتك اللطيفة؟ هل قال ذلك حقًّا؟

- نعم. على أي حال، لا أنوي الذهاب إلى أي مكان حتى تسمعني. أنا أطلب فقط خمس دقائق وبعدها يمكنك أن تخبرني وجهًا لوجه.

- أخبرك بماذا؟

- إن كنت مهتمًّا بحالتي أم لا.

- ليس لدي وقت للمرضى.

ثم قال بضعف:

- أرجوكِ، فقط ارحلي.

- سأذهب، أعدك، لكنني أريدك أن تسمع قصتي، لن يستغرق الأمر سوى خمس دقائق، ولن تندم على ثانية واحدة.

تردد فيكتور. يغلب عليه فضوله، إلى جانب ذلك أدرك أنه لن يتمكن من التركيز على عمله. شعر بالتعب من مواصلة الجدال.

- هيا دكتور لارينز، لن أعضك.

ابتسمت له. أنّت الأرضية الخشبية عندما خطت خطوة أخرى نحوه. الآن استطاع أن يشم عطرها. يحمل شذا الأفيون.

- خمس دقائق؟

- أعدك.

هز كتفيه. بالنظر إلى الوضع الحالي، لا تعني خمس دقائق شيئًا على الإطلاق. إذا طردها الآن، فمن المحتمل أن تنتظر خارج المنزل، تتجول مجيئًا وذهابًا لتشتت تركيزه.

- حسنًا إذًا.

حرص على النظر إلى ساعته.

- خمس دقائق ثم ننهي هذا اللقاء.

***

4

اتجه فيكتور إلى الرف أعلى الموقد حيث استقر إبريق شاي من نوع «مييسن» عتيق على قاعدة. مدركًا أن المرأة تراقبه عن كثب، تمالك نفسه وحاول أن يتسم بالتهذيب.

– هل يمكنني أن أقدم لكِ بعض الشاي؟ كنت على وشك إعداد البعض لنفسي.

– شكرًا، لكن لا. ستنتهي الدقائق الخمس قبل أن أتمكن من شربه.

– كما تشائين، ولكن على الأقل اجلسي وانزعي معطفك.

التقط كومة من الصحف القديمة من على الكرسي الجلدي المُلحق بالأريكة. قبل عقود نظم والده مجموعة الأثاث بحيث يمكن للجميع عند الجلوس رؤية البحر والموقد. كانت غرفة الجلوس المكان المثالي للاسترخاء وقراءة كتاب.

عاد فيكتور إلى مكتبه وجلس مرتاحًا. جلست ضيفته الشابة الجميلة لكنها بدت غير ميّالة لنزع معطف الكشمير الخاص بها. في الصمت القصير الذي تلا ذلك، اصطدمت موجة ضخمة بالشاطئ. تدفقت المياه عائدة إلى البحر وهي تتلاطم باضطراب.

نظر فيكتور إلى ساعته مرة أخرى.

- حسنًا يا آنسة، عذرًا لم أعرف اسمك.
- آنا. اسمي آنا جلاس. أنا روائية.
- روائية معروفة؟
- ليس إلا إذا كنتَ مهتمًّا بكتب الأطفال. معظم قرائي تتراوح أعمارهم بين ستة وثلاثة عشر عامًا. هل لديك أطفال؟
- نعم، أعني، لا. أنا...

خرجت الكلمات بقوة وبشكل مفاجئ، مدفوعة بدفقة مفاجئة من الألم. أدرك أنها كانت تتحقق من الرف بحثًا عن صور. بالتأكيد لابد أنها رأت العناوين الرئيسية في الصحف؟ غيّر الموضوع لتجنب المزيد من الأسئلة.

- من أي مقاطعة في ألمانيا أنتِ؟ لا أسمع لهجة معينة بكلامك.
- برلين. ولدت هناك، عملي هناك أيضًا، لكنني أبيع نسخًا أكثر في الخارج. أفضل مبيعاتي كانت باليابان، لكن كل ذلك أصبح من الماضي.
- من الماضي؟
- لم أنتهِ من كتابة كتاب منذ سنوات.

انزلق الحديث إلى نمط الأسئلة والأجوبة النموذجية التي تميز علاقة المريض والمعالج. وبيسر عاد فيكتور لتقلد مكانه كطبيب نفسي مرة أخرى.

- متى نُشر آخر كتاب لكِ؟

- قبل خمس سنوات، بعدها بدأت مشروعًا آخر؛ كتاب للأطفال بالطبع. اعتقدت أنه سيكون أفضل ما كتبت. بدا وكأنه يكتب نفسه، لكنني لم أتجاوز الفصلين الأولين.
- لماذا؟
- مشاكل صحية حدثت فجأة، كان على الذهاب إلى المستشفى.
- ماذا كان خطبك؟
- بصراحة، لا أعتقد أن أحدًا يعرف حقًّا. بدوا مرتبكين في عيادة بارك.
- بارك؟ لا تعنين عيادة بارك في داهلم؟

لم يستطع فيكتور إخفاء دهشته، هذه المعلومات وضعت منعطفًا جديدًا في المحادثة. من ناحية، يعني ذلك أن السيدة جلاس كانت شديدة الثراء، كاتب على قدر كبير من النجاح فقط هو من قد يقدر على تحمل تكلفة علاج خاص في بارك، عنى هذا أيضًا أن مشكلتها كانت جادة. على عكس معظم العيادات الشهيرة، لا تتعامل بارك مع المشاهير مدمني المخدرات والكحول. إنها تتعامل فقط مع الاضطرابات النفسية الحادة. في أيام مجده المهنية طُلب منه تقديم المشورة في بعض الحالات الأكثر إشكالية، وكان يمكنه أن يشهد على احترافية المكان الذي ضم بعضًا من كبار الخبراء في البلاد، كانت هذه العيادة في طليعة التقدم العلاجي وحققت بعض النجاحات الملحوظة. ومع ذلك، لم يرَ قط مريضًا

يتعافى تمامًا مثل المرأة الشابة الجالسة أمامه. بدت بكامل صحتها تمامًا ومنتبهة.

- كم من الوقت أمضيتِ هناك؟
- سبعة وأربعين شهرًا.

لم يجد فيكتور كلمات ليرد بها. سبعة وأربعون شهرًا؟ كانت إما كاذبة بارعة أو مضطربة جديًّا. قرر أنها ربما تكون كليهما.

- كنتُ محتجزة في غرفة ومُخدرة بالأدوية لمدة تقارب أربع سنوات. بالكاد كنت أعرف من أنا، ناهيك عما يحدث حولي.
- وما كان تشخصيك؟
- ألم تخمن حتى الآن، دكتور لارينز؟ قالوا إنني مصابة بالفصام؛ ولهذا جئت إليك.

تراجع فيكتور في مجلسه مستغرقًا في التفكير في كلماتها. الفصام تخصصه. أو على الأقل كان.

- كيف وُضعتِ هناك؟
- اتصلت بالبروفيسور مالزيوس.
- اتصلتِ بالمدير وطلبتِ الذهاب؟
- بدت فكرة جيدة. الجميع يتحدثون بشكل جيد عن عيادة بارك، ولم أعرف إلى أين أذهب. لأتيت إليك لو أني عرفتك.
- من أحالكِ إليّ؟

- استشاري في العيادة. عشت حالة من الضبابية لدرجة أنني لم أعرف ما هو الأفضل لحالي؛ لذا أوقف الأدوية وأخبرني أن آتي إليك.

- ما الأدوية التي أعطوكِ إياها؟

- كل شيء تقريبًا؛ تروكسال وفلو سبيريلين، لكن بشكل رئيسي فلو بنتيكسول.

تروكسال وفلو سبيريلين وفلو بنتيكسول كانت أدوية مضادة للذهان. الأطباء هناك يعرفون ما يفعلونه.

- ولم يساعد أي منها؟

- تفاقمت الأعراض، حتى بعد أن توقفت عن تناول الدواء، استغرق الأمر أسابيع لاستعادة توازني. في رأيي، هذا دليل كافٍ على أن الأدوية ليست الحل لمشكلتي أنا تحديدًا.

- ما المختلف في حالتكِ؟

- أنا روائية.

- قلتِ هذا سابقًا.

- من الأفضل أن أعطيكَ مثالًا.

تحولت عيناها، التي كانت مثبتة عليه حتى الآن، لتحدق بشيء خيالي في الفراغ. خلال سنواته في ممارسة مهنته، فضل فيكتور النقاش وجهًا لوجه بدلًا من طلب الاستلقاء على الأريكة التقليدية المميزة للأخصائيين النفسيين. لم يكن سلوك السيدة

جلاس غير عادي. يميل المرضى إلى تجنب نظرته كلما حاولوا تقديم وصف دقيق لحدث مهم وصادم، أو عندما يكذبون.

- أول شيء كتبته كان قصة قصيرة لمسابقة، كنت في الثالثة عشرة من عمري في ذلك الوقت. كانت المسابقة مفتوحة لطلاب المدارس الثانوية في برلين، وكان الموضوع «معنى الحياة». قصتي جاءت عن مجموعة من الشباب الذين أجروا تجربة علمية. قدمت مخطوطة القصة، وهنا بدأت المشاكل.
- أي نوع من المشاكل؟
- كنت في حفلة في فندق فور سيزونز في جرونيفالد، وقتها أتمت صديقتي المقربة الرابعة عشرة للتو، واستأجر والداها قاعة الاحتفالات. تسللت إلى الحمام ورأيتها في الردهة، كانت تنتظر في صالة الاستقبال.
- صديقتك المقربة؟
- لا، جوليا.
- جوليا من؟
- جوليا، شخصية في قصتي، قدمتها في الفقرة الافتتاحية.
- لنكن واضحين: المرأة في الردهة شابهت شخصية في قصتك؟
- لا.

هزت السيدة جلاس رأسها بحزم.

- لم تشبه جوليا؛ كانت جوليا.
- ما الذي يجعلكِ تعتقدين ذلك؟
- لأنها كررت السطر الأول من القصة كلمة بكلمة.
- عذرًا؟

خفضت صوتها ونظرت إلى عينَيْ فيكتور مباشرة:

- جوليا انحنت فوق المنضدة وقالت لموظف الاستقبال: «اسمع يا عزيزي، سأفعل شيئًا مميزًا الليلة. ما رأيك أن تحجز لي غرفة؟»
- ألم يخطر ببالكِ أنها ربما مجرد صدفة؟
- بالتأكيد. فكرت في الأمر كثيرًا، لكن بدا الأمر أبعد ما يكون عن الصدفة، بالنظر إلى ما حدث بعد ذلك.
- وما هو؟
- فعلت جوليا بالضبط ما كتبت؛ وضعت مسدسًا في فمها وفجرت دماغها.

حدق بها فيكتور مذهولًا.

- أنتِ لستِ...
- جادة؟ أخشى أنني كذلك. كانت جوليا بداية كابوس يطاردني منذ ما يقرب من عشرين عامًا. بعض الفترات أسوأ من غيرها، لكنني كاتبة، دكتور لارينز. إنها لعنتي.

عرف فيكتور ما ستقوله بعدها، استطاع التنبؤ بما ستقول كلمة بكلمة.

- شخصياتي تنبض بالحياة. يكفي أن أتخيل الشخص لأراه وأسمعه، وأحيانًا حتى أتحدث معه. أخلقهم، فيدخلون في حياتي. سمِّها شيزوفرنيا إذا شئت، لكن هذه هي طبيعة حالتي، اضطرابي العقلي الخاص.

مالت نحوه.

- وها هو سبب أنني قررت المجيء إليك.

نظر فيكتور إليها وامتنع عن قول أي شيء. كانت هناك الكثير من الأفكار المتضاربة في عقله، الكثير من المشاعر.

- حسنًا، دكتور لارينز؟

- حسنًا، ماذا؟

- هل أنت مهتم بحالتي؟ جئت كل هذه المسافة لأسألك أن تعالجني. قل إنك ستوافق.

تحقق فيكتور من ساعته. كانت الدقائق الخمس قد انتهت.

***

5

بالعودة والنظر لما وقع من البداية، أيقن فيكتور أن العلامات بدت جلية. ولو أنه أنصت بعناية أكبر، لربما أدرك أن هناك شيئًا خاطئًا.. خاطئًا جدًّا.

ولكن لما استطاع أي قدر من البصيرة الحيلولة دون وقوع الكارثة، لما فعل أكثر من تحفيز وقوعها. الحقيقة هي أن آنا جلاس باغتته. شقت طريقها إلى بيته وأخذته على حين غرة. كانت حالتها غير عادية، غير عادية لدرجة أنه لخمس دقائق فرغ عقله من همومه ومشاكله. أسعدته هذه اللحظات المستقطعة، لكن قراره لا يزال قائمًا؛ لا رغبة له في أن يكون معالجها.

بعد نقاش قصير ولكنه حازم، أقنعها بالعودة إلى البر الرئيسي على العبارة الصباحية الباكرة وتحديد موعد مع البروفيسور فان درويزين.

قال بحدة عندما طلبت معرفة السبب:

- لديّ أسبابي، أحدها أنني لم أمارس مهنتي منذ أكثر من أربع سنوات.
- أنا متأكدة أنك لا تزال تعرف كيف تعالجني.
- ليس الأمر مسألة معرفة، أنا فقط...

- أنت لا تريد علاجي.

وهذا ما فكر فيه بالضبط.

شعر بشيء ما يحذره من إخبار زائرته عن جوزي. إذا لم يخبرها أحد في العيادة عن المأساة، فلم يكن لديه أي نية لتقديم هذه المعلومات بنفسه.

***

- بالنسبة لحالة معقدة مثل حالتك، سيكون من غير المسؤول وغير المهني تقديم تحليل دون البحث في حالتك أولًا، خاصة بدون التسهيلات التي توفرها العيادة المناسبة.

- البحث في حالتي؟ دكتور لارينز، أنت خبير! ما السؤال الأول الذي كنت ستطرحه لو كنت في عيادتك في برلين؟

ابتسم فيكتور لمحاولتها الساذجة لتضليله:

- لسألتك متى بدأت الهلوسات لأول مرة، ولكنني...

قاطعت بهدوء:

- النوبة بالفندق كانت الأولى. بدأ كل شيء في وقت أبكر من هذا بكثير، لكن لم يسبق لي اختبار أي شيء مثل...

توقفت عن الكلام للحظة، مفكرة في كلماتها:

- شيء مثل هذه الواقعية، على هذا القدر من الإقناع. هلوساتي السابقة كانت أكثر غموضًا وأقل وضوحًا، لكن جوليا كانت حقيقية. رأيتها، سمعت المسدس، وفي اللحظة التالية تناثر مخها في أنحاء البهو كافة. كانت أول

شخصية من قصصي تُبعث للحياة. بالطبع، كمثل أي مصاب بالفصام، لديّ تاريخ مع الأمراض النفسية.

- مثل؟

قرر فيكتور إمهال المرأة خمس دقائق أخرى قبل إرشادها للخروج.

- يصعب معرفة من أين عليّ البدء. لو خمنت، لقلت إن الأعراض بدأت منذ طفولتي.

انتظر أن تستكمل وهو يرتشف من الشاي الأحمر الآخذ في البرودة، كان مذاقه مُرًّا.

- والدي كان رجلًا عسكريًّا، حارب لصالح الحلفاء وبقي في برلين، ثم عمل مذيعًا بشبكة للقوات الأمريكية لفترة. أحبته النساء ولفترة من الوقت اعتُبر بطلًا محليًّا. على أي حال، كانت له بعض اللحظات الجامحة مع عدد من الشقراوات في الغرفة الخلفية بإحدى صالات القمار التابعة للجيش، ونتاجًا لهذا حملت إحدى صديقاته العديدات. كان اسمها لورا، كانت من برلين. وأنا بذرة هذه العلاقة.

- فهمت، لاحظت أنك ذكرت والدك أولًا؟

- توفي وأنا في الثامنة من العمر. بحسب رأي البروفيسور مالزيوس، تلك الحادثة كانت أول تجربة مؤلمة في طفولتي.

- أي حادثة؟

- توفي والدي في المستشفى التابع للجيش، لم تكن سوى عملية استئصال زائدة دودية بسيطة، لكنه أصيب بجلطة. لم يزوده أحد بجوارب ضغط لتحسين دورته الدموية؛ لذا كانت الجلطة قاتلة.

- يا له من أمر مروع!

لطالما أصابته الأضرار التي تسبب بها الأطباء غير الأكْفاء بالفزع، إهمالهم جلب معاناة بشعة للمرضى وعائلاتهم. تابع:

- وكيف تعاملت مع وفاة والدك؟

- بصورة سيئة، عشنا في منزل بنهاية صف من المنازل قرب ثكنات أندرو في القطاع الأمريكي، وتبنينا كلبًا ضالًّا يُدعى تيري، أقام في فناء منزلنا؛ لأن والدي لم يطقه ومنعه من دخول المنزل. وبالتالي قضى أغلب الوقت مربوطًا في سلسلة جوار الباب. أتذكر أن والدتي أخبرتني عن فشل العملية، وأتذكر أنها فور أن غادرت المنزل التقطتُ مضرب بيسبول، مضربًا ثقيلًا حديديًّا وانطلقت إلى الباحة.

رِباط تيري كان أقصر مما قد يمكنه من الحركة، ناهيك عن الهرب. وفور أن ضربته انهارت ساقاه تحته. راقبته يئن ويتلوى على الأرض، لكني لم أتوقف. واصلت ضربه. كنت في الثامنة وفقدت سيطرتي على نفسي بفعل الألم والغضب. بعد نحو عشر ضربات لابد أنني كسرت عموده الفقري؛ لأنه استلقى هناك يصرخ من الألم ويبصق الدم، واصلت ضربه حتى سويته بالأرض. لم يكن يبدو حتى كلبًا عندما انتهيت منه.

حاول فيكتور ألا يظهر اشمئزازه:

- ما الذي جعلك تفعلين ذلك؟

- أحببت والدي أكثر من أي شخص في العالم، وتيري جاء في المركز الثاني. لسبب ما خطر لي أنني لا أريد تيري إذا لم أستطع الحصول على والدي. عاقبته على كونه حيًّا.

- لابد أنه كان أمرًا قاسيًا للغاية.

- كان كذلك، لكن ليس للسبب الذي تعتقده.

- عفوًا؟

- القصة لا تنتهي هنا. فقدت والدي وقتلت كلبًا بريئًا، لكن هذا لم يكن ما أزعجني حقًّا.

- لا؟

- ما أزعجني هو أن تيري لم يكن موجودًا، أنا من اخترعته. تبنينا قطة، لكن لم نتبنَّ كلبًا قطّ. ما زلت أعاني من كوابيس حول ما فعلته لتيري، لكنني أعلم يقينًا أنه كان وهمًا؛ نتيجة مرضي.

- متى اكتشفت أنه لم يكن حقيقيًّا؟

- لاحقًا، بدأت المتابعة مع معالج نفسي عندما كنت في نحو الثامنة عشرة، وبعد فترة ظهرت الحقيقة. كانت المرة الأولى التي استجمعت فيها الشجاعة لذكر تلك الحكاية لأي شخص. لم أرغب في أن يعرف الناس أنني قتلت كلبي، لاعتقدوا فقط أنني مجنونة.

يا للفتاة المسكينة!

فكر فيكتور وهو يربت على سندباد بشرود. غفا الكلب الريتريفر بسلام عند قدميه، لم يضطرب لأي من هذه الأحاديث المزعجة. عانت آنا بشدة بسبب عمل وحشي لم ترتكبه قطّ. هذه هي الكيفية التي يطغى بها الفصام على الحياة. معظم الأوهام كان لها تأثير جعل المريض يشعر بأنه عديم الفائدة، شرير وغير مستحق للحياة. استسلام المرضى لسيادة خيالهم وتركهم يمسكون بلجام حياتهم لم يكن أمرًا غير طبيعي أو غريبًا. ألقى فيكتور نظرة أخرى على ساعته ودُهش لرؤية كم كان الوقت متأخرًا. سيضطر إلى تأجيل مقابلة بونتي ليوم آخر.

- حسنًا، آنسة جلاس.

وقف بعزم ليشير إلى أن وقت مغادرتها قد حان. اتخذ خطوة نحو آنا وشعر برأسه يدور فجأة:

- آمل أنني قد أوضحت بما فيه الكفاية أنني لست في وضع يسمح لي بمعالجتك.

قال بحزم. أراد أن يصطحبها إلى الباب، لكنه خشي أن يترنح، نظرت آنا إليه بلا مبالاة ووقفت على قدميها.

- فهمت.

قالت بمرح غير متوقع:

- شكرًا على الاستماع، سأحرص على اتباع نصيحتك.

راقبها فيكتور وهي تمضي نحو الباب فذكرته بشيء ما بصورة مباغته، لكن كلما حاول أن يتذكر، استعصى عليه الأمر أكثر.

استدارت آنا:

- هل أنت بخير، دكتور لارينز؟

- أنا بخير، شكرًا.

رد محرجًا من أنها لاحظت دواره، الحقيقة هي أنه شعر كما لو أنه يحاول التعافي من إمضاء رحلة طويلة في البحر. ثم عاد وسأل:

- أين تقيمين؟

سأل محاولًا الاستمرار في المحادثة وتحريكها بعيدًا عن دواره.
فتح الباب الأمامي وخطت آنا إلى الشرفة:

- في نزل المرساة.

هز رأسه. بالطبع، نزل المرساة كان النزل الوحيد الذي يبقى مفتوحًا طوال أشهر الشتاء. تديره ترودي التي غرق زوجها في رحلة صيد قبل ثلاث سنوات. لم ترفض قطّ استقبال أي شخص.

- هل أنت متأكد أنك بخير؟

سألت من جديد، فأجاب:

- بالطبع، أشعر ببعض الدوار فقط عندما أقف بسرعة.

كان يأمل ألا يكون مصابًا بالإنفلونزا.

بدت راضية عن إجابته؛ لأنها قالت:

- من الأفضل أن أذهب. أحتاج إلى حزم أمتعتي والنوم باكرًا، لا أريد أن أفوت العبّارة الأولى.

سعد فيكتور لسماع ذلك، كلما غادرت باركام أسرع، كان ذلك أفضل. أراد أن يبقى وحده.

صافحها مرة أخرى وافترقا بوُدّ نوعًا ما.

في وقت لاحق، تمنى فيكتور لو استمع بشكل أكثر انتباهًا ولاحظ التحذيرات، لكن هذه هي مشكلة الإدراك بعد فوات الأوان. في ذلك الوقت، لم يخطر بباله أن يتحقق من أنها رحلت حقًّا. لا بد أنها اعتمدت على طبيعته في الثقة. بمجرد إغلاق الباب، لم تخفِ نواياها الحقيقية، وانطلقت شمالًا بالاتجاه المعاكس لنزل المرساة.

***

6

ما إن صرف آنا حتى باغته إزعاج جديد؛ ارتفعت طرقات أخرى على الباب. هذه المرة كان هالبيرستاد، العمدة. قال فيكتور وهو يصافح الرجل العجوز:

- قمت بإصلاح مولد الكهرباء بشكل رائع! كان المنزل دافئًا عندما وصلت.

قال هالبيرستاد بخشونة، ساحبًا يده:

- سعدت بمساعدتك، دكتور لارينز.

- ما الذي أتى بك إلى هنا في هذا الطقس العاصف؟ خدمة البريد لن تبدأ قبل عدة أيام أخرى، أليس كذلك؟

- لم آتِ من أجل خدمة البريد.

وقف هالبيرستاد هناك ممسكًا بقطعة من الخشب الذي يجرفه البحر بيده اليسرى. طرق بها نعل حذائه الويلينغتون الأسود لإزاله الرمال عنه.

- فهمت. هل ترغب في الدخول؟ يبدو المطر على وشك الهطول.

- شكرًا، لكن لا أريد أن أشغلك. كنت أتساءل فقط..

- نعم؟

- المرأة التي كانت هنا للتو، من هي؟

فوجئ فيكتور بصراحته. لم يكن من عادة هالبيرستاد المتحفظ والمجامل أن يتدخل في شؤون غيره.

- يمكنك أن تقول لي أن أهتم بشؤوني الخاصة، لكنني أنصحك بأن تتوخى حذرك.

تابع العمدة، متوقفًا ليبصق تبغه الذي تطاير من مضغه إلى جانب الشرفة وسقط في الرمل:

- توخَّ حذرك فعلًا.

ضيّق فيكتور عينيه، ونظر إليه بازدراء. لم تعجبه النصيحة ولا النبرة التي قيلت بها.

- ماذا تعني بالضبط؟

- ليست من عادتي الحديث بشكل غامض، دكتور لارينز. هناك شيء غريب بشأن تلك المرأة؛ إنها ليست سليمة العقل.

تشكُّك الناس في الحالة العقلية للغرباء أمر طبيعي بالطبع، لكن فيكتور تعجب من أن هالبيرستاد لاحظ بمثل تلك السرعة حالة آنا الذهنية الهشة. وتساءل لو أن الوضع هكذا، ما كان رأي العمدة به هو شخصيًّا؟ فالرب وحده يعلم كم كان هشًّا هو الآخر.

- لا داعي للقلق بشأن السيدة.

- ليست هي ما أنا قلق بشأنه، إنه أنت.

قال هاليرستاد بحدة. وها قد انتهت فترة الهدوء. ظهور آنا المفاجئ وقصتها المرعبة شتت انتباهه لفترة، لكن الآن عادت الأفكار. ملايين المحفزات المختلفة، كل منها قادر على استدعاء صورة جوزي لذهنه، الأصوات العالية من بينها.

- ماذا تعني؟

- أعني ما قلته. عليك أن تكون حذرًا، عشت على هذه الجزيرة لمدة اثنين وأربعين عامًا ورأيت الناس يأتون ويذهبون، البعض كانوا أشخاصًا جيدين ومحترمين مثلك لم يسببوا أي مشاكل. الآخرون لم يكونوا مُرحّبًا بهم كثيرًا. أعرف الفاسد عندما أراه؛ لديّ غريزة لالتقاط مثل هذه الأشياء. علمت بمجرد أن رأيتها أنها تخطط لشيء سيئ.

- ألديك أي دليل يدعم شكّك؟ هل قالت شيئًا أزعجك؟

- لم أتحدث معها قطّ. رأيتها تنزل من العبّارة، وتبعتها إلى هنا.

هذا غريب. فكّر فيكتور، متذكرًا نسخة آنا من القصة. لم يكن لديها سبب لتكذب.

- مرت على متجر الأدوات قبل بضع ساعات. قال هينيرك إنها كانت تتصرف بغرابة شديدة.

- هل بوسعك أن تكون أكثر تحديدًا؟

- طلبت سلاحًا.

- سلاح؟

- طلبت منه أن يريها رمحًا ومسدس إشارات، لكنها اشترت سكين نحت وبعض الخيوط للصيد بدلًا من ذلك. لماذا عساها تفعل هذا؟

- ليس لدي أي فكرة.

قال فيكتور الذي لم تكن لديه فكرة ماذا يمكن أن يستنتج من مثل هذه المعلومة؟ باركام مكان هادئ، لِمَ قد ترغب السيدة جلاس في حمل سلاح؟

- أنت على حق.

سحب هالبيرستاد غطاء سترته السوداء على رأسه.

- من الأفضل أن أذهب، آسف على الإزعاج.

- لا على الإطلاق، لطف منك أن تأتي.

نزل هالبيرستاد الدرج إلى الطريق وسار نحو البوابة المنخفضة. توقف عند السور الخشبي والتفت. مكتبة سُر مَن قرأ

- شيء أخير، دكتور. كنا جميعًا آسفين لسماع الأخبار.

أومأ فيكتور برأسه. لم يكن هناك حاجة لأن يوضح هالبيرستاد أكثر. منذ نحو أربع سنوات والناس يعزون فيكتور. قال العمدة:

- اعتقدنا أننا نقدم لك يد العون.

- ماذا تعني؟

- بمجرد أن نزلت من العبّارة، قلت لنفسي إن تغيير المكان سيفيدك. ظننت أنك ستضع الماضي وراءك وتصير بحال أفضل، المشكلة هي..

- نعم؟

- إنك تبدو أكثر شحوبًا من ذي قبل، هل حدث شيء ما؟

أنا محاصر في كابوس، فكر فيكتور، كابوس حياتي. وأنت لا تجعل الأمر أسهل، لكنه احتفظ بأفكاره لنفسه، وهز رأسه بحزم وكاد يفقد توازنه. هاجمه الدوار مجددًا.

أغلق هالبيرستاد البوابة خلفه ونظر إليه بصرامة:

- افعل ما تراه مناسبًا. ربما مخاوفي لا تعني شيئًا وربما تعني الكثير، في كلتا الحالتين تذكر ما قلته عن تلك المرأة.

اكتفى فيكتور بالإيماء برأسه.

- اعتنِ بنفسك، دكتور. انتبه في الأيام القليلة القادمة، لدي شعور أن شيئًا سيئًا سيحدث.

- سأتوخى حذري، شكرًا على اهتمامك.

أغلق فيكتور الباب الأمامي، وألقى نظرة عبر ثقب الباب متابعًا هالبيرستاد. كانت الرؤية محدودة للغاية، وفي غضون ثوانٍ اختفى العمدة عن الأنظار. تساءل فيكتور عما حدث توًّا.

في النهاية سيكتشف الحقيقة بالطبع، لكن حينها سيكون قد فات الأوان.

***

7

قبل ظهور الحقيقة بأربعة أيام - باركام

بونتي: هل لا تزال تعيش على الأمل؟

السؤال الثاني هو الأسوأ. بعد ليلة نوم سيئة وإفطار ممل، كانت الساعة العاشرة صباحًا عندما بدأ فيكتور العمل. بعد ثلاثين دقيقة، كان لا يزال يحدق في شاشة فارغة. على الأقل امتلك سببًا منطقيًّا يبرر البطء؛ لأنه كان شبه واثق من أنه يعاني من الإنفلونزا. بدا أن دوار الأمس توقف من تلقاء نفسه، لكن لديه التهاب في الحلق وسيلان في الأنف، ومع ذلك رغب في إحراز بعض التقدم في الإجابة عن أسئلة الحوار تلك.

الأمل.

ولوهلة رغب في الإجابة بسؤاله الخاص:

الأمل في ماذا؟ أن جوزي لا تزال على قيد الحياة أم أن يجد أحدهم جثتها؟

هزت عاصفة قوية شبكة النافذة. تذكر فيكتور بصورة ضبابية سماع تحذير عن الطقس في الأخبار. منذ الأمس والجزيرة تستعد لوصول إعصار أنتون، الذي كان من المقرر أن يصل في النهاية إلى باركام بعد ظهر ذلك اليوم. تراكمت سحب رمادية محملة

بالأمطار فوق البحر، وبدأت أولى الزخات بالهطول، مدفوعة بالرياح العاتية إلى البر لتبدأ في ضرب الساحل. انخفضت درجة الحرارة بشكل حادّ خلال الليل، وبفضل المولد الضعيف ما زال الجو باردًا بما يكفي لأنْ تصير النار بالمدفأة مفيدة بجانب كونها جميلة. في الواقع، سادت كآبة على الأجواء بالخارج حتى إن قوارب الصيد والعبارات استجابت لنصيحة خفر السواحل. من مكتبه بجانب النافذة، لم يتمكن فيكتور من رؤية أي سفينة على البحر الغاضب. حوّل نظره إلى الشاشة.

الأمل.

قبض فيكتور يديه ثم فرد أصابعه على لوحة المفاتيح دون لمس المفاتيح نفسها. عند قراءة السؤال للمرة الأولى، انفجر في دماغه، محطمًا حاجزًا غير مرئي لتفيض الأفكار في عقله. وبعد الخواء بدأت فكرة واحدة محددة تتشكل في ذهنه؛ ذكرى لأيام والده الأخيرة. في عمر الرابعة والسبعين، شُخص غوستاف لارينز بسرطان الغدد الليمفاوية. تسبب السرطان له في ألم مستمر ومروع، والذي بسببه تعاطى جرعات متتالية من المورفين، ولكن في المراحل الأخيرة من مرضه لم يكن هناك دواء في العالم قوي بما يكفي للتخفيف من معاناته. عانى من صداع نصفي قوي لدرجة أنه احتاج إلى جرعة جديدة من الحبوب كل بضع ساعات لتخفيف الألم إلى مستوى يمكن تحمله. تذكر فيكتور كيف وصفه:

- إنه كالعيش تحت ناقوس زجاجي، محاطًا بالضباب.

الآن، بعد سنوات، فهم فيكتور. كان أمله يحيا تحت ناقوس زجاجي، تساءل لو أن أعراض الأب انتقلت للابن، كمرض وراثي يتناقله جيل عن جيل.

«الفارق هو أن السرطان لا يهاجم غددي اللمفاوية الآن، بل يغزو عقلي ويهلك روحي».

***

أخذ فيكتور نفسًا عميقًا وبدأ في الكتابة.

نعم، عاش على أمل أن تعلن مدبرة منزله ذات يوم عن وصول زائر ينتظر في الردهة، ممسكًا قبعته بيده، يرفض كل الدعوات للانضمام إليه في الصالة. تخيل نظرة الغريب بزيه الرسمي تتجه نحوه، ثم تلك اللحظة الحرجة من الصمت. وفي تلك اللحظة سيعرف، سيعرف قبل أن يفتح الضابط فمه لينطق أخيرًا:

«آسف لخسارتك».

كان هذا هو أمل فيكتور.

إيزابيل أملت في العكس. لم يكن لديه أي فكرة عن مصدر قوتها، لكنه علم أن صلواتها كانت معاكسة لصلواته. في أعماقها آمنت بالمستقبل، آمنت بمستقبل تعود فيه من قضاء الصباح في ركوب الخيل لترى دراجة جوزي في الممر. وقبل أن تتمكن من حملها ووضعها في السقيفة، ستأتي جوزي مسرعة على الطريق من البحيرة، تضحك وتسحب والدها بيدها خلفها. من بعيد، تصيح الطفلة السعيدة، المعافاة والمتحمسة:

- ماذا سنتناول على الغداء، ماما؟

ستعود الأمور لطبيعتها.

لتقبلت إيزابيل الأمر بهدوء، لما تفاجأت أو طرحت أسئلة. ستكتفي بتمرير يدها على شعر جوزي الأشقر الذي سيكون قد زاد طوله بضع بوصات عن المعتاد، وستتقبل حقيقة أن الأسرة اجتمع شملها من جديد. سترحب بعودتها بنفس القبول الذي أظهرته يومًا بعد يوم لمدة تقرب من أربع سنوات. كان هذا هو أمل إيزابيل غير المعلن.

***

هل يجيب هذا عن سؤالك؟

أدرك فيكتور أنه كان يتحدث بصوت عالٍ. هذه المرة كانت إيدا فون شتراشفيتز، الصحفية من مجلة بونتي، هي مستمعته الخيالية. كان من المفترض أن يرسل لها الإجابات عبر البريد الإلكتروني بعد يومين.

أصدر جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بفيكتور صوتًا ذكره بآلة قهوة قديمة تبصق آخر قطرات الماء في الفلتر. قرر حذف السطور الأخيرة. لدهشته، اكتشف أنه ليس هناك شيء ليحذفه. كانت نتيجة ثلاثين دقيقة من العمل جملة واحدة ليست لها صلة واضحة بالسؤال.

الفجوة بين عدم المعرفة والمعرفة هي كالحد الفاصل بين الحياة والموت.

لم يكن لدى فيكتور وقت لتفصيل ما كتبه إجمالًا؛ لأن الهاتف رن في تلك اللحظة. لم يتصل أحد بالمنزل منذ وصوله. حطم الرنين الحاد والصدى الصاخب جدار الهدوء بمنزل الشاطئ وجعله يقفز من مكانه. تركه يرن أربع مرات قبل أن يلتقط السماعة الثقيلة للهاتف الأسود القديم. مثل معظم الأشياء في المنزل، والده امتلك تلك الآلة القديمة التي استقرت على طاولة منخفضة بجوار المكتب.

- آمل أنني لم أتسبب لك في إزعاج.

قمع فيكتور زمجرته، توقع نوعًا ما أن يتلقى اتصالًا منها، لكن عند سماع صوتها عاد الدوار مع التهاب الحلق وأعراض البرد الأخرى.

- ظننت أننا توصلنا إلى اتفاق، سيدة جلاس؟

- آسفة.

قالتها بصوت ضعيف.

- ألم يكن من المفترض أن تغادري هذا الصباح؟ ما موعد عبّارتك؟

- هذا هو سبب اتصالي، لا أستطيع الذهاب.

- لا تستطيعين الذهاب؟! اسمعي، سيدة جلاس، تحدثنا عن هذا أمس. أنت في فترة هدوء الآن، وأنت بصحة جيدة بما يكفي لركوب العبّارة. أريد منك أن تذهبي إلى برلين وتحددي موعدًا مع البروفيسور فان درويزين. أنا آسف لكنني..

قاطعته آنا بهدوء:

- لا أستطيع.

خمن فيكتور السبب قبل أن تواصل شارحة:

- بسبب العبارة. أُلغيت الرحلات كافة اليوم بسبب العاصفة، أنا عالقة هنا.

***

8

داهمه الشعور بمجرد أن أنهى المكالمة، حمل صوتها شيئًا ما أعطاه انطباعًا بأنها رتبت تلك العاصفة بنية واضحة؛ لمقاطعة عمله وتخريب جهوده لدفن ماضيه عمدًا. صوتها أخبره بأنها تحمل ما ترغب في اطلاعه عليه، تحمل شيئًا مهمًّا جدًّا لدرجة أنها تكبدت العناء والنفقات للمجيء من برلين، ومع ذلك أحجمت عن ذكره بالأمس لأسباب هي فقط تعرفها. لم تقل ما هو، لكنه عرف بيقين مطلق بأنها على أتم استعداد للبقاء في الجزيرة حتى تتخلص من عبء كتمانه.

خاشيًا أن تأتي من جديد في أي لحظة، قرر أن يأخذ حمامًا ويرتدي ملابس ملائمة. في الحمام أذاب زوجًا من الأسبرين في بعض الماء وابتلعهما على معدة فارغة. كان يشعر بالضغط يتراكم خلف عينيه، وهو علامة أكيدة على أن الصداع النصفي في طريقه لمباغتته. في الظروف العادية لتناول حبتين من المسكن عند أول بادرة من التعب، لكن دواء الفلوبيرتين يجعله يشعر بالنعاس، وهو رغب في أن يكون يقظًا عندما تصل زائرته غير المرغوب فيها.

وبسبب هذا شعر أنه في حال سيئ، لكنه على الأقل لا يشعر بالنعاس، حين نبهه نباح سندباد العالي إلى أن ضيفته وصلت. كان هذا في ساعة مبكرة من بعد الظهيرة.

- كنت في نزهة ورأيت الضوء في غرفة المعيشة.

قالت بسعادة عندما فتح الباب. عقد فيكتور حاجبيه. «نزهة؟» فقط أصحاب الكلاب الأكثر إخلاصًا يغامرون بالخروج في مثل هذا الطقس. لم يكن المطر كثيفًا، لكن الرذاذ المستمر كان باعثًا على البؤس بما يكفي. وآنا -في بدلتها الكشميرية الفاخرة وحذائها ذي الكعب العالي- لا ترتدي ملابس مناسبة للظروف. المشي من القرية يستغرق على الأقل خمس عشرة دقيقة، والطريق الممهد كان مليئًا بالماء بالفعل. لكن حذاءها بدا نظيفًا وأنيقًا تمامًا، وعلى الرغم من أنها لم تحمل مظلة ولم يغطِ وشاحٌ شعرها، كان شعرها جافًّا تمامًا!

- دكتور لارينز؟ هل هذا وقت غير مناسب؟

أدرك فيكتور أنه يحدق فيها بتردد. تلعثم مجيبًا:

- نعم، أعني، لا، أنا.. سامحيني، لم أتوقع زوارًا، وقد أصبت بنزلة برد بسيطة.

تذكر ما قاله له هالبيرستاد، وضاعف ذلك من تردده في السماح لها بالدخول.

ظهر الأسف على وجه آنا:

- أوه! أنا آسفة لسماع ذلك.

***

باتجاه البحر، انطلق وميض لسان البرق عبر السماء؛ ليضيء الكوخ بالكامل بنور مفاجئ، تبعه دوي رعد منخفض. العاصفة تقترب. شعر فيكتور بالإحباط؛ لأنّه من الصعب أن يغلق الباب في وجه ضيفته المزعجة. المبادئ تفرض عليه تحمل صحبتها على الأقل حتى ينقضي الجزء الأسوأ من العاصفة.

- بما أنك تكبدت عناء المرور، أعتقد أن من الأفضل أن تدخلي لتناول بعض الشاي.

قال على مضض. وتمسكت آنا من فورها بالعرض، عادت تبتسم من جديد وكاد فيكتور يقسم أنه لمح ابتسامة انتصار على وجهها. ذكرته بطفل صغير حصل على مبتغاه بعد إلحاحه من أجل قطعة من الحلوى.

تبعته إلى غرفة الجلوس حيث استأنفا جلستهما من مواقعهما في اليوم السابق؛ آنا بساقيها المتقاطعتين بأناقة على الأريكة، وفيكتور بظهره المستند إلى النافذة بجانب المكتب.

- تفضلي بصبّ بعض الشاي لنفسك.

رفع كوبه وأومأ نحو إبريق الشاي على الرف.

- شكرًا لك، ربما لاحقًا.

لاحظ فيكتور أن آلام حلقه أسوأ، تناول جرعة كبيرة من شاي أسام، وباغته الطعم المر أكثر وضوحًا من المرة السابقة.

- هل أنت على ما يرام، دكتور لارينز؟

سألته السؤال ذاته بالأمس. أزعجه أنها بدت وكأنها ترى ما بداخله؛ لأنه بالرغم من كل شيء هو الطبيب النفسي.

- أنا بخير، شكرًا.

- لم تبتسم منذ أن وصلت. آمل أنني لم أفعل ما يثير استياءك. نويت الذهاب بالعبّارة صدقًا، لم يكن لي أن أعرف أن الخدمات ستتوقف.

- هل أخبروك متى ستعود العبّارة للعمل؟

- قالوا: بعد أربعين ساعة، أو أربع وعشرين كحد أدنى.

«بمعرفتي لحظي السيئ، ستبقى هنا لمدة أسبوع». فكر فيكتور الذي تذكر أنه علق في باركام مع والده لمدة مشابهة تقريبًا قبلًا.

- ربما يمكنك السماح بجلسة استشارية أخرى بما أنني هنا.

اقترحت بجرأة، مبتسمة ابتسامتها اللطيفة. تريد أن تفصح عن شيء في داخلها بكل تأكيد.

- جلسة استشارية أخرى؟ سيدة جلاس أنا لست معالجك النفسي. الأمس كان حديثًا غير رسمي، لا شيء أكثر. طقس سيئ لن يغير رأيي.

- حسنًا، إذًا دعنا نستمر في الحديث غير الرسمي. حديث الأمس ساعدني حقًّا.

هي تريد أن تخبرني بشيء ولن تتوقف عن إزعاجي حتى أستمع إليها. نظر فيكتور إلى عينيها مباشرة لبضع ثوانٍ، واستسلم عندما أدرك أنها مصممة على عدم النظر بعيدًا.

- حسنًا، أعتقد أننا يمكننا التحدث...

دعينا ننهي ما بدأتِه، أضاف لنفسه.

استلقت آنا بسعادة على الأريكة، وبدأت تخبر فيكتور بأكثر قصة مرعبة سمعها في حياته.

***

9

- ما الذي تعملين عليه في الوقت الحالي؟

سأل فيكتور ليبدأ الحديث. استيقظ ذلك الصباح وفي ذهنه سؤال: من هي الشخصية القادمة التي ستخلقها؟!

- لم أعد أكتب أعمالًا خيالية، أو على الأقل ليس ما ينعته معظم الناس بالأعمال الخيالية.

- كيف تصفينه أنتِ إذًا؟

- هذه الأيام أكتب عن نفسي فقط؛ لذا أعتقد أنه سيرة ذاتية. يحقق ثلاثة أهداف في آن واحد: يسمح لي بإشباع ميولي الأدبية، ويمنحني وسيلة للتصالح مع الماضي، ويستبعد إمكانية أن تصبح الشخصيات الخيالية حية وتدفعني نحو الجنون.

- فهمت. إذًا أخبريني عن نوبة انهيارك الأخيرة، تلك التي انتهت بالتحاقك بعيادة بارك.

أخذت آنا نفسًا عميقًا وعقدت يديها معًا كما لو كانت تصلي.

- حسنًا، آخر شخصية أصبحت حية كانت بطلة كتاب للأطفال. حكاية سحرية حديثة.

- هل يمكنك أن تخبريني عن القصة؟

- تمحورت حول فتاة صغيرة تدعى شارلوت، فتاة هزيلة ذات شعر أشقر ووجه ملائكي، من النوع الذي تراه في إعلانات البسكويت والشوكولاتة. أنت تعرف هذا النوع.

- كشخصية وليدة لهلوسة، يمكنني التفكير في احتمالات أسوأ.

- نعم، شارلوت كانت محبوبة، الناس وجدوا فيها البراءة والجاذبية. كان والدها ملكًا وعاشوا في قصر على جزيرة.

- كيف بدأت القصة؟

- بمهمة. يومًا ما مرضت شارلوت، مرضت بشدة.

كان فيكتور يستعد لأخذ رشفة أخرى من الشاي، لكنه أعاد كوبه إلى المكتب، وانصب كامل تركيزه على آنا.

- فقدت الكثير من الوزن، أصبحت ضعيفة ومريضة، وأصيبت بأنواع مختلفة من العدوى الغامضة. استشار الملك جميع الأطباء في المملكة واحدًا تلو الآخر، لكن لم يعرف أحد ما الذي تعاني منه ابنته. لم يمضِ وقت طويل قبل أن يصاب الزوجان الملكيان بالذعر. في هذه الأثناء كانت شارلوت المسكينة تزداد سوءًا يومًا بعد يوم.

كان فيكتور مأخوذًا لدرجة أنه نسي أن يتنفس.

- يومًا ما قررت أن تتحكم في مصيرها؛ هربت من المنزل.

- جوزي.

رغم محاولاته القصوى للسيطرة على أفكاره، وجد فيكتور نفسه يفكر في ابنته.

- معذرة؟

قالت آنا بحَيْرة. فمرر فيكتور يده بعصبية عبر شعره. لا بد أنه تحدث بصوت عالٍ.

- لا شيء، لم أقصد المقاطعة. تابعي.

- لذا انطلقت شارلوت في مهمة للعثور على سبب مرضها. أعتقد أنه يمكنك أن تسمي الحكاية كلها حكاية رمزية. عن فتاة صغيرة ترفض الاستسلام وتنطلق إلى العالم الكبير بمفردها.

لا، فكر فيكتور. لا يمكن أن يحدث هذا. تباطأت تروس عقله. وفجأة بدأ يشعر بالشلل ذاته الذي اختبره في عيادة الدكتور جرولكي؛ نفس حالة الجمود التي رافقته كل يوم من أيام حياته حتى قرر أن يتوقف عن البحث عن جوزي.

- هل أنت متأكد أنك بخير، دكتور لارينز؟

- ماذا؟ أوه، آسف...

حدق في أصابع يده اليمنى التي كانت تقرع بعصبية على مكتبه الماهوجني العتيق. وتابع:

- سامحيني، يجب أن أتوقف عن شرب الكثير من الشاي، لكن أخبريني المزيد عن شارلوت: كيف تنتهي القصة؟ ماذا حدث لها؟

«أين ذهبت جوزي؟»

- لا أعرف.

- بالتأكيد تعرفين كيف تنتهي قصتك الخاصة؟

سأل بحدة. بدا السؤال أكثر عدوانية مما نواه، لكن آنا لم تبد مضطربة بأي شكل من الأشكال.

- قلت لك من قبل، دكتور لارينز، لم أتجاوز الفصول القليلة الأولى؛ ولهذا السبب طاردتني شارلوت. هكذا بدأ الكابوس.

«كابوس؟»

- ماذا تعنين؟

- شارلوت كانت آخر من جاء للحياة من شخصياتي، ما عشته معها أرهقني حتى انهرت. في هذا الوقت وُضعت بالعيادة النفسية.

- لنعد للوراء قليلًا، أخبريني بالضبط ما حدث.

علم فيكتور في تلك اللحظات أنه يخالف القواعد. كان باكرًا جدًّا بالنسبة للمريض مناقشة ما تسبب له في الصدمة، لكنه كان بحاجة لأن يعرف. أحنت آنا رأسها وحدقت في الأرض، لكنه واصل بإصرار، وإنما بنبرة أكثر لطفًا:

- متى رأيت شارلوت لأول مرة؟

- قبل نحو أربع سنوات في برلين.. في الشتاء.

يوم 26 نوفمبر، فكر فيكتور.

- كنت في طريقي إلى أحد المتاجر عندما سمعت صوتًا مروعًا: صرير الإطارات، معدن يتصادم، زجاج ينكسر، بدا كحادث سيارة. أتذكر أنني فكرت «آمل ألا يكون أحد قد أصيب»، ثم استدرت لأرى فتاة في وسط الطريق، جامدة في مكانها. كان واضحًا أن الحادث بسبب خطئها.

جلس فيكتور جامدًا في كرسيه.

- فجأة، كما لو أنها شعرت بوجودي، استدارت وابتسمت لي. تعرفت عليها على الفور؛ شارلوت الفتاة الصغيرة من كتابي. ركضت وأمسكت بيدي.

بذراعين هزيلتين، شديدتي الرقة.

- بدا وكأن عقلي توقف عن العمل. من ناحية، علمت أن شارلوت ليست حقيقية؛ لا بد أنها هلاوس. ومن ناحية أخرى، ها هي تقف بجانبي. في النهاية، كان عليّ أن أصدق ما تراه عيني؛ لذا تبعتها.

- تبعتها؟ إلى أين؟ أين ذهبت؟

- لماذا؟ هل هذا مهم؟

سألت آنا بارتباك وهي ترمش بعينيها. بدت مضطربة.

- لا على الإطلاق. آسف، تابعي.

تنحنحت آنا ووقفت.

- إذا لم تمانع، دكتور لارينز، أود أن آخذ استراحة. أعلم أنني ضغطت عليك للدخول في هذه المحادثة، لكنني اعتقدت أنني جاهزة، وأنا لست كذلك. كانت الهلاوس مرهقة للغاية. ليس من السهل عليّ مناقشتها.

- أتفهم.

قال فيكتور، محاولًا أن يبدو متعاطفًا رغم أنه تمنى بشدة أن تستمر. وقف هو الآخر.

- لن تضطر إلى القلق بشأن إزعاجي لك مجددًا. لو واتانا الحظ، ستعمل العبّارة غدًا.

لا!

حاول فيكتور بشكل محموم أن يفكر في سبب يجعلها تبقى. لا يستطيع أن يسمح لها بمغادرة الجزيرة، رغم أن هذا بالضبط ما طلب منها أن تعده به. تردد مضطربًا في وسط الغرفة:

- سؤال أخير: ما اسم الكتاب؟

- لم أكن قد قررت، كان لدي فقط عنوان مؤقت: تسعة.

- تسعة؟

- كانت شارلوت في التاسعة من عمرها عندما هربت من المنزل.

- أوه.

أصغر من جوزي. كان فيكتور مندهشًا من نفسه؛ لأنه أوشك حقًّا أن يصدق قصة آنا. في الواقع، تمنى كثيرًا أن تكون هلاوسها مرتبطة بطريقة ما بما حدث.

تقدم بضع خطوات نحوها وأدرك أن أعراضه تزداد سوءًا. الأسبرين لم يفعل شيئًا للتخلص من الصداع النصفي، صدغاه لا يزالان ينبضان، وعيناه تدمعان. وهناك وقفت آنا أمامه، لكن ملامحها بدت مشوشة، كما لو أنه يراها عبر كأس ماء. رمش بعينيه، فتحسنت رؤيته قليلًا. وعندما نظر مرة أخرى، رأى تعبيرًا على وجهها لم يستطع فك شفرته. ثم أدرك: هو وآنا التقيا من قبل. كان يعرفها منذ وقت طويل، لكنه لم يستطع تحديد متى أو كيف. كان مثل التعرف على ممثلة دون معرفة الشخصيات التي لعبتها أو ما اسمها في الحياة الحقيقية.

ساعدها بعشوائية على ارتداء معطفها ورافقها إلى الباب. توجهت آنا للخارج، ثم استدارت فجأة. كاد فمها أن يلامس وجهه.

- أوه، تذكرت، أنت سألت عن عنوان الكتاب.

- نعم؟

تراجع فيكتور خطوة بعصبية للخلف:

- لا أعتقد أن المعلومة ذات صلة، لكن الكتاب كان له عنوان فرعي. الغريب أنه لم يكن له أي علاقة بالقصة. جاءتني الفكرة في الحمام وتبعتها لأنها بدت نوعًا ما مضحكة.

- ما هو؟

لجزء من الثانية تساءل لو أنه يريد حقًّا أن يعرف، ثم فات الأوان.

- القطة الزرقاء. لا تسألني لماذا. كنت سأضع صورة قطة زرقاء على الغلاف.

***

10

- حسناً، دعنا نفهم هذا الأمر بوضوح أكثر...

علم فيكتور أن المحقق البدين يهز رأسه بعدم تصديق على الطرف الآخر من الخط. اتصل بالمحقق الخاص فور مغادرة آنا المنزل. سأل المحقق:

- أنت الآن تخبرني أن مريضة نفسية ظهرت على عتبة بابك في باركام ؟

- هذا صحيح.

- وهذه المرأة مقتنعة بأنها مطاردة من قبل شخصيات من كتبها الخاصة.

- نعم.

- وتريد مني أن أكتشف إذا ما كانت الهلوسات التي تخيلتها السيدة... ما اسمها مرة أخرى؟

- آسف، كاي، لكني أفضل عدم القول. إنها مريضة - ليست مريضتي - لكنها مريضة على أي حال. كل ما تخبرني به هو سر إلى حد ما.

- وأنت تظن أن هلوسات السيدة -التي لا اسم لها- لها علاقة باختفاء جوزي؟

- هذا صحيح.
- هل تعرف ما أظن؟
- تظن أنني مجنون.
- هذا تعبير مبسط لما أعتقده فعلًا.
- لا ألومك، كاي. لكن لا يمكنني تجاهل ما أخبرتني به؛ لأنه متفق مع ما حدث بصورة كبيرة حقًّا!
- لا يمكنك، أم أنك لا ترغب؟

تظاهر فيكتور بأنه لم يسمع:

- فتاة صغيرة تعاني من مرض غامض وتختفي بدون أثر. وليس في أي مكان بل في برلين.
- حسنًا، لكن ربما كذبت تلك المرأة عندما قالت إنها لم تقرأ الصحف. ماذا لو أنها تعرف بشأن جوزي؟
- فكرت في هذا أيضًا، لكن مشاكل جوزي الصحية لم تكن معلومة عامة.

تذكر فيكتور كيف نصحتهم الشرطة بعدم الكشف عن معلومات تتعلق بمرض جوزي؛ لأن وسائل الإعلام ستستغل قصة الأعراض الغامضة وتضخم القضية.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك ميزة أخرى لإخفاء التفاصيل، كما أوضح الضابط الشاب المسؤول عن التحقيق، «إنها تعطينا وسيلة لتحديد الخاطف الحقيقي. نحن نتوقع جميع أنواع المكالمات من الانتهازيين الذين يزعمون أنهم يحتجزون جوزي على أمل الحصول على أموالكم».

أثبتت هذه الطريقة فاعليتها. دفعت المطالبات بالحصول على معلومات عن جوزي إلى موجة من المكالمات من أشخاص يزعمون جميعًا أنهم الخاطفون. ردًّا على السؤال: «كيف حال جوزفين؟» أجابوا دائمًا أنها «على ما يرام» أو «بخير، بالنظر إلى الظروف». كلتا الإجابتين كانت خطأ بالتأكيد؛ لأن جوزفين تفقد وعيها يوميًّا وكان من غير المحتمل أن يكون اختطافها قد حسن صحتها. قال المحقق الخاص:

- حسنًا يا دكتور، إذًا القصة حول فتاة صغيرة تمرض وتهرب من المنزل. حتى الآن كل شيء على ما يرام، لكن ماذا عن تلك التفاصيل حول القصر الملكي والجزيرة؟
- من الناحية العملية، شوينفردر جزيرة. يمكن الوصول إليها فقط من برلين، زيهليندورف عبر جسر. والمنزل في الأساس قصر، أنت قلت ذلك بنفسك. أما عن الأشياء المتعلقة بالأميرة، فكانت إيزابيل تطلق على... أو بالأحرى إيزابيل تسمي ابنتنا أميرتها الصغيرة. كل شيء متطابق.
- اسمع، فيكتور، لا تفهمني خطأ. نحن يعرف بعضنا بعضًا منذ أربع سنوات الآن، وأود أن أصدق بأننا صرنا أصدقاء، لكن يجب ألا تأخذ هذه المرأة على محمل الجد. لم تخبرك بشيء لم تكن تعرفه بالفعل. قصتها مثل الأبراج الفلكية، عامة وغامضة بحيث لا تشكل أي فائدة.
- أنت على الأرجح محق، لكنني مدين لجوزي بأن أتحقق من كل خيط محتمل، مهما كان غير مرجح.

- حسنًا، أنت المسؤول، لكن دعنا نذكر أنفسنا بالحقائق. آخر مشاهدة موثوقة لجوزفين جاءت من زوجين مسنين شاهدا رجلًا يخرج من عيادة الدكتور جرولكي مع فتاة صغيرة. لم يعترضوا الرجل؛ لأنهم افترضوا أنه والدها. دعم شهادتهم الرجل الذي يدير الكشك في الزاوية. ابنتك اختطفت من قبل رجل في منتصف العمر. وكانت تبلغ من العمر اثني عشر عامًا ليس تسعة.

- لا تنس القطة الزرقاء! دمية جوزي المفضلة كانت قطة زرقاء محشوة تدعى نيبوماك.

- يا إلهي! فلنفرض أن هذه المرأة اختطفت ابنتك، لماذا ستأتي إليك؟ تختبئ مع جوزي لمدة أربع سنوات، ثم فجأة تقفز على متن عبّارة منطلقة إلى باركام . هذا لا معنى له.

- أنا لا أقول إنها مسؤولة عن اختفاء جوزي، أنا أقول إنها تعرف شيئًا، هذا كل شيء. وسأبذل قصارى جهدي لاستخراج المعلومة منها أثناء الجلسات معها.

- هل ستراها مجددًا؟

- دعوتها لجلسة دردشة أخرى صباح الغد. آمل أن تأتي، كنت غير ودي بعض الشيء في البداية.

- لماذا لا تهاجم الهدف مباشرة، وتسألها عما تعرفه عن جوزي؟

- كيف؟

- أرها صورة.. اسألها لو أنها تعرفها، وإذا قالت نعم، اتصل بالشرطة.
- لدي فقط نسخة من مقالة في جريدة. لم أحضر أي صور جيدة لها.
- يمكنني أن أرسل لك واحدة بالفاكس.
- لا يستحق ذلك العناء، لن أتمكن من استخدامها على أي حال.
- لِمَ لا؟
- من ناحية، لو أن مريضتي تقول الحقيقة بأنها مصابة بالفصام، كمعالج عليّ أن أكسب ثقتها. أشارت بالفعل إليّ بأنها لا تريد الحديث عما حدث. إذا اعتقدت أنني أتهمها بارتكاب جريمة، فلن تتحدث معي مجددًا. ستنغلق تمامًا. لا أستطيع أن أخاطر بذلك إذا كان هناك أي احتمال بأن جوزي قد تكون على قيد الحياة. إنها أملي الأخير.

الأمل.

- أتعلم، فيكتور، الأمل مثل شظية زجاج. يكفي أن تطأه، وستتألم مع كل خطوة. السياسة الأفضل هي أن تزيله بالملقاط. بالطبع، سيؤلمك بشدة وسيستغرق الجرح وقتًا ليلتئم، لكن بعدها ستعود قادرًا على المشي مرة أخرى. هناك شيء يسمى الحداد، ويجب عليك أن تجربه. فقدت ابنتك منذ أربع سنوات! بحق الله، فيكتور، قصة متشابكة من فم مريضة نفسية ليست بالضبط خيطًا واعدًا!

بدون علم المحقق الخاص، كانت خطبته تلك عن طبيعة الأمل قد قدمت لفيكتور الجواب عن السؤال الثاني لمجلة بونتي.

- حسنًا، كاي، سنعقد صفقة؛ سأتوقف عن البحث عن جوزي مقابل خدمة أخيرة.

- ما هي؟

- اكتشف إذا ما كان هناك أي سجل لحادث سيارة وقع في محيط عيادة جروهلكي بين الساعة 15:30 والساعة 16:15 في 26 نوفمبر. هل يمكنك فعل ذلك لي؟

- نعم، لكن في الوقت نفسه أريدك أن تتراجع عما تفعل، وتضع كل طاقتك في إنهاء مقابلتك اللعينة. هل فهمت؟

شكره فيكتور ببساطة على المساعدة.

بدا من السخافة أن يقدم وعدًا لا ينوي الوفاء به.

***

11

قبل ظهور الحقيقة بثلاثة أيام - باركام

بونتي: من الواضح أنك قضيت فترة مرهقة للغاية، ما الذي ساعدك على التأقلم؟

ضحك فيكتور. بعد لحظات ستبدأ جلسته التالية مع آنا، هذا بالطبع إن أتت. رتبا للقاء في اليوم السابق، لكن آنا رفضت الالتزام بالموعد. العمل على إجابة أسئلة المقابلة كان وسيلة لتشتيت نفسه. وقد اختار عمدًا أسهل سؤال لكي يبعد عقله عن التفكير في شارلوت وجوزي.

ما الذي ساعدك على التأقلم؟

لم يكن بحاجة للتفكير في الإجابة، تلخصت تلك في كلمة واحدة: الكحول.

في البداية اعتاد تناول رشفة أو اثنتين، ولكن كلما طالت مدة اختفاء جوزي، احتاج إلى المزيد لتخدير الألم. في النهاية صار يشرب بمعدل كوب كامل لكل فكرة سيئة تأتيه. الكحول قمَع الذكريات، وأعطاه بعض الإجابات أيضًا. أو ليكن أكثر تحديدًا، الكحول كان في حد ذاته الجواب.

س: أبقيت جوزي على قيد الحياة لو أنك راقبتها عن كثب؟

ج: فودكا.

س: لماذا انتظرت نصف ساعة في عيادة الدكتور جرولكي بدلًا من إطلاق الإنذار؟

ج: أبسولوت أو سميرنوف. لا يهم طالما أن هناك ما يكفي.

استلقى فيكتور على ظهره وحدق في السقف. كان متلهفًا لسماع نهاية قصة آنا. لم تأته أي أخبار من كاي عن حادث السيارة، لكنه لم يكن مستعدًّا للانتظار. كان بحاجة إلى معرفة ما حدث بعد ذلك. كان بحاجة إلى مزيد من التفاصيل، التفاصيل التي قد تكشف عن روابط جديدة، مهما كانت بعيدة عن المنطق. وكان بحاجة إلى شراب.

ضحك مرة أخرى. سيكون من السهل إقناع نفسه بأن هناك أسبابًا طبية مشروعة لإضافة رشفة من الكحول إلى الشاي. بعض أنواع الكحول اعتُبرت مفيدة ضد نزلات البرد، لكن فيكتور ترك مساعديه الموثوقين على البر الرئيسي وجاء إلى باركام وحده. على مدار السنوات القليلة الماضية، أجرى معظم محادثاته مع زجاجتين من جيم بيم وجاك دانيالز. في الواقع، صب معظم اعتماده عليهما، حتى إن فكرة واحدة شغلت عقله حد الهوس، متى يمكنه اللجوء إليهما مرة أخرى؟

حاولت إيزابيل التدخل؛ تحدثت معه، اعتنت به، واسته، توسلت إليه.

عندما انتهت مرحلة الغضب، فعلت ما تنصح به أي زوجة لمدمن كحوليات: تركته، ودون حتى وداع انتقلت إلى فندق. لم تتصل به حتى. لم يلاحظ غيابها إلا عندما نفدت المؤن وشعر بالوهن الشديد حتى إنه كان عاجزًا عن الخروج من المنزل، ليعبر منطقة ليدو وانسي المزدحمة إلى محطة الخدمات.

ثم جاء ألم الامتناع عن شرب الكحول، الإفاقة ومعه سيل الذكريات.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أول سن نبت في فم جوزي.

أعياد ميلادها.

بدايتها في المدرسة.

تقديم الدراجة كهدية عيد الميلاد.

الرحلات بالسيارة.

وألبرت.

ألبرت.

فيكتور نظر من النافذة إلى البحر المظلم. كان غارقًا في التفكير لدرجة أنه لم يسمع خطوات خفيفة في الممر.

ألبرت.

إذا كان هناك سبب واحد جعله يتوقف عن الشرب، فقد كان هو.

في الأيام التي امتلك فيها فيكتور حياة ووظيفة، اعتاد مغادرة المكتب في الخامسة مساءً ليسلك الطريق السريع باتجاه طريق

سبانيش ألاي. بعد تقاطع فونكتورم مباشرة مر بالمدرجات المتداعية التي كانت في الأزمنة الغابرة مليئة بالمشاهدين الذين يستمتعون بأمسياتهم في مراقبة السباقات في مضمار أفوس السريع، الذي تحول الآن إلى الطريق السريع A115.

عندما يعدل من طريقه، اعتاد رؤية رجل عجوز مع دراجة قديمة نسائية يقف بجانب فجوة في السور. انتظر العجوز في نفس المكان تقريبًا كل مساء يراقب السيارات المارة. كان هذا هو الجزء الوحيد من الطريق السريع من ويدينغ إلى بوتسدام الذي لم تَحجبه حواجز الضوضاء والشاشات الطويلة. وعندما مر فيكتور بسرعة مئة كيلومتر في الساعة، كان يتساءل لماذا يهتم شخص بمشاهدة الأضواء الخلفية للسيارات تمضي واحدة تلو الأخرى.

لم يكن لدى فيكتور الوقت الكافي للنظر إليه عن كثب. مر به مئات المرات، لكنه كان دائمًا يقود بسرعة كبيرة لدرجة أنه لم يتمكن من رؤية تعبير وجهه. على الرغم من لقاءاتهم اليومية تقريبًا، لم يكن ليستطيع التعرف عليه في الشارع.

في إحدى الأمسيات، بعد نزهة عائلية ذهبوا فيها إلى مهرجان الشعب الفرنسي-الألماني في راينيكندورف، لاحظت جوزي أيضًا.

- ماذا يفعل؟

سألت وهي تلتفت لمشاهدته من خلال النافذة الخلفية.

- إنه مضطرب.

أجابت إيزابيلا بلا مبالاة ولم يبدُ على جوزي الرضا من تلك الإجابة:

- أعتقد أن اسمه ألبرت.

تمتمت بلطف بصوت يكفي فقط ليسمعه فيكتور.

- لماذا ألبرت؟
- لأنه وحيد وعجوز.
- فهمت. وهل الرجال العجائز الوحيدون يُدعون ألبرت؟
- نعم.

قالتها ببساطة، وهكذا تم الأمر. من ذلك الحين فصاعدًا لم يعد الرجل العجوز غريبًا، وأخذ فيكتور يلاحظ نفسه وهو يومئ له أثناء قيادته عائدًا من العمل.

- مرحبًا، ألبرت!

بعد عدة سنوات، عندما أفاق من سطوة الكحول على أرضية الحمام الرخامية، أدرك أن ألبرت كان يبحث عن شيء أيضًا. مهما كان الشيء الذي فقده ألبرت، كان من الواضح أنه يحاول العثور عليه في تيار المرور العابر. كان هو وألبرت من الطينة ذاتها. قفز فيكتور إلى سيارته الفولفو وأسرع إلى الفجوة في السور. حتى من بعيد استطاع أن يرى أن العجوز لم يكن هناك. لا في ذاك اليوم ولا التالي ولا الذي يليه. لم يعد ألبرت موجودًا في أي مكان. وعرف فيكتور بالضبط ما أراد سؤاله عنه:

- عذرًا، كنت أتساءل ما الذي كنت تبحث عنه؟ هل فقدت شخصًا أيضًا؟

لكن ألبرت رفض بشدة أن يظهر. رحل.

مثل جوزي.

في اليوم الثامن عشر من القيادة إلى مكان ألبرت القديم، استسلم فيكتور وقاد عائدًا إلى المنزل ليبدأ في زجاجة أخرى. كانت إيزابيل تنتظره عند الباب. سلمته رسالة، كانت من محرر بونتي يطلب مقابلة.

- دكتور لارينز؟

تشتت أفكاره مع الصوت. وقف فجأة، صادمًا ركبته اليمنى بالمكتب، ثم استنشق جرعة من الشاي كانت في فمه، وبدأ يسعل بشكل محموم.

- يا إلهي!

قالت آنا التي وقفت خلفه مباشرة.

- إنها غلطتي يا دكتور، لم يكن عليّ مفاجأتك هكذا مرة أخرى.

بقيت في مكانها، تراقب بهدوء وهو يكافح للحصول على الهواء.

- الباب فُتح بمجرد أن طرقت. أنا آسفة للغاية.

علم فيكتور عن يقين أن الباب كان مقفلًا، لكنه قَبِل اعتذارها بإيماءة. رفع يده إلى رأسه وأدرك أنه يتصبب عرقًا. سألت من جديد:

- تبدو أسوأ من الأمس، دكتور. ربما ينبغي أن أذهب.

كان يشعر بنظراتها وقد انصبت عليه، وفجأة أدرك أنه لم يقل كلمة.

- لا، ابقي.

قال بصوت أعلى قليلًا مما قصد. أمالت آنا رأسها إلى الجانب كما لو أنها لم تفهم كلماته تمامًا. فكرر:

- ابقي، سأكون بخير. اجلسي. أنا سعيد لأنك جئت. هناك بضعة أشياء أود أن أسألك عنها.

***

12

خلعت آنا وشاحها ومعطفها وجلست براحة على الأريكة. عاد فيكتور إلى وضعه المعتاد على المكتب. نقر على الحاسوب وتظاهر بأنه يراجع الملاحظات عن حالتها بينما -في الواقع- حُفظت المعلومات في رأسه. كان هذا مجرد حيلة ليكسب لنفسه الوقت، كان بحاجة إلى تهدئة أعصابه إذا أراد استجواب آنا حول ما تعرفه.

بينما كان ينتظر أن يتباطأ معدل ضربات قلبه إلى معدل مقبول، أدرك أنه سيحتاج إلى قدر كبير من التركيز ليراقب عن كثب حديث آنا. نال منه التعب؛ الإرهاق والكسل الذي يأتي مع السهر طوال الليل، والأسوأ هو أنه كان يشعر كما لو أن الجزء الخلفي من جمجمته أسفل مطرقة حداد. أمسك رأسه ليوقف الخفقان ونظر إلى البحر.

كانت الأمواج المتلاطمة زرقاء داكنة، تزداد ظلامًا مع تراكم السحب فوقها. الرؤية محدودة لعدة أمتار فقط، وبدا أن الأفق يقترب بثبات من الشاطئ. راقب فيكتور انعكاس آنا في النافذة. كانت تصب لنفسها فنجان شاي، وتنتظر منه أن يبدأ. أمال كرسيه نحوها.

- أود أن أتابع من حيث توقفنا، إذا سمحتِ.

- بالطبع.

رفعت آنا الفنجان الرقيق إلى فمها، وتساءل فيكتور ما لو أن أحمر شفاهها - لون مُحافِظ أكثر من درجات الأحمر- سيترك بقعة على خزف الميسن.

- قلتِ إن شارلوت غادرت دون إخبار والديها.

- صحيح.

ابنتي ليست هاربة، فكر فيكتور. بعد التفكير في الأمر طوال الليل، توصل إلى استنتاج مفاده أن اختفاء جوزي بالتأكيد حمل أكثر من مجرد محاولة طفولية للهرب من المنزل؛ لأنها ببساطة لم تكن من هذا النوع.

- انطلقت شارلوت في مهمة لاكتشاف سبب مرضها.

قالت آنا.

- هذا هو جوهر القصة، أو الصفحات الثلاث والعشرين الأولى على الأقل؛ فتاة صغيرة تصاب بالمرض، لا يمكن علاجها، وتهرب من المنزل. هذا هو قدر ما وصلت إليه.

- قلتِ إنك لم تتمكني من إنهاء القصة، لماذا في رأيك؟

- أخشى أنه السبب الأكثر اعتيادية على الإطلاق. نفد مني الإلهام وتخليت عن المشروع. حفظت الفصول الافتتاحية في مجلد على جهاز الكمبيوتر الخاص بي ولم أفكر فيها مرة أخرى.

- حتى ظهرت شارلوت.

- بالضبط. ظهورها كان نقطة تحول. لم أكن جديدة على الفصام، رأيت ألوانًا، سمعت أصواتًا، التقيت بشخصيات من قصصي، لكن شارلوت كانت مختلفة. هذه المرة كانت الهلوسة حقيقية بشكل لا يصدق.

لأنها لم تكن هلوسة؟

رفع فيكتور كوبه وتساءل ما إذا لو أن الطعم المر جاء من الشاي أو من بخاخ الأنف الذي كان يستخدمه لإزالة الرشح، حتى حاسة التذوق لديه تأثرت بزكامه.

- قلتِ إن شارلوت كانت على وشك أن تُدهس بواسطة سيارة.

- نعم، كانت هذه أول مرة رأيتها فيها.

- إلى أين قدتِها بعدها؟

قالت آنا بحزم.

- العكس هو الصحيح، هي التي قادتني، أنا فقط تبعتها.

- كيف تفسرين دافعها؟

- أرادت أن تعرف لماذا اقتصرت قصتها على فصلين فقط. قالت: «أريد أن أكون بخير مرة أخرى. ما الذي سيحدث بعد ذلك؟» طلبت مني أن أكمل الكتاب.

- بعبارة أخرى، تم توجيهك للاستمرار في الكتابة بواسطة شخصية أنشأتها أنتِ؟

- بالضبط.

على أي حال، كنت صريحة تمامًا معها، أخبرتها أنني لا أعرف كيف تنتهي القصة؛ لذا لم يكن هناك شيء يسعني فعله.

- بِمَ أجابت عن هذا؟

- أخذتني من يدي ووعدت أن تريني من أين بدأت القصة. قالت: 'ربما ستفكرين في نهاية عندما ترين من أين بدأ كل شيء'.

أين بدأ ماذا؟

- إلى أين أخذتك؟

سأل.

- لا أعرف اسم المكان، لكننا استقللنا السيارة لفترة للوصول إليه. كان الأمر ضبابيًّا بعض الشيء.

- أخبريني بأكبر قدر ممكن من التفاصيل.

- عدنا إلى سيارتي وأخذنا الطريق السريع المتجه غربًا. الله وحده يعلم أي مخرج أخذنا. الشيء الرئيسي الذي أتذكره هو أن شارلوت ربطت حزام الأمان. جنون، أليس كذلك؟ شخصيتي الخيالية كانت خائفة من الأذى. غرابة الأمر أثرت بي في ذلك الوقت.

بالنسبة لفيكتور، كان الأمر منطقيًّا تمامًا. والدة جوزي علّمت طفلتها ارتداء حزام الأمان في كل وقت.

- كم من الوقت استغرق الوصول إلى هناك؟

- أكثر من ساعة. مررنا عبر قرية صغيرة، أتذكر رؤية بعض المباني القديمة، طرازها الهندسي روسي على حد اعتقادي.

تصلب فيكتور، منتظرًا بقلق ما سيسمعه، ممسكًا بمقعده مثل مريض في عيادة الأسنان.

- كانت هناك كنيسة روسية أرثوذكسية على تل وسط بعض الغابات. عبرنا جسرًا، واستمررنا لبضعة كيلومترات على الطريق، ثم انعطفنا إلى طريق في غابة.

استمع بعدم تصديق. لا...

- قدنا كيلومترًا آخر وتوقفنا في ممر ضيق. أوقفت السيارة.

لا، لا يمكن أن يكون...

اضطر فيكتور إلى إجبار نفسه على عدم القفز من كرسيه والصراخ بأعلى صوته. كان يعرف المكان الذي تصفه. قاد إلى هناك معظم عطلات نهاية الأسبوع.

- أين ذهبتما بعد ذلك؟

- سرنا على مسار. كان علينا أن نسير في ممر واحد ضيق، لكنني رأيت أنها تأخذني إلى مبنى، بيت خشبي صغير مثل كوخ ولكن أجمل، ولم أر مكانًا أجمل من هذا المكان من قبل.

كوخ خشبي في منطقة مفتوحة. توالت أفكاره متسارعة، أسرع من كلمات آنا، التي تابعت:

- كان البيت الوحيد لعدة أميال. الغابة استمرت إلى ما لا نهاية؛ أشجار دائمة الخضرة، وأشجار الزان والبتولا.

بعض الأشجار فقدت أوراقها، وكان هناك سجادة ناعمة من أوراق الخريف الغنية بالألوان على الأرض. الطقس كان باردًا بالنسبة لنوفمبر، لكن كان هناك دفء في المكان. في ذلك الوقت بدا حقيقيًّا، لكن كل شيء كان جميلًا بشكل مبالغ فيه، لدرجة أنني لا أستطيع إلا أن أتساءل إذا ما كان جزءًا من الوهم مثل شارلوت؟

تساءل فيكتور نفسه عن الشيء ذاته. كان من الصعب معرفة أي تفسير سيكون أفضل؛ هل يريد أن تكون هلاوس آنا مرتبطة باختفاء ابنته؟ أم من الأفضل التفكير في أن التشابهات كلها مجرد صدفة. كان عليه أن يكون حذرًا بشأن إسقاط ذكرياته عن جوزي على قصة آنا. بعد كل شيء، الكوخ الذي تصفه لم يكن بالضرورة كوخه. كانت هناك عشرات من الممتلكات المشابهة في جميع أنحاء هافيلاند.

كان يعرف بالضبط كيف يمكنه أن يعرف.

- إذًا أنتِ وشارلوت كنتما تقفان خارج الكوخ. ماذا سمعتِ هناك؟

نظرت إليه آنا بريبة.

- هل تعتقد أن هذا سيساعد في علاجي؟

لا، لكنني بحاجة إلى أن أعرف.

- نعم

كذب.

- لا شيء، لم أكن أسمع شيئًا. أتذكر أنني كنت أفكر في مدى الهدوء. كان الأمر مثل الوقوف على قمة أعلى جبل بلا شيء حولك على مدى أميال.

اعترف فيكتور بإجابتها بإيماءة جادة، بالكاد يسيطر على الرغبة في تحريك رأسه للأمام والخلف بشكل جنوني مثل معجب بموسيقى الميتال. هذا بالضبط ما توقع أن تقوله. يعرف دون أدنى شك المكان الذي أخذت فيه شارلوت آنا. غابة ساكرو، بين سبانداو وبوتسدام، كانت مشهورة بهدوئها. الهدوء أول شيء يلاحظه سكان المدينة عن المكان.

بدت آنا وكأنها تخمن سؤاله التالي.

- سألت شارلوت: أين نحن؟ لكنها كانت تعتقد بوضوح أنه ينبغي عليّ أن أعرف. قالت بغضب: ‹ألا تعرفين هذا المنزل؟ اعتدنا أن نأتي إلى هنا معظم عطلات نهاية الأسبوع، خاصة في الصيف. قضيت آخر يوم جيد لي في هذا الكوخ قبل أن تحدث المشكلة›.

- قبل أي مشكلة؟

استفسر فيكتور.

- افترضت أنها كانت تتحدث عن مرضها، لكنني لم أرغب في السؤال. بدا أن طرح الموضوع يثير غضبها. قالت بغضب: ‹أنتِ الروائية›، مشيرة إلى الكوخ. ‹حدث شيء ما هناك، ومن وظيفتكِ أن تكتبيه!›

- هل فعلتِ؟

- كان عليّ أن أعرف ما الذي حدث. كانت شارلوت واضحة بأنها تعتزم ملازمتي حتى أنهي الكتاب، لكن لن أتمكن من وصف الكوخ دون الدخول إليه. كسرت الزجاج في الباب الخلفي ودخلت.

جوزي تركتها تقتحم الكوخ؟ لماذا لم تستخدم المفتاح الاحتياطي؟

- ظننت أنني سأتمكن من معرفة ما الذي جعل شارلوت مريضة.

- وهل فعلتِ؟

- لا. لم أكن أعرف ما الذي أبحث عنه. فوجئت بحجم الكوخ. توقعت العثور على ثلاث غرف صغيرة لا أكثر، لكن كان هناك مطبخ فسيح، وحمامان، وصالة بها مدفأة، وعدة غرف نوم على الأقل.

ثلاث غرف نوم، صحح فيكتور المعلومة لها في صمت.

- فتشت جميع الخزانات والأدراج، بحثت في كل مكان، حرفيًّا في كل مكان، بما في ذلك خزانة المرحاض. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا؛ لأن المكان كان شبه فارغ. الأثاث كان غاليًا لكنه بسيط.

اختيار إيزابيل: فيليب ستارك وبعض قطع باوهاوس الراقية.

- هل دخلت شارلوت معكِ؟

سأل فيكتور.

- رفضت عبور العتبة. مهما كان الذي حدث، لابد أنه كان صادمًا للغاية. واصلت البحث في الداخل بينما كانت تقف على الشرفة وتهتف بالتعليمات.

- هل يمكنكِ إعطائي مثالًا؟

- كان الأمر غامضًا نوعًا ما. كانت تقول أشياء مثل: «لا تبحثي عما يمكنكِ رؤيته، ابحثي عما هو مفقود!»

- هل شرحت ماذا كانت تعني؟

- لا. أردت أن أسألها، لكن لم يكن هناك وقت للأسئلة.

- ماذا حدث؟

- لا أحب الحديث عن ذلك، دكتور لارينز.

- من المهم أن تحاولي.

التردد في عينيها ذكّر فيكتور بكيفية انغلاقها تمامًا في اليوم السابق.

- هل يمكننا التحدث عن ذلك غدًا؟ أريد أن أذهب إلى البيت.

قالت بتوسل.

- لن يكون ذلك حكيمًا، من الأفضل أن ننهي القصة.

شعر بالصدمة من نفسه لأنه خدع مريضة. آنا جاءت إليه من أجل العلاج، لكن هذا كان استجوابًا.

ساد الصمت بينما بدأت آنا تفكر. في البداية كان واثقًا من أنها ستنهض وتغادر، لكنها وضعت يديها في حضنها وتنهدت.

***

13

تابعت آنا:

- لم ألاحظ أن الضوء قد بدأ يخفت، لكن فجأة لم أتمكن من رؤية أي شيء. كانت الساعة على الأغلب الرابعة والنصف. الغروب كان مبكرًا في ذلك الوقت من السنة. على كل، ساد الظلام في البيت؛ لذلك عدت إلى غرفة الجلوس، استعرت ولاعة من فوق المدفأة واستخدمت اللهب الصغير لإضاءة طريقي في الممر. في نهاية الممر كان هناك باب لم ألاحظه من قبل، بدا وكأنه خزانة مكانس أو شيء من هذا القبيل.

غرفة جوزي. فكر فيكتور بينما واصلت:

- أردت أن ألقي نظرة أقرب، لكنني سمعت أصواتًا.
- أي نوع من الأصوات؟
- في الحقيقة، كان صوتًا واحدًا، صوت رجل. لم يكن يتحدث، كان يبكي. بدا وكأنه يئن لنفسه. جاء الصوت من الغرفة في نهاية الممر.
- كيف عرفت؟
- كان الأنين يزداد كلما اقتربت.

- ألم تشعري بالخوف؟
- تمكنت من البقاء هادئة لبعض الوقت، لكن عندها بدأت شارلوت تصرخ.
- لماذا؟

سأل فيكتور بصوت أجش. شعر بانغلاق حلقه عندما تحدث.

- أرادت مني أن أغادر. كانت تصرخ بأعلى صوتها: «إنه قادم! إنه قادم!»
- من كانت تعني؟
- لا أعرف. في اللحظة التي بدأت فيها شارلوت تصرخ، توقف الأنين. كنت أمام الباب تمامًا والمقبض بدأ يتحرك. شعرت بتيار هواء وانطفأت الولاعة، ثم خطرت لي فكرة مرعبة.
- ما هي؟
- الخطر الذي حذرتني منه شارلوت كان هنا طوال الوقت.

***

رن الهاتف. هرع فيكتور - الذي كان يتلهف لطرح السؤال التالي- إلى المطبخ للرد على المكالمة. إيزابيل هي من أصر على تركيب ذاك الهاتف الذي يعمل باللمس؛ لأنها رفضت البقاء في منزل لا هاتف فيه.

- مرحبًا. لست متأكدًا إذا ما كانت هذه أخبار جيدة أم سيئة.

قال كاي دون مقدمات.

- تحدث بسرعة.

همس فيكتور، لم يرغب في أن تسمع آنا.

- حسنًا، حادث السير. خصصت أحد أفضل رجالي للبحث عنه، وأشرفت بنفسي على جزء منه. نعلم شيئين مؤكدين؛ أولًا: اصطدمت بضع سيارات في شارع أوهلاند بعد ظهر يوم 26 نوفمبر.

توقف قلب فيكتور لبرهة، ليعود وينبض بسرعة مخيفة.

- ثانيًا: ليس له علاقة باختطاف ابنتك.

- ما الذي يجعلك متأكدًا جدًّا من هذا؟

- رجل تعثر في الطريق وكاد أن يُدهس. وفقًا للشهود كان ثملًا. لم يكن هناك أي أثر لأي طفل.

- أنت تقول إن...

- أقول إنه سواء كان مريضًا بالفصام أم لا، مريضتك تلك ليست لها علاقة بمشكلتنا.

- جوزي ليست مشكلة.

- لا، بالطبع لا. أنا آسف فيكتور، لم أقصد ذلك.

- لا بأس كاي، يجب ألا أشعر بالإهانة. اعتقدت فقط أننا بدأنا نحقق تقدمًا.

- أعلم كم هذا مزعج بالنسبة لك.

كلا، أنت لا تعلم، فكر فيكتور. لم يتمنَّ هذا المصير لأحد. لم يكن لدى كاي أي فكرة عن كيفية فقدان كل شيء، والشعور بالبؤس لدرجة أن كل بصيص أمل يبدو ساطعًا بشكل لا يصدق.

- هل وجدوا الرجل؟
- أي رجل؟
- الرجل الثمل. هل استجوبوه؟
- لا، لكن هذا لا يغير حقيقة أنه لم يرَ أحد امرأة أو طفلًا. نفس الحقائق ظهرت في جميع شهادات الشهود: رجل ثمل تمايل عبر الطريق واختفى في موقف السيارات في مول كودام كاري، كان قد رحل قبل أن يطلب أي شخص بياناته. أنت تعرف مدى ازدحام تلك المتاجر الكبيرة. من يدري ما إن كان هناك لشراء..
- لا بأس كاي، أفهم. أقدر مساعدتك، لكن يجب أن أذهب الآن.
- هل المريضة النفسية تلك عندك؟
- نعم، إنها في الغرفة الأخرى.
- كنت تستجوبها مرة أخرى، أليس كذلك؟
- نعم.
- توقعت ذلك. حسنًا، يمكنك تركي خارج هذا الموضوع برمته. في المرة القادمة ستخبرني أنك وجدت دليلًا جديدًا. أعتقد أنك وجدت بعض التشابهات الأخرى؟
- ربما.
- حسنًا، دكتور، هذا ما عليك فعله الآن. يجب أن تطردها. أيًّا كانت من تكون، فهي لا تفيدك. قلت إنك ستذهب

إلى باركام لإيجاد بعض السلام النفسي. عليك أن تعتني بنفسك وليس بها، هناك العديد من الأطباء النفسيين الآخرين الذين يمكنهم مساعدتها.

- لا أستطيع إعادتها إلى البر الرئيسي حتى يتحسن الطقس، ولا يمكنني طردها هكذا!

- إذًا أخبرها ألا تزعجك مجددًا.

علم فيكتور أن كاي على حق. غادر برلين على أمل أن يضع نهاية لمعاناته، لكن جوزي لا تزال حاضرة في عقله. وكانت هناك أجزاء من قصة آنا لا تبدو منطقية. كان قد سمع ما أراد سماعه ونسي الباقي. جوزي تبلغ من العمر اثني عشر عامًا وليس تسعة. لم تكن من النوع الذي قد يهرب من المنزل، وعرفت جيدًا أين تجد مفتاح الكوخ في الغابة. لم تكن لتسمح لغريب أن يخرب بابهم.

- حسنًا؟

أعاد صوت كاي فيكتور إلى الواقع.

- ماذا؟

- تذكر ما وعدت به؟ أنا سأتحقق من حادث السيارة، وأنت ستوقف البحث. عليك التوقف عن البحث عنها، فيكتور. أنت فقط تنبش في جروح قديمة.

- بالتأكيد، لكن..

- عقدنا اتفاقًا.

- فقط استمع لي.

- ماذا؟

- لا توجد جروح قديمة، فقط جديدة، لم تلتئم بعد.

***

14

وضع فيكتور السماعة بهدوء، وتوجه بخطى متثاقلة نحو غرفة الجلوس، يترنح قليلًا كما لو كان على متن قارب.

- أخبار سيئة؟

كانت آنا قد وقفت وتستعد للمغادرة. قال بصراحة.

- لست متأكدًا. هل ستذهبين؟
- نعم، أحتاج إلى الاستلقاء لمدة ساعة أو نحو ذلك. أعتقد أنني قللت من تقدير مدى إرهاق هذه الجلسات. هل يمكنني العودة غدًا؟
- نعم. أعني، ربما.

كان فيكتور لا يزال يفكر في الاستجابة لنصيحة كاي. تابع:

- قد أكون مشغولًا غدًا. لماذا لا تتصلين بي؟ من الناحية العملية، ليس من المفترض أن أقابل أي مرضى، وأنا متأخر في عملي الآخر.
- بالطبع.

شعر فيكتور أن آنا تدرس تعابير وجهه، وتتساءل عما أدى إلى تغير مزاجه، لكنها إما حسنة التأديب للغاية أو شديدة الذكاء بالقدر الذي ساعدها لإخفاء تساؤلها ذاك.

بمجرد أن غادرت المنزل، التقط جهازه اللوحي ليبحث عن رقم الفندق حيث تقيم زوجته في نيويورك. كان لا يزال يتصفح قائمة جهات الاتصال عندما رن الهاتف للمرة الثانية في ذلك اليوم.

***

- شيء آخر يا فيكتور.

قالها كاي مواصلًا:

- ليس لهذا علاقة بالأمر الآخر، أعني ليس له علاقة بجوزي. فقط ظننت أنك تريد إصلاحه قبل أن يجعل الطقس الأمور أسوأ.
- إصلاح ماذا؟
- تلقيت اتصالًا من شركة أجهزة الإنذار. لم يتمكنوا من التواصل مع أي شخص في شواننفيردر؛ لذا حاولوا الاتصال بي بدلًا من ذلك.
- يا إلهي، تم السطو على بيتي!
- ليس بالضبط. على حد علمنا، لم يؤخذ شيء. وفيلتك كما تركتها، لا تقلق.
- إذًا ما المشكلة؟
- اقتحم شخص ما الكوخ الخاصة بك في ساكرو. كُسر زجاج النافذة الخلفية!

***

15

راقبه فيكتور بعين صقر كما يقال، كما لو أنه يطير متابعًا إياه. كانت المسافة بينهما أربعمائة واثنين وستين كيلومترًا، تضم امتدادًا مائيًّا يبلغ خمسين ميلًا بحريًا، لكن فيكتور تابع كل حركة يقوم بها. تابع تقدم كاي ستراثمان عبر الكوخ. الضوضاء في الخلفية على هاتفه كانت كل ما يحتاجه لتحديد موقعه بالضبط. كان المحقق الخاص قد قاد سيارته إلى ساكرو بأوامر منه لتفقد الأضرار في الكابينة، والتحقق من قصة آنا.

- حسنًا، أنا في المطبخ.

وصل صوت صرير حذاء كاي الرياضي إلى مسامعه على طول الطريق من ساكرو إلى باركام كسلسلة من النبضات الكهربائية.

- حسنًا؟

قال فيكتور بصبر نافد.

- هل لمس أحدهم أي شيء؟

ثبت السماعة بين كتفه وذقنه، والتقط الهاتف القديم ذي القرص وقام بخطوتين بعيدًا عن المكتب. نفد السلك قبل أن يصل إلى الأريكة، فتوقف في منتصف الغرفة.

- إذا سألتني، لم يأت أحد هنا منذ فترة طويلة. أتمنى لو أقوم بتنظيف تلك الأسطح قبل أن تدعو أي ضيوف.

- لم نزر الكوخ منذ أربع سنوات.

قال فيكتور بنبرة حادة، عالمًا أن كاي سيندم على سخريته.

- هذا مفهوم، دكتور.

تلك المسافة القصيرة التي كان عليه مشيها عبر الغابة قد أثرت على المحقق الخاص البالغ وزنه 120 كيلو. كان حريصًا على إبعاد هاتفه المحمول عن فمه، لكن فيكتور سمع أنفاسه الثقيلة على أي حال.

- لا شيء يستدعي الاهتمام سوى النافذة المكسورة. وبناء على ما أراه أمامي، ليس لهذا علاقة بجوزي، أيًّا كان ما قالته لك مريضتك النفسية.

- ما الذي يجعلك متأكدًا من ذلك؟

- الأضرار حديثة جدًّا. نحن نتحدث عن أيام وليس أشهرًا، وبالتأكيد ليس سنوات.

- كيف تعرف؟ هل يمكنك معرفة ذلك من الشظايا؟

رفع فيكتور صوته ليطغى على صوت الأبواب التي تُفتح وتغلق. كان كاي يتفقد الخزائن والثلاجة.

- فيكتور، هناك ثقب كبير لعين أحدثه الكسر. لتوقعت رؤية مدى الضرر على الأرضية؛ ثلوج، أمطار، أوراق شجر. ناهيك عن جحافل الحشرات. لا يوجد أي علامة أو بقعة في الأفق، فقط طبقة سميكة من الغبار، كما هو الحال في كل مكان.

- شكرًا لك كاي، فهمت الصورة.

سار فيكتور -الذي بدأت ذراعاه تؤلمانه- بالهاتف مرة أخرى إلى طاولة القهوة.

- على ما يبدو أن شارلوت طلبت من مريضتي ‹البحث عما هو ناقص›. أود منك أن تتحقق مما إذا كان هناك شيء قد سُرق.

- أي شيء معين؟ لوحة لبيكاسو؟ مِضرب مطبخ؟ كيف لي أن أعرف ما الناقص؟ سأحتاج إلى جرد كامل. بالمناسبة، لا توجد بيرة في الثلاجة، إذا كان هذا ما تعنيه.

- سنبدأ بغرفة جوزي.

قال فيكتور متجاهلًا مزاح كاي.

- إنها في نهاية الممر بجانب الحمام.

- أنا في طريقي.

توقف حذاء كاي عن الصرير الآن بعد أن خرج من المطبخ ومضى في الممر المبلط. أغلق فيكتور عينيه وعدَّ الخطوات الخمس عشرة التي سيخطوها المحقق الخاص للوصول إلى باب جوزي.

- تفضل بالدخول!

هذا ما كُتب على اللافتة التي سيراها كاي عندما يبحث عن المقبض. في خلال لحظة سيسلط مصباحه إلى داخل الغرفة. صوت صرير المفصلات أكد أنه هناك.

- حسنًا، أنا بالداخل.

- حسنًا؟

- ظهري للممر وأنظر إلى الغرفة. كل شيء يبدو طبيعيًّا.

- أخبرني بما ترى.

- فقط الأمور المعتادة؛ سرير بأربعة أعمدة، الستائر بالتأكيد تحتاج إلى غسيل، سجادة ناعمة على الأرض، أصبحت الآن موطنًا لمستعمرة من العث. ربما هي السبب في الرائحة.

- أي شيء آخر؟

- ملصق كبير ذو إطار لإرني وبيرت، إنه على الجدار المقابل للسرير.

- إرني وبيرت. كان...

مسح فيكتور الدموع من عينه اليمنى وصمت. لم يرغب في أن يسمع كاي الرجفة في صوته. كان هدية مني.

- شارع سمسم[1]، أعلم. إلى اليسار هناك رف من إيكيا، إذا لم أكن مخطئًا. هل تريدني أن أسرد الألعاب؟ فيل محشو، بضع شخصيات من ديزني..

- انتظر! تراجع قليلًا.

قال فيكتور.

- ماذا؟

- تذكرت شيئًا. هل يمكنك الاستلقاء على السرير؟

- لو أن هذا يسعدك - نعم.

---

(1) برنامج أطفال أمريكي.

ثلاث خطوات، بعض الحفيف والسعال. جاء صوت كاي عبر الهاتف.

- آمل أن يتحمل الوزن. الفراش يحتج بالفعل.

- انتبه، كاي. أود أن تخبرني بما تراه.

- حسنًا، على يساري نافذة. أفترض أن الغابة في مكان ما بالخارج لكن حان الوقت لتنظيف الزجاج. وكما قلت، الملصق ينظر مباشرة إليّ.

- هل هذا كل شيء؟

- حسنًا، من هذه الزاوية الرف على اليمين و...

- لا.

أوقفه فيكتور.

- هل هناك أي شيء آخر أمامك؟

- لا. وإذا لم تمانع...

تشوش الخط، مبتلعًا الكلمات القليلة التالية.

- أنا... السرير اللعين، حسنًا؟

- حسنًا.

- استمع، فيكتور، سئمت من هذا الهراء. لماذا لا تخبرني بما تبحث عنه؟

- أعطني لحظة.

أغلق فيكتور عينيه وركز على الكوخ. بعد لحظة كان يسير عبر الغابة نحو الباب. صعد الدرجات، خلع حذاءه ووضعه في

الخزانة الهندية المنحوتة يدويًّا في الممر. ألقى نظرة إلى غرفة المعيشة حيث كانت إيزابيل مستلقية على أريكة رولف بنز البيضاء بجانب المدفأة، تقرأ العدد الأخير من مجلة غالا. استنشق رائحة خشب الصنوبر المحترق واستمتع بشعور كونه في منزل يستمد دفئه من رضا سكانه.

علت الموسيقى من الجزء الخلفي من المنزل. خلع معطفه وذهب ليجد جوزي. ارتفع صوت الموسيقى كلما اقترب. ضغط على المقبض، فتح الباب، وانبهر من ضوء الشمس المتدفق عبر النافذة. ثم رآها. كانت جالسة على طاولة تزيين بحجم الأطفال، تجرب طلاء الأظافر البرتقالي الذي يخص إحدى صديقاتها. لم تكن قد سمعت دخوله بسبب الموسيقى. الموسيقى تأتي من التلفاز، الذي كان مضبوطًا على...

- ظننت أنك ستخبرني بما أبحث عنه.

قال كاي، مقاطعًا أفكاره. فتح فيكتور عينيه.

قناة الأغاني.

- تلفاز.

- تلفاز؟

- نعم، سوني.

- لا، لا يوجد تلفاز.

- وطاولة تزيين بمرآة دائرية.

- أيضًا لا، ما لم تكن في غرفة أخرى.

- هذا هو المفقود إذًا.
- طاولة تزيين وتلفاز؟ آسف يا فيكتور، لكن هذا لا يبدو مثل عملية سرقة عادية.
- لأنه ليس كذلك.

رد فيكتور، متأكدًا أكثر من أي وقت مضى أن هناك صلة بين آنا وجوزي. لا تسألني كيف، لكن سأكتشف ذلك.

- على أي حال، لقد تعرضت للسرقة. ألا تعتقد أنه يجب علينا الاتصال بالشرطة؟
- لا، ليس بعد. إذا انتهيت من غرفة جوزي، أود منك أن تفحص باقي المنزل.
- أعتقد ...

كان هناك صوت حفيف في نهاية الخط، واستنتج فيكتور أن كاي يخدش رأسه، ربما في الخلف حيث لا يزال لديه كمية محترمة من الشعر.

- ماذا؟
- ربما يبدو هذا غبيًّا، لكن...
- أنا أستمع، كاي.
- حسنًا، إذا كنت تريد أن تعرف رأيي، الغرفة تفتقد إلى أكثر من مجرد قطعة أثاث.
- عذرًا؟

تنحنح المحقق الخاص بعصبية.

- كانت جوزي في الثانية عشرة، أليس كذلك؟
- ما علاقة ذلك بأي شيء؟
- الأجواء ليست صحيحة. أمضيت فترة طويلة في هذا المجال بما يكفي لأثق في حدسي، وحدسي يقول لي إن هذه ليست غرفة لطفلة في الثانية عشرة.
- هل يمكنك أن تكون أكثر تحديدًا؟
- ليس لديّ أطفال، لكن ابنة أختي لورا على وشك أن تصبح في الثالثة عشرة. اللافتة على بابها لا تقول «تفضل بالدخول!»، بالعكس تمامًا، آخر مرة زرتها منعتنا جميعًا من دخول غرفتها.
- جوزي كانت طفلة جيدة، لم تكن متمردة.
- أنا لا أتحدث عن التمرد، أنا أتحدث عن غرفة مراهقة عادية. ملصقات فرق الأولاد على الجدران، تذاكر حفلات موقعة مثبتة على المرآة، بطاقات بريدية من الأولاد في المدرسة... هل تفهم ما أعنيه؟

شيء ما مفقود.

- بصراحة، لا.
- ما أقوله هو أنه لا يوجد مراهق يحترم نفسه يريد العيش في غرفة كهذه. أين نسخ مجلة برافو؟ أعني، بصدق يا فيكتور، من سمع بطفلة في الثانية عشرة تشاهد شارع سمسم؟ ابنة أختي تحب إيمينيم وليس إرني وبيرت!

- من هو إيمينيم؟
- بالضبط، هذا ما أعنيه، إنه مغني راب. سأخبرك عن كلمات أغانيه في وقت آخر.
- ما زلت لا أرى وجهة نظرك.
- سألت إذا كان هناك شيء مفقود، وأنا أقول لك: نعم. كنت أتوقع رؤية صندوق مقفل مليء برسائل غرامية. توقعت رؤية شمعة في زجاجة نبيذ مع شمع يقطر على الجانب. وأنت على حق تمامًا، توقعت رؤية طاولة تزيين.
- لكن قبل لحظة قلت إن كل شيء يبدو طبيعيًّا.
- بالتأكيد، إذا كنا نتحدث عن غرفة لطفلة في الثامنة. كانت جوزي في الثانية عشرة.
- كنا نأتي هنا في عطلات نهاية الأسبوع فقط، تذكر. معظم أغراضها كانت في برلين.
- أنت من سأل. كنت أخبرك برأيي لا أكثر.

قال كاي مُطلقًا تنهيدة.

سمع فيكتور صوت باب الغرفة ينغلق، ومعه اختفى تخيله للكوخ في ساكرو، وكأن جهاز العرض احترق في منتصف الفيلم.

- إلى أين تذهب؟
- آسف، دكتور، يجب أن أتبول. سأتصل بك لاحقًا.

قبل أن يتمكن فيكتور من الاحتجاج، انقطعت المكالمة، انقطع الاتصال. هرب كاي. انتظر فيكتور بجانب الهاتف وحاول فهم كل شيء.

أعاد مراجعة الحقائق؛ شخص ما اقتحم الكوخ خلال الأيام القليلة الماضية. وجوزي كانت كبيرة جدًّا على غرفتها. لم يستطع التفكير في الأمر أكثر؛ لأنه اضطر للرد على الهاتف. لم يتوقع أن يتصل كاي بهذه السرعة.

- فيكتور؟

بالحكم على الضجيج الخلفي، كان المحقق الخاص قد غادر الكوخ، وكان واقفًا في الغابة.

- انتظر، لا يمكنك المغادرة بعد! لم نتفقد الغرف الأخرى. أردت أن أطلب منك..

- فيكتور!

بدا المحقق مضطربًا، نبرة الذعر واضحة في صوته.

- ما المشكلة!

سأل فيكتور مذعورًا بدوره.

- سأتصل بالشرطة.

- لماذا؟ ماذا حدث؟

جوزي.

- وجدت دليلًا في الحمام، كان هناك شخص هنا ظهيرة اليوم.

- بحق المسيح كاي، أي دليل!

- دماء على البلاط، في الحوض، في المرحاض.

أخذ نفسًا عميقًا.

- فيكتور، المكان كله مغطى بالدماء.

***

16

الغرفة 1245- عيادة برلين النفسية والعصبية

رن جهاز استدعاء الدكتور روث في اللحظة التي توقف فيها فيكتور لأول مرة في سرد قصته الطويلة التي استمرت لساعة.

- تذكر أين توقفت، دكتور.

قال الطبيب النفسي وهو يفتح الباب الثقيل. اختفى في الممر لاستخدام الهاتف في القسم. وكأنني أستطيع أن أنسى، فكر فيكتور. يعلم الله أنني حاولت التخلص من الذكريات. النسيان كل ما أطمح إليه، سيكون بمثابة حرية.

بعد دقيقتين، كان الدكتور روث قد عاد بجانب سريره. جلس على كرسي غير مريح من البلاستيك الأبيض. هذه أول مرة يوضع فيها كرسي كهذا -الذي كان مشهدًا شائعًا في الأقسام الأخرى- بجانب هذا السرير بالذات. المرضى الذين يوضعون بالغرفة 1245 نادرًا ما يتلقون زيارات من أي نوع.

- أخبار جيدة وأخبار سيئة.

أبلغ الطبيب النفسي.

- ابدأ بالأخبار السيئة.

- الأستاذ مالزيوس يريد أن يعرف أين أنا في خطة العلاج. بدأ يفقد صبره.

- وماذا عن الأخبار الجيدة؟

- لديك زوار قادمون، لكنهم لن يصلوا قبل السادسة.

أومأ فيكتور برأسه فقط. كان لديه فكرة جيدة عن هوية الزوار، وتعبير روث بدا أنه يؤكد حدسه.

- هذا يعطينا أربعين دقيقة.

- أربعون دقيقة لتخبرني بالضبط ما حدث.

مد لارينز أطرافه بقدر ما سمحت له القيود.

- مقيد في السرير في سن السابعة والأربعين.

قال مبتسمًا، وهو يهز القيود حول معصميه وكاحليه. تظاهر الدكتور روث بعدم السماع. كان يعلم ما يشير إليه فيكتور، لكنه لم يستطع تلبية طلبه.

- إذًا، أحدهم اقتحم الكوخ الخاص بك. لماذا لم تتصل بالشرطة؟

سأل مستأنفًا من حيث توقفوا.

- عملت الشرطة على القضية لمدة أربع سنوات ولم تجد شيئًا. علمت أنني أحرز تقدمًا ولم أرغب في أن يفسدوا الأمور.

أومأ الدكتور روث بتعاطف.

- وفي غضون ذلك كنت عالقًا في باركام، وكان كاي هو نقطة الاتصال الوحيدة لك مع العالم الخارجي.

- نعم.
- كم من الوقت استمر الوضع على هذا النحو؟ متى أدركت من كانت آنا؟ وماذا حدث لجوزي؟
- يومين. كان يجب أن أدرك ذلك في وقت أقرب. المشكلة كانت.. لرؤية الحقيقة كنت بحاجة إلى إعادة التفكير من البداية، إعادة التفكير ومراجعة ما حدث، لكنني كنت مشغولًا بالنظر إلى الأمام. لو أنني توقفت للحظة، للاحظت أن حل اللغز كان واضحًا.
- وكاي كان قد أخبرك للتو أن حمّامك كان مغطى بالدماء.
- نعم.
- ماذا حدث بعد ذلك؟
- كان الظلام قد حل؛ لذلك لم أتمكن من فعل الكثير سوى حزم أمتعتي. كنت أخطط لمغادرة الجزيرة في العبّارة التالية المتاحة. رغبت في مقابلة كاي وفهم الوضع. كما اتضح، كنت مضطرًّا للبقاء. اشتدت الرياح طوال الليل وسيطر البرد على جسدي. هل يمكنك أن تتخيل كيف هو الشعور بحروق الشمس في كل مكان؟

أومأ الدكتور روث.

- هكذا كان الأمر. يوصف في الإعلانات التجارية بأنه ‹ألم عضلي وعدم راحة عام›، لكن هناك دائمًا جزء من الجسم يستمر في التحمل.

- العقل، أعتقد.
- هذا صحيح. كنت بحاجة إلى الراحة؛ لذا تناولت حبتين من المهدئات ودعوت أن يتحسن الطقس.
- لكن العبّارة لم تستطع الإبحار؟
- لا، بقيت محاصرًا بسبب إعصار أنتون. أصدر خفر السواحل تحذيرًا خاصًّا لسكان باركام ، ينصحنا بالبقاء داخل المنازل إلا في حالات الطوارئ. لكن في حالتي كانت الطوارئ جارية بالفعل.
- مشكلة أخرى؟
- اختفاء، وفي منزلي أيضًا.
- من كان هذه المرة؟

رفع فيكتور رأسه قليلًا وعبس.

- قبل أن نمضي قدمًا، أود أن أقترح صفقة، سأخبرك بباقي القصة بشرط واحد.
- ما هو؟
- أن تعطيني حريتي.

ابتسم الدكتور روث بابتسامة مُحرجة وزفر الهواء من أنفه. ناقشا الأمر سابقًا بالفعل.

- أنت تعلم أنني لا أستطيع فعل ذلك، ليس بعد اعترافك. لن أفقد وظيفتي ورخصتي فحسب، بل يمكن أن أُرسل إلى السجن أيضًا.

- أعلم، أوضحت ذلك في المرة الأولى. سأضطر فقط إلى تحمل المخاطرة.
- أي مخاطرة؟
- سأخبرك بالقصة، القصة كاملة، وعندما أنتهي يمكنك أن تقرر ماذا تفعل.
- دكتور لارينز، من المؤكد أنك تدرك أن الأمر ليس بيدي، أنا هنا لأستمع إليك، لأتحدث معك، لكنني لست في وضع يسمح لي بالمساعدة، بغض النظر عن عدد المرات التي تطلب فيها ذلك.
- حسنًا. كما قلت، أنا مستعد لتحمل تلك المخاطرة. استمع إلى باقي القصة وربما تغير رأيك.
- لا أراهن على ذلك.

أراد فيكتور أن يرفع يديه مهدئًا، لكنه كان مقيدًا إلى السرير.

- سنرى.

أغلق عينيه وغاص الدكتور روث في كرسيه للاستماع إلى الفصل التالي في القصة، الفصل التالي في مأساة فيكتور.

***

17

قبل ظهور الحقيقة بيومين - باركام

زال تأثير الأقراص وسُحب فيكتور من نومه الخالي من الأحلام. على الرغم من رغبته في البقاء في الفراغ الخالي من الألم الذي خلقه له المهدئ، لكن الدواء قد خفف قبضته المخدرة على وعيه وتسربت الأفكار المظلمة إلى عقله.

آنا.

شارلوت.

جوزي.

الدم على أرضية الحمام...

جلس فيكتور ببطء وكاد ينهار مرة أخرى على الوسائد. ذكّره ثقل جسده المفاجئ برحلة الغوص في جزر البهاما قبل سنوات مع إيزابيل. ارتدوا معدات الغوص، ولم يلاحظ وزن المعدات حتى جاء وقت الصعود إلى القارب وبدا أنه يزن آلاف الأطنان. شعر بثِقل مماثل على جسده الآن، لكن هذه المرة كان بسبب أقراص المهدئ، أو ربما الإنفلونزا هي المُلام.

يا لها من حال مزرية تلك التي وضعت نفسك فيها، فكر وهو يستجمع ما يكفي من القوة للترنح إلى خارج فراشه. الآن لا تعرف إذا ما كنت في هذه الحالة بسبب الحبوب أو لأنك مريض حقًّا.

شعر بالقشعريرة في بيجامته المبللة بالعرق؛ لذلك أخذ رداءً حريريًّا من على الخطاف على الباب وسحبه على كتفيه. ثم توجه مترنحًا نحو الحمام الذي -لحسن حظه- كان على بُعد بضعة أمتار فقط. لم يكن عليه التعامل مع السلالم، على الأقل ليس بَعد.

صُدم لرؤية انعكاسه في المرآة. الآن يعرف بالتأكيد أنه مريض. عيناه بدت زجاجية بلا حياة، ملامحه متعبة، بشرته شاحبة رمادية، وقطرات العرق اجتمعت على جبهته. لكن هذا كان جزءًا فقط من المشكلة. يمكنني أن أشعر بوجود خطأ ما.

حدق في انعكاسه وحاول أن يستوضح شكله بالضبط. لم ينجح. كلما ركز أكثر على المرآة، أصبح انعكاسه أكثر ضبابية.

'حبوب لعينة'. تمتم وهو يتجه إلى الكابينة لتشغيل صنبور الاستحمام. دفع الرافعة إلى اليسار وسحبها للأعلى، تاركًا الماء يجري. كالمعتاد، أخذ المولد القديم وقتًا طويلًا لتسخين الماء، لكن على الأقل لم يكن عليه أن يستمع إلى إيزابيل تشتكي من الهدر.

انحنى فيكتور فوق الحوض الرخامي وحدق في المرآة مرة أخرى. شعر بتعب مخدر يغمره. بدا صوت الماء في الحمام وكأنه يعزز كآبة أفكاره.

أشعر بوجود خطأ ما، لكن ماذا؟ كل شيء ضبابي.

سحب نفسه بعيدًا عن انعكاسه، علق منشفة على الباب، ودخل إلى الكابينة الزجاجية المُبخرة. رائحة معطر أكوا دي بارما الحادة نفذت إلى أنفه ومنحته دفعة. أنهى استحمامه وهو يشعر بتحسن كبير. التدفق الدافئ من الماء قد أزال الطبقة الخارجية من الألم وسمح لها بالانسياب في البالوعة. لو كان فقط قادرًا على أخذ أفكاره.

أعرف أن هناك خطأ ما، أن هناك شيئًا مختلفًا.

عجز عن فك اللغز.

بحث فيكتور في الخزانة وأخرج زوجًا قديمًا من سروال ليفايز وقميصًا برقبة دائرية زرقاء. عرف أن آنا ربما ستزوره. في الواقع، أراد أن تأتي حتى يسمع الجزء التالي من قصة شارلوت، أو ربما القصة كاملة. لكن تعسر عليه ارتداء الملابس المناسِبة لهذه المناسبة. ستتحمل رؤيته بملابسه غير الرسمية، وعلى الأرجح لن تكترث كثيرًا.

نزل فيكتور السلالم ممسكًا بالدرابزين الخشب تحسبًا. ذهب إلى المطبخ، ملأ الغلاية الكهربائية، أحضر كيس شاي من الخزانة، واختار كوبًا كبيرًا من بين صفاف الأكواب الخشبية بين الحوض والفرن. جلس وظهره للنافذة المبللة بالمطر، متجاهلًا السحب الداكنة التي تتجمع مُتوعِدة فوق باركام، وحاول التركيز على فطوره. لكن أفكاره رفضت الخضوع لروتين الصباح.

هناك شيء مفقود، ما هو؟

وقف ليحضر الحليب، ورأى لمحة من انعكاسه في السطح الزجاجي للموقد. بدا أكثر ضبابية، ضبابية لدرجة أن وجهه ظهر مشوهًا. ثم أدرك ما هو الخطأ.

اختفى! تحركت نظراته إلى أسفل الموقد واجتاحت البلاط الرخامي.

استحوذ عليه نفس الشعور المروع، الشعور بالتوجس الذي أخذه أمس وهو يرشد كاي في ساكرو. ترك كوبه وركض إلى الردهة. فتح باب غرفة الجلوس بعنف، واندفع نحو مكتبه.

كومة من الملفات، نسخة مطبوعة من البريد الإلكتروني من بونتي، الكمبيوتر المحمول المفتوح، كل شيء كان هناك.

لا، كان هناك شيء مفقود.

أغلق فيكتور عينيه، آملًا أن يعود كل شيء إلى طبيعته عندما يفتحهما مرة أخرى، لكنه لم يكن مخطئًا. لم يتغير شيء عندما نظر إلى الغرفة مرة أخرى. انحنى ونظر تحت المكتب. لا شيء.

سندباد كان مفقودًا.

ركض إلى مؤخرة المطبخ وفحص الغرفة. لا شيء.

لم يكن هناك أي إشارة على وجود سندباد، طبق طعامه كان مفقودًا بدوره، وكذلك معلبات الأكل خاصته. طبق الماء وبطانيته الصغيرة أسفل المكتب. وكأن الكلب الريتريفر الذهبي لم يخطُ إلى المنزل على الإطلاق، لكن فيكتور كان مشغولًا أكثر مما يجب ليلاحظ حتى.

***

18

وقف على الشاطئ، والمطر ينهمر على وجهه، وحاول أن ينظم أفكاره. الغريب في الأمر أنه لم يشعر بالانهيار بالضبط. حزين، نعم، لكن ليس غارقًا في الحزن حد الانهيار. منذ أن فقد جوزي، عاش في خوف من كارثة كهذه. أولًا ابنته، ثم كلبه، كلاهما اختفيا دون أثر.

الضربة المزدوجة هي بالضبط السبب الذي لم يجعله ينصح مريضًا يعاني من الحزن بالتفكير في اقتناء حيوان أليف. كثيرًا ما يحاول الأزواج والزوجات المحطمون استبدال أحبائهم بكلب، فقط ليتعرض الحيوان الثمين للدهس تحت عجلات سيارة.

مفقود أو ميت.

كان سندباد مفقودًا. فيكتور أبدى تعجبه مجددًا من رباطة جأشه. حتى الآن، لم يعانِ من انهيار عصبي، لم يركض صارخًا في القرية، أو يطرق أبواب الجيران. كل ما فعله هو ترك رسالة على جهاز الرد الآلي لهالبيرستاد، وسارع للخارج للبحث عن سندباد على الشاطئ. الآن، على بعد نحو مئتين وخمسين مترًا من الكوخ، كان ينقب في الأخشاب الطافية. لم يكن هناك أي علامة على آثار الكلب الذهبي، وكأن العلامات لم تكن هناك منذ البداية.

«سندباد!»

كان يضيع وقته. من ناحية لم يكن للكلب أن يسمعه، ومن ناحية أخرى لن يطيعه بالتأكيد. سندباد كان يصاب بالذعر بسهولة لدرجة أن الأصوات البريئة، مثل القرقعة غير المتوقعة من المدفأة، تكاد تقتله. الألعاب النارية كانت أسوأ بآلاف المرات؛ كان على إيزابيل أن تخلط المهدئات في طعام سندباد في ليلة رأس السنة. وسندباد قد هرب مرة من جروينوالد إلى شوانينفيردر بعد سماعه طلقة واحدة في الغابة. وبالطبع انطلق فيكتور وإيزابيل يصيحان ويصفّران من أجله بلا جدوى.

كان هدير الأمواج كافيًا لإخافة كلب أشجع من سندباد، وتساءل فيكتور كيف استجمع الكلب الشجاعة لمغادرة المنزل. لم يكن هذا منطقيًّا، خاصة وأن الأبواب كانت مقفلة. فتش فيكتور كل شبر بالكوخ، ممشطًا الغرف من الطابق السفلي إلى العلية. لا شيء. كان كوخ المولد مغلقًا من الخارج، لكنه فتشه رغم ذلك. بالطبع يدرك أن الكلاب لا تستطيع فتح الأقفال، ولكن أين يمكن أن يكون سندباد؟ يجب أن يكون في مكان ما على الجزيرة. إلا إذا...

استدار فيكتور بسرعة ومسح طول الساحل. شعر بموجة قصيرة من الفرح عندما اكتشف حركة طفيفة على الجانب الداخلي من الشاطئ. شيء ما كان يقترب وكان كبيرًا بما يكفي ليكون كلبًا، ولكن سرعان ما تحطمت آماله. كان المخلوق داكنًا جدًّا ليكون كلبًا ذهبيًّا. شخصًا وليس كلبًا. امرأة ترتدي معطفًا داكنًا.

آنا.

- من الجيد رؤيتك وقد خرجت لاستنشاق بعض الهواء النقي.

نادت من على بُعد عشرة أمتار أو نحو ذلك. الرياح مزقت كلامها، قاذفة بعض المقاطع الصوتية إلى البحر. كان من الصعب سماع ما تقول بوضوح.

- قليل من الناس سيغامرون بالخروج في مثل هذا الطقس.

- كنت سأبقى بالداخل لو كان لدي الخيار.

صاح فجأة وهو يدرك التهاب حلقه. اختفاء سندباد جعله ينسى أمر تعبه.

- لماذا؟ هل هناك خطب ما؟

توقفت على بُعد خطوات قليلة منه، وكان فيكتور مندهشًا لرؤية أن حذاءها اللامع كان نظيفًا بلا عيب. تساءل كيف تمكنت من اجتياز الطريق من القرية دون أن تتسخ قدماها.

- أبحث عن كلبي.

- كلبك؟

قالت آنا، وهي تثبت وشاح رأسها بيدها اليمنى.

- لم أعلم أن لديك كلبًا.

- لا بد أنك رأيته؛ كلب ذهبي كبير. كان يرقد تحت المكتب.

هزت آنا رأسها.

- لا، لا أستطيع القول بأنني لاحظت كلبًا.

ضرب إنكارها الغريب فيكتور بقوة أكبر من الإعصار. طن رنين في أذنه اليمنى، والفراغ داخله أفسح المجال لخوف مشلّ. تذكر تحذير هالبيرستاد. هناك شيء غريب بشأن تلك المرأة.

اجتمعت قطرات المطر في حاجبيه لتتطاير إلى عينيه. وجه آنا أصبح ضبابيًّا. عادت مقتطفات من محادثتهم الأولى إلى ذاكرته. «ضربته حتى فقد شكله. لم يعد يبدو ككلب عندما انتهيت منه».

انشغل فيكتور بالقلق بشأن أكاذيب آنا وهلوساتها الجنونية عن الاستماع لما كانت تقوله. أدرك فجأة أن شفتيها كانتا تتحركان.

- هل قلت شيئًا، آنسة جلاس؟

- ربما علينا أن ندخل.

كررت بصوت أعلى مشيرة إلى المنزل.

- أنا متأكدة أن كلبك لن يبقى في هذا الطقس.

مدت يدها نحوه. تراجع فيكتور خطوة إلى الوراء بسرعة وأومأ برأسه.

- ربما أنت على حق.

قاد الطريق ببطء نحو المنزل.

كيف يمكن لأي شخص أن يفشل في ملاحظة كلب كبير مثل سندباد؟ تساءل لماذا قد تكذب آنا عليه. ماذا لو أن لها علاقة باختفاء سندباد وكذلك جوزي؟

***

لو كان فيكتور أقل انشغالًا بأفكاره الخاصة، ربما لتذكر النصيحة الأولى التي قدمها له معلمه وصديقه البروفيسور فان درويزين: «ركز دائمًا على المريض؛ استمع جيدًا لما يقوله، وأبقِ عقلك مفتوحًا».

بدلًا من ذلك، استنزف فيكتور نفسه في محاولة غير مجدية لقمع الأدلة التي كانت تبرز الواحد تلو الآخر من لا وعيه. الحقيقة كانت واضحة بالفعل. كانت أمامه، عاجزة ويائسة مثل رجل يغرق في بحيرة متجمدة. لكن فيكتور لارينز رفض أن يخترق الطبقة الرقيقة من الجليد.

لم يكن جاهزًا بعد.

***

19

- ركضنا.

استغرق الحوار وقتًا ليبدأ. كان فيكتور غير قادر على التفكير في أي شيء سوى سندباد، وشارد الذهن خلال الدقائق القليلة الأولى، وعندما بدأ في النهاية بالاستماع، شعر بالارتياح عندما اكتشف أنها لم تقل شيئًا جديدًا. كانت آنا لا تزال تعيد سرد القصة: هي وشارلوت ذهبتا إلى الغابة، وانتظرت شارلوت بينما اقتحمت آنا كوخًا وسمعت رجلًا يبكي في إحدى الغرف.

- ممَّ كنتِ تهربين؟

سأل فيكتور أخيرًا.

- لم أتوقف لأفكر. شعرت فقط أن أيًّا كان ما يختبئ في الكوخ كان يلاحقنا. أمسكت بيد شارلوت وركضنا عبر الثلج إلى السيارة. لم يجرؤ أي منا على النظر إلى الوراء. كنا خائفين مما خلفنا، والطريق زلق جدًّا؛ لذا كان علينا أن نراقب خطواتنا.

- من كان في الكوخ؟ من كان يتبعكما؟

- لا أستطيع الجزم يقينًا. كانت أولويتي الأولى هي إدخال شارلوت إلى السيارة، قفل الأبواب والعودة إلى برلين.

بمجرد أن صرنا على الطريق، حاولت الحصول على بعض الإجابات، لكن شارلوت تحدثت بالألغاز.

- هل تتذكرين ما قالته؟

- أشياء من قبيل: «أنا لست هنا لأعطيك إجابات. سأريك الأدلة، لكن لا يمكنني تفسير معناها. أنت من يكتب هذه القصة، وليس أنا».

اضطر فيكتور للاعتراف بأن قصة آنا صارت خيالية أكثر، وهو ما لم يكن مفاجئًا تمامًا نظرًا لحالتها العقلية. أمل فقط أن تكون تخيلاتها مرتبطة بالحقيقة بأي شكل من الأشكال، مهما كانت الرابطة ضعيفة. في الوقت ذاته لم يستطع إلا أن يدرك أن موقفه تجاه أوهامها كان مرضيًا بعض الشيء. قرر ألا يهتم.

- إلى أين كانت تأخذك؟

- لتريني الدليل التالي. قالت: رأيتِ من أين بدأ كل شيء، حان الوقت لأريك شيئًا آخر.

- الدليل الأول كان الكوخ في الغابة؟

- نعم.

- ماذا حدث بعدها؟

- قالت شارلوت شيئًا غريبًا جدًّا، شيئًا لن أنساه أبدًا.

ضمت آنا شفتيها وتحدثت بصوت مهموس كفتاة صغيرة:

- أريد أن أريكِ مكان وجود المرض.

- مكان وجوده؟

- هذا ما قالته.

ارتجف فيكتور. لم يشعر بالدفء منذ عودته من الشاطئ، وصوت آنا الطفولي غير الطبيعي بدا وكأنه خفض درجة حرارة جسمه درجتين.

- إلى أين ذهبتم؟ هل وجدتم المرض؟

- عدنا إلى برلين عبر جسر غلينكي وشارلوت تمليني الاتجاهات. لا أستطيع تذكر بقية الطريق. أولًا: أنا لم آلف هذا الجزء من المدينة، وأيضًا لم أستطع التركيز؛ لأن حالة شارلوت كانت تتدهور.

شعر فيكتور بالغثيان في معدته.

- ماذا حدث لها؟

- بدأ الأمر بنزيف في الأنف. كنا بالقرب من بحيرة وانسي في ذلك الوقت. توقفت خارج حديقة عامة واستلقت شارلوت في الخلف. توقف النزيف، لكن بعد لحظة...

بدأت ترتجف.

- بدأت ترتجف بشدة. كانت ترتجف بعنف لدرجة أنني أردت أن أندفع بها إلى المستشفى.

ضحكت ضحكة عصبية:

- لكن تذكرت أنها ليست حقيقية. زيارة الطبيب لم تكن لتساعد.

- إذًا لم تفعلي شيئًا؟

- بصراحة، اعتقدت أن هذا الأفضل. بدا من السخافة أن أستجيب لأوهامي، لكن حالة شارلوت استمرت في التدهور. كانت ترتجف بشدة وتتوسل إلى أن آخذها إلى الصيدلية.

كانت بحاجة إلى البنسلين.

- أرادت مضادات حيوية، لكنني علمت أنه لا فائدة؛ كنا بحاجة إلى وصفة طبية لصرفها. حاولت أن أشرح ذلك لشارلوت، لكن نوبات الغضب بدأت. لم أستطع تهدئتها.
- كانت تصرخ في وجهك؟
- تصرخ وتبكي وتصرخ بأعلى صوتها. كان من الرهيب أن أستمع إلى صوتها المتحشرج ذاك.
- ماذا قالت؟
- لامتني على خلقها. أتذكرها تصرخ: «أنت أعطيتني هذا المرض، يجب أن تشفيني!». علمت أنني كنت أتوهم وأنها ليست موجودة، لكن لم يكن هناك فائدة؛ لم أستطع تجاهلها. في النهاية، ذهبت إلى الصيدلية، اشتريت لها الباراسيتامول؛ لأجل صداعها وأقنعت الرجل في الصيدلية أن يعطيني البنسلين. سلم لي الحبوب وقال لي أن أعود بالوصفة من الطبيب في أقرب وقت ممكن. لأكن صادقة مع نفسي، فعلت ذلك من أجل مصلحتي وليس لمساعدة شارلوت؛ كنت أعلم أنني لن أتخلص من أوهامي إلا إذا فعلت ما قالته لي.

- هل نجح ذلك؟
- تحسنت الأمور بالنسبة لي، لكن ليس لشارلوت.

أومأ فيكتور برأسه وانتظر منها أن تشرح.

- أخذت شارلوت حبتين، لكن لا أعتقد أنهما ساعداها. فقد ازدادت سوءًا، بدلًا من التحسن، بدت شاحبة وميتة، لكن على الأقل توقفت عن الصراخ. أعتقد أنني كنت لا أزال في حالة صدمة؛ لأنني لا أستطيع تذكر كيف وصلنا إلى الفيلا بجانب البحيرة.
- لكن تتذكرين الفيلا؟
- كان المكان مذهلًا، ببساطة مذهلًا! لم أرَ قط منزلًا جميلًا كهذا في برلين. لم يبدُ وكأنه ينتمي إلى المدينة حتى، كان أشبه بممتلكات أغنياء الريف. الأرض لابد أنها امتدت بضعة آلاف من الأمتار المربعة، هذا على الأقل، والعشب انحدر نحو حافة الماء. كان هناك شاطئ خاص ورصيف، والمنزل نفسه انتصب ضخمًا. على حد علمي، صُمم وفقًا للمعمار الكلاسيكي مع إضافة بضع لمسات فاخرة؛ نوافذ بارزة وأبراج وما إلى ذلك. لا عجب أن شارلوت أطلقت عليه اسم «القصر».

شفانينفيردر.

مرة أخرى، كان وصف آنا دقيقًا بشكل غريب. سمع فيكتور ما يكفي ليعرف أنها بالتأكيد متورطة. تابعت:

- المنزل والحدائق كانا مدهشين بما فيه الكفاية، لكنني لم أتوقع الفوضى في الخارج. المكان بأكمله كان يعج بالناس والسيارات. اضطررنا إلى النزول والمشي لبضع مئات من الأمتار عبر جسر صغير؛ لأن الطريق كان مكتظًّا بالشاحنات.

- شاحنات؟

- صحيح. كانت متراصة بطول الطريق. الجميع بدا متجهًا... نحو منزلي... فكر فيكتور بينما واصلت:

- في نفس الاتجاه الذي نتجه إليه. الطريق كان ضيقًا جدًّا، واضطررنا أن نشق طريقنا عبره. تجمع حشد كبير على الرصيف في نهاية الممر. لم يلاحظ أحد وصولنا. في الواقع، كانوا جميعًا منشغلين بالتحديق في المنزل. البعض استخدموا مناظير معظمة حتى، والبعض الآخر حملوا عدسات مقربة وكاميرات. لم تمر ثانية دون أن يلتقط هاتف محمول أو كاميرا صورة. تسلق بعض الرجال شجرة للحصول على رؤية أفضل، لكنهم لم يتمكنوا من المنافسة مع المروحية التي دارت فوقهم.

عرف فيكتور أين المنزل بالضبط، بل حتى كان بإمكانه تحديد تاريخ زيارتهم تقريبًا. في الأيام التي تلت اختفاء جوزي، كانت وسائل الإعلام قد فرضت حصارًا على فيلته في شفانينفيردر؛ مما وضع عبئًا لا يُطاق على إيزابيل وعليه.

- فجأة ارتفعت صرخة من الحشد. فتح الباب الأمامي وخرج شخص ما.
- من؟
- عجزت عن استيضاحه، كنا واقفين عند قمة الممر، على بُعد سبعة أو ثمانية مئة متر من المنزل. حاولت أن أسأل شارلوت من يعيش هناك، لكنها تجنبت السؤال. «إنه منزلي» قالت لي. «نشأت هنا». ثم سألت: لماذا أحضرتني إلى هنا؟ فقالت: «ألا تفهمين؟ أنا أعيش في هذا المكان، والمرض يعيش هنا أيضًا».
- المرض؟
- هذا ما قالته. ما استطعت فهمه، كان هناك شيء في المنزل هو سبب مرضها، ولهذا السبب غادرت المنزل؛ أولًا: لتحديد سبب مرضها، وثانيًا: لتحرير نفسها.

إذًا مرض جوزي كان سببه شيئًا في شفانينفيردر.

- كنت لا أزال أحاول تقرير ماذا أفعل بكل هذه المعلومات عندما جذبت كمّي وتوسلت إليّ لكي نغادر. تجاهلتها في البداية؛ لأنني أردت أن أرى الشخص في الممر بشكل جيد. لم أعرف بعد إذا كان رجلًا أم امرأة، لكن كان يبدو مألوفًا بصورة غامضة، أردت أن أبقى. لكن بعد ذلك قالت شارلوت شيئًا غيّر رأيي.
- ماذا قالت؟

- قالت: «علينا أن نذهب. تتذكرين ذلك الشيء في الكوخ؟ لقد تبعنا إلى هنا!».

***

20

- هل يمكنني استخدام حمّامك؟

كان من الواضح أن آنا قررت أخذ استراحة من رواية قصتها؛ لأنها وقفت بسرعة. أومأ برأسه:

- بالطبع.

لم تكن هذه المرة الأولى التي يلاحظ فيها أن آنا تتحدث بطلاقة غير عادية. كما لو كانت تستعيض عن بشاعة روايتها بنطق كل كلمة بانتقاء وعناية.

أراد أن ينهض، لكنه شعر كما لو أن ثقلًا مميتًا يضغط على كتفيه، يمنعه من النهوض.

- الحمّام في...

- في الطابق العلوي، الباب الثاني على اليسار.. أعرف.

حدّق فيها بعدم تصديق، لكنها كانت بالفعل عند الباب ولم تلتفت.

كيف عرفت مكان الحمام؟ كيف؟

تخلى عن خطته للجلوس والانتظار. جمع قوته، وجر نفسه ليقف، سار نحو الباب ووقف. تجمعت بركة من الماء على الأرض حيث تمدد معطف آنا الكشميري، المبلل بالمطر على كرسي بجانب

الأريكة. التقطه لينقله إلى المدخل وصُدم بوزنه. ذلك ليس وزن معطف مبلل بالماء. فحص البطانة الحريرية: جافة تمامًا. لا بد أن هناك تفسيرًا آخر. سمع فيكتور صوت إغلاق باب في الطابق العلوي وقفل يُغلق. كانت آنا في الحمام.

هز المعطف هزة صغيرة وتبع الصوت إلى الجيب الأيمن. دون تفكير حقيقي، دفع يده داخله. بدا الجيب بلا قاع تقريبًا، وكان فيكتور على وشك الاستسلام عندما التقت أصابعه بمنديل، وبعد بضعة سنتيمترات محفظة كبيرة. سحبها بسرعة ووزنها في يده: محفظة آيجنر من مجموعة الرجال. فكر في آنا وأسلوبها الأنيق المهندم بعناية. لِمَ تحتفظ بمحفظة رجل؟ مَن هذه المرأة؟

في الطابق العلوي، صوت تدفق الماء في المرحاض. نظرًا لأن الحمام كان تقريبًا فوق غرفة الجلوس مباشرةً، استطاع فيكتور سماع صوت حذاء آنا ذي الكعب العالي على الأرضية الرخامية، مستنتجًا أن آنا كانت واقفة عند الحوض. وكما لو أنها سمعت أفكاره، سمع صرير الصنبور وصوت المياه تتدفق عبر الأنابيب النحاسية القديمة.

كان الوقت ينفد. فتح المحفظة وفحص الجيب البلاستيكي في الأمام. لا هوية، لا رخصة قيادة. تباطأت دقات قلبه عندما أدرك أن اكتشافه، بدلًا من حل لغز هوية آنا، زاد من الغموض. لم تحمل بطاقة بنكية واحدة أو حتى نقودًا، على الأقل لا تحملها في صورة أوراق نقدية.

فجأة فقد فيكتور أعصابه وبدأت يداه ترتعشان؛ رجفة خفيفة، لكنه لم يستطع السيطرة عليها. في الماضي، كانت تلك الرجفة تأتي دائمًا كاستجابة فسيولوجية لانخفاض في مستوى الكحول في الدم، لكن هذه المرة لم يكن الشراب هو الذي يجعله متوترًا، كان الصمت هو السبب. آنا أغلقت الصنبور.

أغلق المحفظة بسرعة والتقط معطف آنا. في هذه اللحظة رن الهاتف. أجفل فيكتور شاعرًا بالذنب وأسقط المحفظة التي لم يكن يجب عليه لمسها أبدًا. اصطدمت بالأرض بصوت مكتوم، في لحظة الصمت ذاتها بين رنتين من الهاتف. راقبها فيكتور وقد جمده الرعب مكتشفًا سر ثقلها. تدحرجت العملات المعدنية على الأرض الباركيه في كل اتجاه كما لو أنها مدفوعة بيد غير مرئية.

اللعنة.

في الطابق العلوي، فُتح باب الحمّام. عرف فيكتور أنها مسألة ثوانٍ فقط قبل أن تعود آنا إلى غرفة الجلوس وتجد محتويات محفظتها على الأرض.

هبط على ركبتيه، محاولًا التقاط العملات المتدحرجة، جامعًا إياها بأيدٍ مرتعشة. وفي هذه الأثناء، كان الهاتف يرن في الخلفية، أظافره كانت قصيرة جدًّا، ويداه غير مستقرتين حقًّا، والأرضية زلقة للغاية، وانزلقت العملات المعدنية بعيدًا.

وهكذا بقي هناك، متعرقًا، مرتبكًا، بوجه تزداد حرارته شيئًا فشيئًا، وفجأة تذكر ظهيرة بعيدة عندما جلس هو ووالده

على أرضية غرفة الجلوس وتدربا على التقاط الفكة باستخدام مغناطيس على شكل حدوة حصان. لو كان لديه مغناطيس الآن. أي شيء ليجنب نفسه الإحراج الذي بالتأكيد ينتظره.

***

- يمكنك الرد، دكتور لارينز.

صاحت آنا، وزاد الرنين المحموم من صعوبة تحديد موقع صوتها بالضبط، لكن فيكتور خمن أنها على الباسطة بأعلى الدرج.

- آه.

رد بصوت عالٍ، غير قادر على التفكير في رد أكثر ملاءمة. لا يزال يرى على الأقل عشر عملات متناثرة على الأرض وتحت الأريكة. واحدة وصلت إلى المدفأة، اصطدمت بالحاجز وتوقفت.

- لا بأس إذا أجبت عليه. لا أمانع في الانتظار.

هذه المرة بدا صوتها أقرب بكثير. تساءل فيكتور عما يبقيها بالأعلى. نظر إلى العملات في يده وتوقف. كان يطارد مجموعة من الخردة المعدنية. محتويات محفظة آنا تتألف حصريًّا من العملات الألمانية، التي توقف تداولها عند بدء التعامل باليورو. بعض الناس -بما في ذلك إيزابيل- أحبوا استخدام عملات نقدية من فئة «قرش واحد» في عربات التسوق، لكن مجموعة آنا ضمت أربعين أو أكثر.

لِمَ تحمل محفظة مليئة بالعملات القديمة؟ بالتأكيد الجميع في هذه الأيام يحمل بطاقات الائتمان والهوية، أليس كذلك؟

من هي؟ كيف تعرف عن جوزي؟ لِمَ تستغرق كل هذا الوقت؟

فعل فيكتور أول شيء خطر بباله. بسرعة دفع المحفظة نصف الفارغة في جيب آنا وانحنى لدفع العملات المتبقية أسفل الأريكة الجلدية. لم يكن هناك سبب لتعتقد أنها ستبحث هناك، وبقليل من الحظ لن تلاحظ العملات المفقودة.

مسح بعينه الأرضية بسرعة ورأى قطعة صغيرة من الورق تطفو على بركة ماء المطر حيث علقت آنا معطفها. لا بد أنها سقطت من المحفظة مع العملات المعدنية. انحنى فيكتور وأخذها دون تفكير.

- هل هناك خطب ما؟

اعتدل فيكتور ليجد نفسه وجهًا لوجه مع آنا. لا بد أنها دخلت الغرفة دون أن يلاحظ. الشيء الغريب هو أنه لم يسمع الباب، على الرغم من أن المفصلات تصدر صريرًا فظيعًا.

- أوه، آسف، كنت، أم، أقصد أن أقول...

في لحظة مروعة من الاستيعاب، أدرك كيف سيبدو الأمر من وجهة نظر آنا. تركت الغرفة لبضع دقائق، والآن ها هو، متعرق ومتوتر، يزحف على الأرض. ليس هناك ما يمكنه قوله.

- آمل أنها ليست أخبارًا سيئة؟

- أستمحيك عذرًا؟

ثم أدرك فيكتور السبب وراء تأخر آنا في العودة. كان مشغولًا جدًّا بالقلق بشأن العملات المعدنية ليدرك أن الهاتف قد توقف عن الرنين. لا بد أن آنا اعتقدت أنه أجاب وانتظرت بصبر في الردهة.

- أوه، تقصدين المكالمة الهاتفية.

قال شاعرًا بالغباء.

- نعم.

- رقم خاطئ.

وقف وهو يشعر بالدوار، ليقفز من مكانه فجأة عندما رن الهاتف مرة أخرى.

- يا للمثابرة!

ابتسمت آنا، وجلست على الأريكة.

- ألن تجيب؟

- أجيب؟ آه، نعم... نعم، بالطبع.

تلعثم فيكتور، مستجمعًا شتات نفسه.

- سأتلقى المكالمة في المطبخ، اعذريني للحظة.

ابتسمت آنا بهدوء، وغادر فيكتور الغرفة.

***

بمجرد أن رفع سماعة الهاتف أدرك أنه قد ترك شيئًا في غرفة الجلوس قد يكشف أمره. إذا لاحظته آنا، فستعرف ما فعله.

العملة المعدنية عند المدفأة.

أمسك بالسماعة جوار أذنه متسائلًا: كيف يستعيد ثقتها. لحسن الحظ، لم يستغرق وقتًا طويلًا لتقتلع خمس كلمات جذور أفكاره. في اللحظة التي ظن فيها أن الأمور لا يمكن أن تؤول إلى ما هو أسوأ، سمع خمس كلمات غطت على كل ما سبق:

- دكتور لارينز، نحن بحاجة للتحدث.

***

21

- الدم كان بالتأكيد أنثويًّا.
- أنثى... ما عمرها؟
- لا أعلم تحديدًا.

رد كاي، صوته ذو صدى.

- لِمَ لا؟
- لأنني لست عالم جينات.

ضغط فيكتور على مؤخرة عنقه، لكن لم يعتقد أن أي قدر من التدليك قد يمكنه من التخلص من صداعه.

- أين أنت الآن؟

سأل المحقق الخاص.

- مستشفى ويستند. أعرف شخصًا يعمل في أحد المختبرات. اضطررت للتسلل إلى الممر للاتصال بك؛ لأنني يجب ألا أستخدم هاتفي، يعتقدون أنه يتداخل مع الأجهزة.
- سياسة طبيعية بمستشفى. من الأفضل أن تخبرني بسرعة إذًا.
- حسنا هذا هو الوضع. صديقي هذا هو كيميائي حيوي. أقنعته بإجراء بعض الفحوصات في استراحة الغداء.

أعطيته قارورة دم من حمامك، رغم أنني ربما لأستطيع إعطاءه برميلًا.

- فقط أخبرني بالنتائج.
- كما قلت، جاءت الدماء من امرأة، أكبر من تسع سنوات وأصغر من خمسين، ولكن ربما أصغر بكثير من خمسين.
- جوزي كانت في الثانية عشرة عندما اختفت.
- لم يكن دمها.
- كيف تعرف هذا؟
- كان طازجًا، عمره بضعة أيام؛ ثلاثة على الأكثر. جوزي مفقودة منذ أكثر من أربع سنوات.
- أعلم ذلك، شكرًا لك.

قال فيكتور بحدة، وهو يفتح باب المطبخ قليلًا وينظر من خلال الشق. كان باب غرفة الجلوس مغلقًا، لكنه لم يستطع تحمل المخاطر. خفض صوته:

- اسمع، إذا لم يكن دم جوزي، فأين تقع آنا من كل هذا؟ لا تنسَ أنها وصفت ابنتي، ووصفت الكوخ في ساكرو، ووصفت فيلتنا. إنها لا تختلق كل ذلك. كانت هناك، كاي. عرفت كل شيء عن شفانينويردر، حتى إنها رأت الصحفيين المخيمين في الممر.
- آنا؟ هل هذا اسمها الحقيقي؟
- نعم.

- اللقب؟

أخذ فيكتور نفسًا عميقًا، وابتلع لعابه عرضًا، لينتهي به الأمر إلى السعال.

- اسمها هو...

سعل مرة أخرى، وهو يمسك بالسماعة بعيدًا عن أذنه:

- الإنفلونزا اللعينة. آسف، كاي. اسمع، أعتقد أن من الأفضل أن أخبرك من هي. اسمها آنا جلاس، تكتب كتب للأطفال، وناجحة إلى حد ما، خاصة في اليابان. والدها عمل لدى شبكة خاصة بالقوات الأمريكية، وتوفي بسبب عملية استئصال الزائدة الدودية فشلت عندما كانت طفلة. نشأت في شتغليتزآ، وأودعت في عيادة بارك قبل أربع سنوات؛ عيادة نفسية خاصة في داهلم.

كرر المحقق الخاص المعلومات ودوَّن بعض الملاحظات.

- حسنًا، سأتحقق من ذلك.

- هناك شيء آخر أريدك أن تفعله من أجلي.

سمع فيكتور تنهيدة طويلة على الطرف الآخر من الخط.

- ماذا؟

- هل لا تزال تملك مفاتيح الفيلا؟

- البطاقة رقمية، صحيح؟

- تمررها عبر البوابة للدخول.

- نعم.

- حسنًا، أريد منك أن تذهب إلى مكتبي وتفتح الخزنة. ستحتاج إلى إدخال الرمز: تاريخ ميلاد جوزي بالعكس؛ السنة، الشهر، اليوم. بالداخل ستجد كومة من الأقراص المضغوطة، ستراها واضحة.
- وماذا بعد؟
- عندما اختفت جوزي، طلبت مني الشرطة حفظ اللقطات من كاميرات المراقبة.
- بالتأكيد، كانوا يأملون في اكتشاف الخاطف وسط الحشد. راقبوا الجزء الأمامي من المنزل لمدة شهر.
- أريد منك أن تجد الأقراص المضغوطة الخاصة بالأسبوع الأول وتفحصها.
- فيكتور، فُحصت اللقطات مرات عديدة. الشرطة لم تجد شيئًا.
- كانوا يبحثون عن رجل.
- وأنت تريد مني أن أبحث عن امرأة؟
- أريدك أن تبحث عن آنا: شقراء صغيرة ونحيفة. ركز على مجموعة الصحفيين في نهاية الممر. لديك لقبها وتفاصيل أخرى. لابد أنك قادر على العثور على صورة لها على الإنترنت.

ساد صمت لحظي حين تشتت الخط، وعندما استجاب كاي أخيرًا، كان الخط قد تحسن. استنتج فيكتور أنه عاد إلى المختبر.

- حسنًا.

قال المحقق الخاص بتردد.

- لو أن هذا سيسعدك، سأفعل ذلك، لكن لا ترفع آمالك. قصص آنا -على الرغم من أنها ربما ساحرة- مليئة بالثغرات. صحيح أن أحدهم اقتحم ساكرو، وصحيح أنه كان هناك صحفيون خارج منزلك، لكن فكر في الإطار الزمني. مضى أربع سنوات!

- أعلم أنك تعتقد أنها تكذب، ولكن كيف تفسر الدم إذًا؟ قتلت فتاة صغيرة في حمامي! إذا لم تكن جوزي، من تكون إذًا؟

- أولًا: نحن لا نعرف عمر الأنثى المعنية، وثانيًا: لم يُقتل أحد.

- أنت قلتـ..

- استمع لي، فيكتور: لم يُقتل أحد. في الواقع الأنثى كانت بالتأكيد على قيد الحياة.

- على قيد الحياة؟

كاد يصرخ في الهاتف. كان منهكًا ومتوترًا لدرجة أنه لم يعد يهتم لو أن آنا تستمع أم لا.

- لن تنزف في الحمام إذا كانت على قيد الحياة!

- فيكتور، تحتاج إلى الانتباه لكلامي أكثر. كان هناك مخاط في الدم.

- ما الفرق الذي يحدثه ذلك.

توقف وأجاب عن سؤاله بنفسه:

- إذا كانت...

- نعم، وحان الوقت لأن تهدأ. كانت نتائج المختبر واضحة.. الدماء دماء حيض.

***

22

الغرفة 1245 - عيادة فيدينغ للأمراض النفسية والعصبية ببرلين

ساد الظلام بالخارج بالفعل وبدأت إضاءة العيادة التلقائية بالعمل، بدا الدكتور روث أسفل ضوء المصابيح العلوية البارد شاحبًا أكثر من أي وقت مضى. لاحظ فيكتور لارينز لأول مرة أن الأخصائي النفسي أصلع عند الصدغين. عادة ما أخفت قُصّة شعره الأنيقة تلك الزاوية، لكنه قضى الساعة الماضية ممررًا أصابعه بعصبية بين خصلات شعره، مفسدًا أثر التصفيف الأنيق.

- تبدو قلقًا، دكتور روث.

- لست قلقًا، بل فضولي بشأن معرفة ما حدث بعدها.

طلب فيكتور كوبًا من الماء. كانت معصماه لا تزال مقيدة بالسرير؛ لذا كان على روث أن يمسك الكوب بينما يشرب منه عبر أنبوب.

- هناك بعض الأشياء التي أود أن أسألك عنها.

قال الطبيب النفسي بينما يرتشف فيكتور بشغف.

- تفضل.

- لماذا لم تبذل جهدًا أكبر للعثور على سندباد؟ لو كان كلبي، لبحثت في كل مكان.

- أنت محق تمامًا. بصراحة، كنت مندهشًا من لا مبالاتي. بالنظر إلى الأحداث حينها، يمكنني أن أقول إنني كنت منهكًا جسديًّا وعاطفيًّا من البحث عن جوزي. تعرف كيف أن الجنود القدامى بالكاد كانوا يرمشون عندما يسمعون قنبلة؟ كان الأمر أشبه بأن أقرر البقاء في خندقي وتحمل القصف التالي. هل تفهم ما أعنيه؟

- نعم، لكن لماذا لم تخبر زوجتك؟ بالتأكيد لا بد أنك فكرت في الاتصال بها عندما اختفى الكلب؟

- نعم! حاولت الاتصال بها تقريبًا كل يوم، لكنني لم أتمكن من الوصول إليها. ليس الأمر وكأنني كنت أتطلع لإخبارها عن آنا. تشاجرنا بالفعل حول المقابلة بلا هدف؛ لأنني كنت مشتتًا أكثر مما يجب لأعمل عليها على أي حال، ولو أنها عرفت أنني أجري جلسات لمريض فوق كل هذا.

توقف وتنهد:

- لاستقلت أول طائرة عائدة للمنزل. في النهاية، لم تتح لي الفرصة للتحدث معها؛ لأن موظف الاستقبال لم يسمح لي بالوصول إليها. كان على أن أكتفي بترك رسائل.

- ولم تتصل هي بك مرة أخرى؟

- اتصلت مرة واحدة.

- هل تمكنت من توضيح الأمور وقتها؟

بدلًا من الإجابة، أشار فيكتور له موضحًا رغبته بالحصول على مزيد من الماء. رفع الدكتور روث الأنبوب إلى فمه.

- كم تبقى لي..

قطع فيكتور حديثه، أخذ رشفة طويلة وبدأ من جديد.

- هل ما زال لدينا وقت؟

- لدينا ربما عشرون دقيقة أخرى. محاميك قد وصلوا. إنهم في مكتب البروفيسور مالزيوس.

محاميّ. التقى فيكتور آخر مرة بمحامين عام 1997، المحامي المختص في مخالفات المرور الذي نجح في إنقاذ رخصة قيادته. لكن الآن، الآن كان في حاجة لمحترف حقيقي لمساعدته، الأمر تخطى مجرد خدش في سيارة شخص ما. مستقبله بكامله على المحك.

- المحامون، هل هم جيدون؟

- ممتازون -على حد قولهم- أفضل ما يمكن للمال شراؤه.

- افترض أنهم سيرغبون في معرفة ما حدث لآنا؟

- سيطرحون الكثير من الأسئلة. كيف يمكنهم بناء دفاع بدون ذلك؟ أنت تُحاكم بتهمة القتل، تذكر.

ها نحن هنا. قالها أخيرًا: القتل.

لم يذكر أي منهما الكلمة صراحة قبلًا، لكن الحقائق كانت واضحة: فيكتور لارينز كان متجهًا إلى السجن ما لم يكن ختام قصته مقنعًا للقاضي لدرجة تبرئته.

- أعلم ما أنا متهم به، لكنني لن أملك القوة لسرد القصة مرة أخرى. إلى جانب ذلك، آمل أن أخرج من هنا في غضون عشرين دقيقة.

- مستحيل.

قال روث وهو يضع كوب الماء. مرر يده عبر شعره.

- هل يمكننا متابعة القصة؟ كنت تصف كيف أخبرك كاي عن الدم. هل كان لدى آنا أي شيء مثير لتخبرك به عندما انتهيت من المكالمة؟

- لا.

نظر إليه الدكتور روث بتساؤل.

- تسللت وغادرت بينما أتحدث إلى كاي. تركت ملاحظة على مكتبي مفادها: «لم أرغب في المقاطعة، من الواضح أنك مشغول، سأعاود القدوم غدًا». كانت أعصابي ممزقة، ولكن مع رحيل آنا اضطررت للاستسلام لليلة أخرى دون معرفة ما حدث.

دون معرفة ماذا حدث لشارلوت وجوزي.

- إذًا خلدت للنوم؟

- ليس تمامًا. تلك الليلة جاءني زائر آخر غير متوقع.

***

23

بعد انتهاء محادثته مع كاي بعشر دقائق سمع طرقًا على الباب. ترك الأمل يوحي له بأن آنا ربما عادت، لكن خيبة الأمل كانت أكبر بكثير عندما تبين أنه لم يكن سوى هالبيرستاد بوجهه الكئيب في زيارته الثانية وسط الرياح والأمطار. مرة أخرى رفض دعوة فيكتور للدخول واكتفى بتسليمه طردًا.

- ما هذا؟

- مسدس.

قفز فيكتور متراجعًا كما لو أن هالبيرستاد اعترف لتوه بأنه يحمل مرضًا معديًا.

- ما الذي قد أفعله بمسدس؟

- لكي تدافع عن نفسك.

- ضد ماذا؟

- ضدها.

وأشار هالبيرستاد بإبهامه نحو الشاطئ:

- رأيتها تغادر.

لم يصدق فيكتور أذنيه. أخرج منديلًا من جيبه ومسح أنفه دون أن ينفخه.

- استمع إليّ يا باتريك، لطالما احترمت آراءك، لكن لا يمكنني السماح لك بمضايقة مرضاي. بوصفي معالجها من واجبي حمايتها.

- وكعمدة، من واجبي حمايتك.

- شكرًا، باتريك، أقدر قلقك، لكن لا أنوي الاحتفاظ به.

حاول إعادة المسدس، لكن هالبيرستاد أبقى يديه في جيوب بناطله البالي:

- علاوة على ذلك. لا يمكنك قول ادعاءات خطيرة كهذه من دون أي دليل

- من قال إنه ليس لدي؟

- ليس لديك ماذا؟

- دليل.

أجاب هالبيرستاد بصرامة. واصل:

- احتفظ بالسلاح؛ قد تحتاجه. راقبت تلك المرأة وسألت عنها.

- حقًّا؟

كان هناك طعم معدني في فم فيكتور. فكر في كاي ستراثمان، هناك على الأقل شخصان يتتبعان آنا.

- تسببت لبيرج في صدمة هائلة، هل تعلم هذا؟

- العبّار؟ لم أعتقد أن مايكل بيرج من النوع الذي قد يخاف من امرأة.

- لديها عمل غير مكتمل بخصوصك، هذا ما قالته.
- عمل غير مكتمل؟
- قالت شيئًا عن إراقة بعض الدماء.
- هذا سخيف!

حمام مليء بالدماء.

هز هالبيرستاد كتفيه.

- أنا فقط أخبرك بما قاله لي بيرج. استمع إليّ، لا بأس إذا لم تصدقني، لكن أسدِ لي معروفًا واحتفظ بالمسدس. أنا قلق بشأن سكين الصيد.

لم يعرف فيكتور ماذا يقول. فجأة تذكر مشكلة منفصلة تمامًا لكنها عاجلة بالقدر ذاته. استدار هالبيرستاد ليغادر، لكن فيكتور نقر على ظهره.

- قصدت أن أسألك عن شيء. هل رأيت كلبي؟
- هل مات سندباد؟

اندهش فيكتور من صراحته الوحشية. كان مثل النجاة من زلزال، ثم التعرض للهزة الارتدادية. ولم يستطع إلا أن يشعر أن الضربة الكبرى لم تأتِ بعد.

- مات؟ ما الذي يجعلك تعتقد... أعني، لا، أو على الأقل، آمل أن لا. جل ما حدث أنه اختفى. تركت رسالة على جهاز الرد الآلي الخاص بك.
- أوه، قلت لك إن هناك شيئًا غريبًا حول تلك المرأة.

تساءل فيكتور عما إذا كان يجب عليه أن يشير إلى أن آنا ليس لها علاقة باختفاء سندباد، لكنه قرر عدم تكبد عناء ذلك.

- سأخبرك إذا رأيته.

وعده هالبيرستاد، لم يبدُ شديد القلق.

- شكرًا.

- اعتنِ بنفسك، دكتور لارينز. تلك المرأة خطيرة.

غادر العمدة دون كلمة أخرى. حدق فيكتور وراءه لبعض الوقت، ثم أدرك أن الجو شديد البرودة في الخارج. شعر وكأنه طفل صغير بقي في المسبح حتى تحولت يداه إلى اللون الأزرق. أغلق الباب بسرعة قبل أن تملأ الرياح المنزل بالهواء البارد والرطب. في منتصف الممر، توقف وتفكر. ربما ينبغي له أن يرمي المسدس في سلة المهملات الخارجية؟ شعر بالتوتر في وجود الأسلحة وفكرة وجود مسدس في المنزل كانت مزعجة بطريقة ما. في النهاية قرر أن يعيده إلى هالبيرستاد في الصباح. في الوقت الحالي، وضع الطرد غير المفتوح في الدرج السفلي من المكتب من خشب الماهوجني بجانب الباب.

***

قضى فيكتور الدقائق القليلة التالية يحدق في الجمر المحتضر في الموقد، ويحاول فهم أحداث اليوم. اختفى سندباد. امرأة أو ربما فتاة اقتحمت كوخه في ساكرو وتركت دم حيض في الحمام. وعمدة باركام طرق بابه وسلمه مسدسًا.

خلع فيكتور حذاءه واستلقى على الأريكة. بحث في جيبه وأخرج آخر حبة مهدئ لديه، وقرر عدم الاحتفاظ بها لوقت لاحق كما كان ينوي، وانتظر حتى يبدأ المهدئ في التأثير عليه. كان بحاجة إلى شيء لتخفيف آثار الإنفلونزا. أغلق عينيه وركز على القضاء على الألم الذي يعصف برأسه. عمل ذلك لفترة قصيرة ولأول مرة منذ فترة طويلة كان قادرًا على التنفس من جانب واحد من أنفه. كانت رائحة عطر آنا الثقيلة لا تزال قوية في الهواء، حتى بعد ثلاثين دقيقة من نهوضها عن الأريكة.

عج ذهن فيكتور بالأفكار. لم يكن متأكدًا مما كان أكثر إثارة للقلق: سلوك آنا المتقلب أم تحذيرات العمدة المشؤومة. لم يصل إلى نتيجة مرضية؛ لأنه في اللحظة التالية بدأ الكابوس.

***

24

لاحقته الكوابيس منذ اختفاء جوزي، أحيانًا ثلاث مرات في الأسبوع، وأحيانًا مرة في الشهر؛ لم يكن هناك نمط ثابت لحدوثها، لكن سلسلة الأحداث كانت دائمًا هي نفسها.

عندما يبدأ الكابوس، يكون فيكتور دائمًا خلف عجلة قيادة سيارة الفولفو، تجلس جوزي في المقعد الأمامي. الوقت هو منتصف الليل وهم في طريقهم لمقابلة أخصائي فتح عيادة مؤخرًا على الساحل الشمالي لألمانيا. كانت الرحلة قد استغرقت ساعات بالفعل وفيكتور يقود بسرعة كبيرة، لكن مغير سرعة الفولفو كان عالقًا على الترس الخامس. من حين لآخر، تتوسل جوزي له للتخفيف من السرعة، لكن السيارة هي من تحدد سرعتهم.

نظرًا لسرعتهم، كان من حسن الحظ أن الطريق مستقيم تمامًا؛ لا زوايا، ولا منعطفات، ولا إشارات مرور، ولا تقاطعات. من حين لآخر، تندفع مركبة أخرى نحوهم، لكنهم لم يكونوا في خطر الاصطدام بها؛ لأن المسارات كانت واسعة بما فيه الكفاية. بعد فترة، علق فيكتور على طول الرحلة. هزت جوزي كتفيها، على ما يبدو متحيرة مثله. من المفترض أن يكونوا قد وصلوا إلى الساحل منذ فترة طويلة، خاصة وأنهم كانوا يقطعون الكيلومترات بسرعة مذهلة. بدا الطريق مهجورًا بشكل غريب، والأغرب أن ظلمته

تفاقمت بمرور الوقت. في الواقع، كانت أضواء الشوارع تقل وتبتعد والمساحات الشجرية تقترب. بعد فترة، كانوا يقطعون الطريق في الظلام التام مع غابة كثيفة على كلا الجانبين من الطريق الذي يضيق.

عند هذه النقطة بدأ يشعر بعدم الارتياح، ليس بالذعر أو الخوف، بل بالقلق الغامض. تعمق شعوره بالخوف عندما اكتشف أن السيارة لن تتوقف. ضغط على الفرامل ولكن لم يحدث شيء. بعد لحظة، تسارعت الفولفو على امتداد الطريق المستقيم الذي لا نهاية له. أشعل ضوء القراءة، وأخبر جوزي بالبحث عن مكانهم، لكن الخريطة لم تساعد.

أخيرًا أشارت إلى الأمام وضحكت بارتياح.

- انظر، هناك ضوء. لابد أننا قريبون جدًّا.

أبصر فيكتور توهجًا خافتًا عن بُعد. يزداد سطوعًا كلما اقتربوا.

- استمر في السير بشكل مستقيم.

قالت جوزي.

- يبدو وكأنه قرية، أو ربما أضواء طريق الساحل.

أومأ فيكتور برأسه، مهدئًا ضربات قلبه لتعود إلى معدلها الطبيعي. كان من المطمئن التفكير في أنهم سيصلون قريبًا. أسرعوا مرة أخرى، هذه المرة لأنه يضغط على دواسة الوقود. لم يستطع الانتظار للوصول إلى الساحل، لترك الغابة والظلام خلفه.

في لحظة عاد الشعور.

بدأت معدته تتقلص.

كل شيء كان واضحًا بشكل مرعب. صحيح، كان هناك ضوء في الأمام، لكن جوزي أخطأت في تفسير غايته. وكان هو أيضًا مخطئًا، مخطئًا في الاعتقاد بأن رحلتهم عبر الظلام يمكن أن تؤدي إلى شيء جيد. لاحظت جوزي ما يحدث وكانت تحدق من النافذة برعب. لم يكن الطريق محاطًا بالأشجار، لم يكن هناك شيء على جانبيهم سوى الماء.. ماء عميق، بارد، لا يُحد.

أدرك ذلك متأخرًا جدًّا. علم فيكتور أنه لا شيء يمكنهم فعله.

كانوا يقودون على رصيف. طوال الوقت كانوا يبحثون عن الساحل، لكن الشاطئ كان على بُعد كيلومترات خلفهم والسيارة تنطلق نحو البحر متجهة نحو المنارة، ولم يكن هناك شيء يمكنهم فعله. حاول تدوير العجلة، لكنها كانت معطلة. لم يكن فيكتور يقود الفولفو؛ الفولفو كانت تقوده.

قطعوا الأمتار القليلة الأخيرة بسرعة جنونية، انتهى الرصيف، وأطلقت السيارة نفسها في الهواء، تحلق فوق الأمواج العاتية للبحر الشمالي البارد. بدأ غطاء المحرك ينخفض، وبدأ فيكتور ينظر من خلال الزجاج الأمامي، على أمل أن يرى شيئًا في توهج الأضواء الأمامية. ولكن كل ما استطاع رؤيته كان الماء العميق والمظلم الذي كان على وشك أن يبتلعهم: جوزي، والفولفو، وهو.

***

دائمًا ما استيقظ في اللحظة الحاسمة قبل اصطدام السيارة بالماء. كانت هذه ذروة الكابوس، ليس فقط لأنه يعلم أنه وابنته مقدر لهما الغرق، بل لأنه كان غبيًّا بما يكفي للنظر في المرآة الخلفية، بينما هم يتجهون بسرعة نحو الأمواج. وبينما كان يحدق في المرآة، كان يصرخ بأعلى صوته؛ لينتزع نفسه من الكابوس موقظًا إيزابيل إذا كانت في الغرفة. ما رآه في المرآة الخلفية كان قمة الرعب. لم يرَ شيئًا، كانت المرآة فارغة.

الرصيف الذي امتد إلى عمق البحر لمسافة طويلة، الرصيف الذي أسرعوا تجاه فناره بسرعة البرق، اختفى، تلاشى في الهواء.

***

25

نهض فيكتور بسرعة وأدرك أن بيجامته كانت مبللة بالعرق، الشراشف مبللة كذلك، وحلقه المتقرح قد تفاقم ألمه خلال كابوسه.

ما الذي يحدث لي؟

تساءل، منتظرًا أن يهدأ نبضه. في وقت ما قبل النوم، لابد أنه نهض عن الأريكة واتجه إلى السرير، لكنه لم يتذكر صعوده للطابق العلوي، ناهيك عن خلع ملابسه. ولم يكن ذلك الشيء الوحيد الذي يزعجه. كانت غرفة النوم باردة جدًّا. مد يده اليمنى، يبحث في الظلام عن ساعة المنبه التي تعمل بالبطارية على طاولة السرير. عند الضغط على الزر أضاءت الشاشة، مبينة الوقت ودرجة الحرارة: الثالثة والنصف صباحًا، ودرجة الحرارة ثماني درجات فقط؛ مما استنتج منه أن المولد قد توقف عن العمل. حاول تشغيل المصباح بجانب السرير لاختبار نظريته. لا كهرباء.

لعن حظه السيئ. أولًا الأنفلونزا، ثم قصص آنا الغريبة، واختفاء سندباد، وكابوسه والآن هذا. نزع الأغطية ونهض واقفًا، متذكرًا أن يأخذ مصباحه اليدوي الصغير الذي يحتفظ به بجانب السرير لهذا السبب بالذات. هبط على الدرج المتهالك مرتجفًا، وشعاع مصباحه يتجول على الصور على الحائط. في الظروف

العادية، لا شيء يخيفه بسهولة، لكن كان هناك شيء غريب فيما رآه: والدته تضحك على الشاطئ مع الكلاب، ووالده يدخن الغليون بجانب النار، والأسرة بأكملها سعيدة بصيد والده.

توهجت الصور مثل الذكريات التي تواتيك في المراحل الأولى من التخدير، أذهلته للحظة ثم تلاشت في الفراغ.

***

عندما فتح فيكتور الباب، صدمته هبة رياح عاتية أطاحت بآخر أوراق الخريف وقطرات مطر داخل المنزل. رائع. سأصاب بالتهاب رئوي بهذا المعدل. لا يزال يرتدي بيجامته الحريرية، ارتدى حذاءه الرياضي وسحب معطفه الأزرق الواقي من المطر ذا غطاء الرأس. كانت السقيفة على بعد عشرين مترًا تقريبًا من الباب. برأس مغطى ركض على الطريق المغمور بالمياه. لم يكن مصباحه قويًّا بما يكفي لإضاءة الحفر التي تركها المطر، ولم يقطع نصف المسافة حتى صارت قدماه وساقاه مبتلتين. ضربت المياه وجهه، لكنه عجز عن الإسراع خوفًا من التعثر. حقيبة الإسعافات الأولية -التي استنفدت بالفعل بسبب نزلة البرد- لم تحتوِ على شيء يمكن أن يساعد في حاله كالتواء الكاحل أو كسر العظام. كان الظلام دامسًا، وهو على بعد كيلومترات عن القرية، والجزيرة معزولة عن الحضارة بسبب العاصفة: كسر ساقه ربما آخر ما يحتاجه.

أخيرًا وصل تقريبًا لهدفه؛ سقيفة من الحديد المموج على حافة أرضه، تحد الشاطئ العام، مغلقة بسياج أبيض متداعٍ.

حضر في ذهن فيكتور ذكريات عن تحصين السياج ضد العوامل الجوية. بإصرار من والده، ساعد في كل خطوة من العملية الشاقة، التي تبدأ بصنفرة وتلوين الخشب وتنتهي بتطبيق طلاء ذي رائحة كريهة. حمل الخشب القليل من العفن حينها، لكن بعد سنوات من الإهمال صار كل من السياج والمولد في حالة مشابهة من التلف، لو واتاه الحظ قليلًا، سيتمكن من إصلاح المولد.

مسح الماء عن عينيه وتوقف فجأة.

حتى وهو يمد يده للمقبض البلاستيكي المتشقق أدرك أن لا فائدة، الباب مغلق والمفتاح معلق بجانب صندوق الكهرباء في القبو. سيتعين عليه العودة. اللعنة!

ركل فيكتور الباب وكاد يقفز من مكانه. أصدر الحديد المموج ضوضاء فظيعة.

- حسنًا!

تمتم.

- على الأقل ليس على القلق بشأن الجيران، في طقس كهذا لا أعتقد أن أحدًا سيخرج للتنزه.

تحدث بصوت عالٍ وتعرق بغزارة على الرغم من البرد. نزع غطاء رأسه، ثم حدث شيء غريب، بدا وكأن العالم تباطأ. شعر فيكتور وكأن شخصًا ما أوقف ساعته الداخلية. كان عالقًا وكأن الزمن توقف في هذه اللحظة. كل شيء بدأ ينبثق ببطء شديد في عقله.

ثلاثة أشياء برزت في وعيه. الأولى هي الضجيج الذي سمعه بمجرد أن خلع غطاء رأسه. المولد كان يصدر طنينًا. لماذا يطنّ إذا كان معطلًا؟

الثاني كان ضوءًا. نظر فيكتور إلى المنزل ورأى أن الضوء مضاءً في غرفته. المصباح على طاولة السرير يبث ضوءًا أصفر ناعمًا.

الثالث كان شخصًا. كان هناك شخص ما في غرفة نومه. وهذا الشخص كان يحدق من النافذة، ناظرًا إليه.

- آنا؟

انطلق فيكتور يركض، وأسقط مصباحه. أدرك خطأه عندما انطفأ ضوء الغرفة قبل أن يصل إلى الشرفة. غرق المنزل والحديقة في الظلام، مما اضطره للعودة إلى حيث المصباح. التقطه وسارع إلى الشرفة ودخل الردهة. صعد الدرج بسرعة بمصباحه الخافت، ورأى الوجوه الشبحية في الظلام. اقتحم غرفة نومه. لا شيء.

لاهثًا من الجهد، وجه ضوء المصباح في جميع زوايا الغرفة الأربع: أثاث بجانب النافذة، خزانة أدراج عتيقة وبجانبها طاولة زينة إيزابيل؛ حيث ألقى مجموعة من الأقراص المدمجة، ثم سرير

والديه القديم ذي المظهر المهيب، لكن لا علامة على وجود أحد. حتى حين أضاء فيكتور الأضواء، رأى بوضوح أن المولد يعمل مرة أخرى.

هل كان يعمل طوال الوقت؟

جلس فيكتور على السرير. كان بحاجة لالتقاط أنفاسه وجمْع أفكاره. آنا، جوزي، سندباد. تساءل عما إذا كان يعاني من التوتر. ما الذي دفعه لمغادرة المنزل في الثالثة والنصف صباحًا لإصلاح مولد من الواضح أنه يعمل؟ كان يجب أن يظل مستلقيًا في السرير، يتعافى، بدلًا من مطاردة الأشباح في الرياح والمطر.

نهض واتجه نحو السرير والتقط ساعة المنبه: 20.5 درجة مئوية. هذا لا يُصدق. عادت درجة الحرارة إلى طبيعتها.

هز رأسه. في هذه الحالة، لابد أن المشكلة فيَّ.

نزل إلى الطابق السفلي ليغلق الباب.

- رأيت كابوسًا مروعًا.

حاول طمأنة نفسه:

- ماذا كنت تتوقع؟ أنت مُعرض لكثير من الضغط، مع اختفاء سندباد وتفاقم الإنفلونزا.

أغلق الباب لكنه عاد وفتحه بعد لحظة ليَنحني ملتقطًا المفتاح الاحتياطي من أسفل إناء الزهور.

- لا شيء يدعو للمبالغة في توخي الحذر.

حدث نفسه بهذا بعد تفقد نوافذ الطابق الأرضي؛ ليتدفق داخله شعور بأنه أكثر ارتياحًا الآن.

بمجرد أن عاد إلى السرير، تناول جرعة كبيرة من شراب السعال وقضى الساعات القليلة التالية يغوص ويطفو داخل قبضة النوم المتقطع.

***

أصرّت الرياح تلك الليلة على الوفاء بتوقعات الأرصاد الجوية، وضربت باركام بهبات قوية وأمطار غزيرة. عصفت بالبحر الشمالي لترتفع الأمواج لمسافات شاهقة قبل أن تلفظها على الجزيرة الصغيرة بقوة برية، ثم اندفعت إلى الشاطئ بغضب عارم، بإعصار حطم فروع الشجر ورج النوافذ، ماحيًا كل آثار الأقدام من الرمال، بما فيها آثار الأقدام الصغيرة التي مضت بعيدًا عن منزل فيكتور لارينز.

***

26

مكتبة
t.me/soramnqraa

قبل ظهور الحقيقة بيوم - باركام

بعد الساعة الثامنة بقليل أيقظه الهاتف. بتثاقل جَرَّ نفسه إلى الطابق السفلي والتقط السماعة؛ آملًا أن يسمع صوت زوجته، لكن لم ترد إيزابيل حتى الآن على اتصالاته.

- هل رأيت رسالتي؟

سألت آنا. وأجاب:

- نعم.

حاول فيكتور تنظيف حلقه، وانتهى به الأمر بالسعال. كان على آنا الانتظار بضع ثوانٍ حتى يستجمع شتات نفسه.

- بعد جلسة الأمس لم أستطع التوقف عن التفكير في شارلوت. فكرت في العودة، لكنني لم أرغب في إزعاجك.

حسنا، إذًا انتظرتِ في الخارج واقتحمتِ غرفتي؟

- أنا مستعدة لأخبرك بنهاية القصة.

نهاية قصة جوزي.

- هذا تقدم ممتاز.

تمتم فيكتور متسائلًا لماذا لم تلاحظ آنا حالته الصحية السيئة؟ ربما لأنها تبدو متعبة هي الأخرى، على الرغم من أنه كان من

الصعب معرفة ذلك مع كل هذا التشويش على الخط. كانت على بعد بضعة كيلومترات فقط، لكن جودة الصوت سيئة. ذكرته بالفترة التي عانى فيها العالم من سوء جودة الاتصالات الدولية قبل أن تتحسن التكنولوجيا.

- هل يمكنني أن أخبرك بالبقية على الهاتف؟ لا أشعر برغبة في الزيارة، لكنني أود التخلص من عبئها.
- لا مشكلة.

نظر فيكتور بغضب إلى قدميه العاريتين، نسي ارتداء نعليه أو ردائه.

***

- لو أنني أتذكر الأمر بشكل صحيح، كنت أشرح كيف غادرتُ وشارلوت القصر.
- صحيح. قلت إنكما كنتما مُطاردين.

استخدم فيكتور قدمه لتحريك سجادة فارسية صغيرة من تحت الطاولة. على الأقل لم يكن عليه الوقوف حافي القدمين على الأرض بعد الآن.

- أمسكت بيد شارلوت، ركضنا إلى السيارة، وانطلقنا. أرادت شارلوت الذهاب إلى هامبورغ لكنها لم تذكر السبب. استسلمت وتركتها تحدد الطريق.
- ماذا حدث عندما وصلتما هناك؟

- نزلنا في فندق هايت في شارع مونكيبيرغ. لم تهتم شارلوت بالمكان الذي سنقيم فيه؛ لذلك اخترت فندق «بارك هايت»؛ لأنني رغبت في بعض الفخامة، ولأنه ذكرني بأيامي ككاتبة مشهورة. اعتدت لقاء وكيلي الأدبي في بهو الاستقبال، ودائمًا ما اعتقدت أن للفندق طابعًا مهيبًا. أملت أن يساعدني في التركيز على الأوقات السعيدة.

أومأ فيكتور برأسه. في وقت ما في حياته، كان يقيم بانتظام في فندق هايت ذي الخمسة نجوم، مفضلًا الإقامة في الطابق الخاص ذي المميزات الأعلى. واصلت آنا:

- للأسف، كان له تأثير معاكس. شعرت بالانزعاج والاكتئاب. لم أستطع التفكير بوضوح وبدأت شارلوت تصبح عبئًا. كانت المسكينة تعاني، وألقت اللوم عليّ. أعطيتها بعض الباراسيتامول وجرعة من البنسلين، ولحسن الحظ نامت. شعرت برغبة يائسة في مواصلة كتابة الكتاب.

- الكتاب الذي يحكي قصة شارلوت؟

- نعم، أردت إنهاء الكابوس وكان الحل الوحيد هو إنهاء الكتاب، على الأقل كان هذا مبرري. بعد الكثير من التفكير، أدركت كيف أتعامل مع القصة.

- كيف؟

- كانت أدلة شارلوت هي مفتاح القصة. كان على وصف سبب مرضها بناءً على ما رأيته. الدليل الأول كان الكوخ

في الغابة، كان هذا هو البداية، وفقًا لها. قررت كتابة فصل تذهب فيه إلى الكوخ وتصاب بالمرض.

جوزي أصيبت بالمرض في شفانينفيردر، وليس ساكرو، فكر فيكتور. بدأ ذلك في يوم عيد الميلاد. اضطررنا إلى استدعاء الطبيب.

- ثم أدركت أن شارلوت بقيت تشير إلى شيء آخر. تذكرت كيف قالت لي أن (أبحث عما هو مفقود).

طاولة زينتها؟ تلفزيون؟ ملصق لإيمينيم؟

- أخيرًا فهمت ما تعنيه: كانت تطلب مني البحث عن التغييرات. حدث شيء مروع في ذلك الكوخ، شيء مروع لدرجة أنها لم تضع قدمها فيه مرة أخرى. أدركت أنه يجب أن يكون مرتبطًا بالشخص خلف الباب.

ساد صمت مطول بينما ينتظر فيكتور أن تتابع.

- حسنًا؟

قال أخيرًا.

- حسنًا ماذا؟

لماذا عليها أن تتسم بكل هذا الغموض؟ لحسن الحظ ابتلع اعتراضه. أتعبه اضطراره لاستدراج المعلومات منها لكنه لم يرغب في إزعاجها؛ خشية أن تتوقف عن رواية القصة في مثل هذه النقطة الحرجة.

- كيف أنهيت القصة؟

- ألم تخمن؟ اعتقدت أن الأمر واضح.

- كيف تحديدًا؟

- هيا يا دكتور لارينز، أنت المحلل. أعتقد أنك تستطيع حلها.

- إنها قصتك، وليست قصتي.

- أنت بدأت تبدو مثل شارلوت.

قالت بمرح.

لم يكن فيكتور في مزاج للعب. كان ينتظر إجابة.

أربع سنوات من انتظار إجابة، أربع سنوات من الخوف من الإجابة، الخوف والبحث. ألف سيناريو دار في عقله. وبينما ماتت ابنته ألف وفاة خيالية، مات هو ألف مرة بجانبها. كان ميتًا، ولم يعد هناك ما يمكن أن يؤذيه، أو هكذا اعتقد؛ لأنه حين تحدثت آنا أخيرًا، أدرك أن بإمكانه التعرض للأذى بعد كل شيء.

- تعرضت للتسمم.

أوضحت آنا.

***

لم يكن بإمكان أي قدر من التحذيرات أن يجهزه لذلك. التقط فيكتور أنفاسًا سريعة وضحلة. فجأة كان ممتنًّا للبرد القارص في غرفة الجلوس؛ لأنه بدونه كانت الصدمة ستصبح أسوأ. شعر برغبة في التقيؤ، لكنه لم يكن لديه القوة للركض إلى الطابق العلوي.

- دكتور لارينز؟

عرف أنها تتوقع ردًّا، وحاول التفكير فيما سيقوله إذا كان مجرد معالجها وليس الأب المفجوع بأوهامها. رسميًّا، شارلوت هلوست؛ نتيجة خلل في دماغ آنا.

لشراء بعض الوقت، استخدم الرد الجاهز لدى أي طبيب نفسي:

- أخبريني بالمزيد.

كان هذا خطأ قاتلًا آخر؛ لأن اعترافات آنا الأولى لم تكن لتقارن حتى بما جاء بعد ذلك.

***

27

- التسمم؟

سأل كاي بصوت عالٍ حتى بالنسبة لنبرته المعتادة. غادر لتوه من منطقة شفانينفيردر، وكان في طريقه إلى المكتب في وسط برلين. تابع:

- لماذا تعتقد السيدة جلاس أن الطفلة قد تسممت؟

- ليس لديّ أي فكرة. أظن أنها اخترعت قصة تتناسب مع الحقائق.

- حقائق؟ أي حقائق؟ إنها مريضة نفسيًّا!

سمع فيكتور صوت بوق سيارة مستمر؛ مما جعله يستنتج أن كاي - الذي لم يكلف نفسه عناء شراء معدات تسمح له بالحديث من الهاتف دون الحاجة لحمله - يستخدم يده الأخرى الحرة لتوجيه السيارة على الطريق السريع.

- تعتقد آنا أن شيئًا ما حدث في ساكرو. حسب قولها، جوزيـ..

- تعني شارلوت.

صحح كاي.

- هذا ما قلته، أليس كذلك؟ ولكن دعنا نتخيل أنها كانت تتحدث عن جوزي. بحسب كلمات آنا، حدث شيء مروع في الكوخ، شيء هز أسس عالمها. كان ذلك هو المحفز.

- المحفز لماذا؟ لأن يسممها أحدهم؟

- بالضبط.

- ومن يفترض أنه سممها؟

- جوزي.

- عفوًا؟

تلاشى ضجيج المرور فجأة، لا بد أن كاي قد توقف على جانب الطريق.

- جوزي سممت نفسها. كان هذا جوهر قصة آنا. كانت جوزي شديدة الاضطراب؛ بسبب ما حدث في الكوخ، لدرجة أنها قررت إنهاء حياتها. قامت بذلك ببطء وعلى دفعات صغيرة حتى لا يعرف الأطباء.

- تمهل، فيكتور. ماذا تحاول قوله؟

- لا أتوقع منك أن تكون خبيرًا في الطب النفسي، ولكن ربما سمعت عن متلازمة مونخهاوزن؟

- همم، مونخهاوزن، أليس هذا اسمًا متأنقًا للكذب المرضي؟

- نوعًا ما. الأشخاص الذين يعانون من متلازمة مونخهاوزن يصيبون أنفسهم بالمرض؛ لأنهم راغبون في أن ينصب عليهم الاهتمام. يدركون أنهم يحصلون على مزيد من الاهتمام عندما يكونون مرضى.

- تعني أنهم سيسممون أنفسهم للحصول على بعض الزوار؟
- يريدون من الناس أن يشعروا بالشفقة عليهم. جميل هو الحصول على العنب والشوكولاتة والهدايا الأخرى. مرضى مونخهاوزن يتوقون إلى التعاطف.
- هذا جنوني.
- إنها حالة خطيرة، وغالبًا ما يكون مرضى مونخهاوزن ممثلين ممتازين؛ مما يجعل من الصعب تشخيصهم. رأيت حالات قام المرضى فيها بتزييف مشاكل طبية بشكل مقنع لدرجة أن الأطباء ذوي الخبرة انخدعوا بالتمثيل. يقدم العلاج للأعراض الوهمية بينما يتم تجاهل المرض الأساسي وهو مونخهاوزن. بالطبع، بعض المرضى قادرون على إحداث أعراض جسدية حقيقية، على سبيل المثال: عن طريق تناول مبيدات الحشائش لإصابة أنفسهم بالقرحة.
- انتظر لحظة... لا تعتقد أن ابنتك... أعني جوزي كانت فقط في الحادية عشرة عندما أصيبت بأول نوبة!
- وربما كان السم هو السبب في ذلك، من يعرف؟ بصراحة، كاي، أنا متعب من عدم المعرفة. أشعر أن جزءًا من حياتي مغطى بالظلام، وأحتاج إلى إلقاء الضوء عليه. أعلم أن آنا موهومة، لكن لا أستطيع إلا أن أتساءل إذا كانت محقة. قد يكون ذلك غير محتمل، لكنه ليس مستحيلًا. أفضّل أن أحصل على تفسير مريح أكثر، لكنه الوحيد الذي لدينا.

- حسنًا، دعنا نتظاهر للحظة أنك لست مجنونًا تمامًا.

من الضجيج في الخلفية، يبدو أن كاي قد ترك جانب الطريق وعاد للانضمام إلى حركة المرور.

- لنفترض أن آنا محققة وأن جوزي سممت نفسها، هناك سؤال واضح: كيف؟ لا تحاول إقناعي بأن طفلة صغيرة ستعرف الكثير عن الأدوية لاختيار واحدة تقتلها ببطء بحيث تتمكن من خداع أفضل الأطباء في البلد.
- لم أقل إن لديّ الإجابة، كاي. انظر، ربما هناك أجزاء من قصة آنا لا معنى لها، ربما لا شيء منها متماسك من الأساس. كل ما يهمني هو إذا ما كان لأي من هذا تأثير على جوزي؛ لهذا كلفتك بهذه القضية.
- حسنًا، سأتحقق من الأمر. كنت سأتصل بك على أي حال؛ لأنني اكتشفت أمرًا شديد الغرابة.
- ماذا؟

كان العرق يتصبب على ظهر فيكتور. ولم يكن متأكدًا مما لو أن عليه إعطاء الفضل في ذلك إلى الذعر أم الإنفلونزا.

- اتبعت تعليماتك. ذهبت إلى منزلك لأخذ الأقراص من الخزنة. هل أنت جالس؟
- لا تخبرني أن الأقراص لم تكن هناك.
- لا، ولكن اللقطات من الأسبوع الأول مُسحت.

- مسحت؟ كانت الأقراص محمية ضد إعادة برمجتها. يجب عليك تدميرها للتخلص من البيانات.

- حسنًا، شخص ما تمكن من ذلك. أخذت الأقراص فورًا بعد أن تحدثنا على الهاتف وفحصتها هذا الصباح. إنها فارغة.

- كلها؟

- لا، فقط الأقراص من الأسبوع الأول. هذا ما يجعله غريبًا جدًّا. ظننت ربما أنك خلطت بين العلب ووضعت الأقراص في مكان آخر؛ لذا عدت للتفتيش. لقطات الأسبوع الأول اختفت.

شعر فيكتور بالدوار وتمسك بالرف ليظل متوازنًا. وسأل:

- ما رأيك في نظريتي الآن؟ أعتقد أنك لا تزال تظن أنها مجرد صدفة وأن آنا اختلقت كل شيء؟

- لا، لكن...

- هيا، كاي، هذه هي أول خيط حقيقي نحصل عليه منذ أربع سنوات. لن أسمح لك بتجاهله.

- لا أتجاهل شيئًا، أنا فقط قلق بشأن آنا جلاس.

- ماذا عنها؟

- هناك شيء غريب بشأنها.

- هي مصابة بالفصام.

- بجانب ذلك. تحققنا من كل معلومة بشأنها.

- ماذا وجدت؟
- لا شيء.
- لا شيء؟
- لم نجد أي شيء على الإطلاق.
- هذا جيد، أليس كذلك؟
- بل هو مقلق للغاية؛ لأن هذا يعني أنها غير موجودة.
- لا أفهم.
- آنا جلاس غير موجودة، لم نجد أي مؤلفين بهذا الاسم، فضلًا عن مؤلفين شهيرين لديهم نوادي معجبين في اليابان. لم تكبر في برلين، ولم يكن لديها والد يعمل في شبكه قنوات، ولم تعش في شتيغليتز.
- تبًّا. هل تحققت من عيادة بارك؟
- لا يزالون يماطلون. إنه مكان راقٍ، لكنه ليس راقيًا إلى حد لا أجد فيه من يبوح بالتفاصيل مقابل بعض المال. ظننت أن الشخص الذي خلفك في العيادة قد يساعد؛ البروفيسور فان درويزين.
- لا.
- ما المشكلة في ذلك؟
- أفضل أن أتعامل مع الأمر بنفسي. في هذه الحالة سأتمكن من الحصول على المعلومات أسرع منك. دعني أتعامل مع العيادة وفان درويزين. اكتشف ما يمكنك العثور عليه،

وألقِ نظرة أخرى على غرفة جوزي. تركناها تمامًا كما كانت، قد تلاحظ شيئًا جديدًا.

حبوب.. مواد كيميائية.

لم يكن هناك حاجة لأن يوضح فيكتور.

- حسنًا.

- وتحقق ما إذا كان أحدهم يتذكر امرأة شقراء وطفلة مريضة قد سجلتا في فندق هايت في هامبورغ قبل أربع سنوات.

- لماذا؟

- فقط افعل ذلك.

- كان ذلك قبل أربع سنوات، فيكتور! أشك في أن أحدًا في هايت قد عمل هناك طوال تلك المدة.

- من فضلك، كاي.

- حسنًا، لكن عليك أن تعدني بشيء.

- ما هو؟

- ابقَ بعيدًا عن آنا جلاس، لا تدعها تدخل المنزل، لا أريدها بالقرب منك حتى نعرف من هي، قد تكون خطيرة.

- سنرى.

- أعني ذلك، فيكتور. لن ألتزم بالاتفاق إلا إذا قطعت جميع اتصالاتك مع تلك المرأة. عليك أن تكون حذرًا.

- سأبذل قصارى جهدي.

أغلق فيكتور سماعة الهاتف. وصوت كاي لا يزال يتردد في رأسه. كن حذرًا، ربما هي خطيرة. تلقى النصيحة نفسها من شخصين مختلفين في غضون أربع وعشرين ساعة. بدأ يعتقد أنهم ربما على حق.

***

28

- هنا عيادة بارك في داهلم. معك كارين فوجت. كيف يمكنني مساعدتك؟
- مرحبًا، أنا فيكتور لارينز، الدكتور فيكتور لارينز. أحد مرضاي قضى عدة سنوات تحت رعايتكم، أود التحدث إلى الطبيب المعالج إذا أمكن.
- بالطبع، دكتور لارينز.

قالت كارين بسعادة.

- إذا كان بإمكانك إخباري باسم الطبيب...
- هذه هي المشكلة. لا أعرف اسم الطبيب، لكن يمكنني أن أعطيك اسم المريض.
- في هذه الحالة، لا أستطيع مساعدتك؛ سجلات المرضى سرية تمامًا كما تعلم بالتأكيد، سيكون انتهاكًا للوائح المهنية الخاصة بنا إذا سلمناك مثل هذه المعلومات. الحل الأبسط هو أن تسأل مريضك ثم تتصل بي مرة أخرى.
- للأسف، هذا غير ممكن.

أولاً: لا أعرف أين هي. ثانيًا: لا أريدها أن تعرف أنني أشتبه فيها. ثالثًا: أحتاج إلى معرفة ما فعلته بابنتي. ليست في وضع يُمكنها من إخباري.

- ألا يمكنك الاطلاع على ملاحظاتها؟

سألت كارين، التي بدأت تفقد حماسها بصورة ملحوظة.

- لم يكن تحويلًا رسميًّا. جاءت لرؤيتي من تلقاء نفسها. استمعي لي، أنا أثني عليك لاحترامك خصوصية مرضاك. من الواضح أنك تقومين بعمل رائع، ولا أريد أن أضيع وقتك، ولكن إذا كان بإمكانك أن تقدمي لي معروفًا صغيرًا، سأتركك بسلام. إنها مجرد مسألة البحث عن اسم على جهاز الكمبيوتر الخاص بك. إذا وجدته، يمكنك تحويلي إلى المستشار المسؤول عن الوحدة المناسبة. بهذه الطريقة تساعدينني وتساعدين مريضي دون انتهاك لوائحك.

كان بوسع فيكتور عقليًّا أن يراها تهز شعرها اللامع مترددة في اتخاذ القرار.

- من فضلك، يا سيدة فوجت.

قال مبتسمًا أثناء حديثه، ولطفه وفَى بالغرض، كان بوسع فيكتور سماعها تنقر على جهاز الكمبيوتر الخاص بها.

- ما اسمها؟

- جلاس.

قال بسرعة.

- آنا جلاس.

- توقف النقر فجأة.

- هل هذه مزحة؟

أمرته وقد اختفت النبرة المرحبة من صوتها تمامًا.

- مزحة؟
- أي «مرضى» آخرين تود مني التحقق منهم؟ إلفيس بريسلي ربما؟
- أخشى أنني لا أفهم...
- استمع إليّ دكتور لارينز...

تنهدت كارين فوجت بغضب.

- إذا كان هذا نوعًا من الخداع، فلديك حس فكاهة مريض. ولا تفكر حتى في تسجيل هذه المحادثة، أنا أعرف حقوقي.

لم يكن لدى فيكتور أي فكرة عما يجب أن يستنتج من تغير أسلوبها المفاجئ، لكنه لم يكن على استعداد للاستسلام.

- لا، يا سيدة فوجت، استمعي لي. اسمي الدكتور فيكتور لارينز، ولست ممن يحبون الدعابة، أو إجراء مكالمات هاتفية خادعة. إذا لم تعطني إجابة منطقية في الثلاثين ثانية القادمة، فسأبلغ البروفيسور مالزيوس أن موظفة الاستقبال لديه شديدة الوقاحة. أنا وهو شركاء في لعبة الجولف، بالتأكيد تعرفين هذا.

كذبة مزدوجة، ففيكتور يكره البروفيسور مالزيوس بقدر كرهه للعبة الجولف، لكنها أتت بثمارها.

- أنا آسفة لأنني انفجرت فيك، دكتور لارينز. وجدت سؤالك مزعجًا.

- مزعجًا؟ اعتقدت أنك وافقت على التحقق من اسم مريضي؟

- دكتور لارينز، أنا من وجدتها. بالتأكيد قرأت التقارير؟

- وجدتها؟ أين وجدتها؟

- على الأرض. كان الأمر فظيعًا، فظيعًا حقًّا... الآن، إذا لم تمانع، دكتور لارينز، يجب أن أجيب على مكالمة أخرى. لدي ثلاثة أشخاص على الانتظار.

- أعتذر، لِمَ هذا فظيع؟

سأل فيكتور محاولاً فهم ما سمعه.

- كانت غارقة في دمها، أليس هذا فظيعًا بما فيه الكفاية؟

ميتة؟ آنا ميتة؟ لكن لا...

- أخشى أنني لا أفهم. رأيتها البارحة.

- البارحة؟ لا بد أن هناك خطأ ما. وجدت جثة آنا في المكتب الخاص بالقسم قبل عام. لم يكن هناك شيء بوسعي فعله.

- قبل عام؟ كيف دخلت مريضة إلى المكتب الخاص بالقسم؟

تساءل فيكتور. كان يفكر في مئة سؤال مختلف، لكن هذا السؤال جاء أولاً.

- دكتور لارينز، من الصعب تصديق أنك لا تعرف ما حدث، لكن سأخبرك على أي حال. آنا جلاس لم تكن

مريضة، كانت طالبة تحت التدريب. ماتت وأنا ما زلت هنا، وعليّ متابعة عملي. هل هذا على ما يرام معك؟

- نعم.

لا، ليس حقًّا، ليس على ما يرام على الإطلاق.

- شيء واحد أخير. ماذا حدث؟ كيف ماتت؟

- مسممة، آنا جلاس تم تسميمها.

أسقط فيكتور السماعة ونظر من النافذة. لا شيء سوى الظلام، ظلام لا يمكن اختراقه.

مثل الظلام الذي حطّ عليه.

***

29

لاحقًا، عندما بدأ الغثيان والإسهال وتشوش الرؤية، لم يعد بإمكانه تجاهل الدليل على أنه أصيب بشيء أكثر خطورة من مجرد نزلة برد. لم يكن لأي من علاجاته المعتادة (الأسبرين، وفيتامين سي، وبخاخ الحلق) أي تأثير يُذكر. وحتى شاي أسام المفضل لديه، بدلاً من تهدئة حلقه الملتهب، كان يزيد الأمر سوءًا. في الواقع، كانت المرارة العالقة في حلقه تزداد مع كل كوب؛ مما جعله يتساءل لو أنه نسي تصفية الإبريق.

***

بداية النهاية تزامنت مع الزيارة ما قبل الأخيرة لآنا إلى المنزل. ظهرت دون سابق إنذار في ذلك اليوم بينما كان يغفو بصعوبة. لا يزال مرتديًا بيجامته ورداءه، جرّ نفسه إلى الباب.

- هل ما زلت تشعر بالسوء؟

سألت فورًا. تساءل كم من الوقت بقت تطرق الباب. في حلمه، كان هناك مثقاب هوائي يعمل لفترة من الوقت قبل أن يدرك أن هناك شخصًا على الباب.

- أنا فقط أشعر ببعض التعب. اعتقدت أننا اتفقنا على الحديث هذا المساء؟

- نعم، لا تقلق، لن أزعجك، جئت فقط لأعطيك هذا.

عندما رأى أنها تحمل شيئًا، فتح الباب قليلاً وتفاجأ برؤية أن آنا تبدو في حالة يرثى لها. لم يتبقَّ شيء تقريبًا من المرأة الذكية والجذابة التي ظهرت في غرفة الجلوس قبل أربعة أيام. لم تمشط شعرها، وبدت بلوزتها متجعدة. كانت عيناها تدوران بشكل عصبي ذهابًا وإيابًا بينما تضرب بأصابعها النحيلة الطويلة على مظروف بنيّ كانت تمسك به بكلتا يديها.

- ما هذا؟

- نهاية الكتاب.. الفصول العشرة الأخيرة التي تصف كل ما مررت به مع شارلوت. ظلت تشغل بالي؛ لذا قررت كتابة القصة مرة أخرى من الذاكرة.

متى؟ في الثالثة والنصف صباحًا بعد اقتحام منزلي؟ أم بعد أربع ساعات عندما اتصلت بي في المنزل؟

مرت يدها على المظروف، وهي تربّت على الحزمة بحب وكأنها هدية. تردد فيكتور. نصحه عقله السليم بعدم السماح لآنا بالدخول إلى المنزل.

إنها خطيرة.

الأدلة حتى الآن كانت دامغة: آنا جلاس ليست هي من تدعي. كان يعلم يقينًا أن اسمها ينتمي إلى طالبة تسممت في العيادة. لكن هذه المرأة -مهما كانت- تحمل مفتاح اختفاء جوزي. إذا لم يغتنم فرصته، فقد لا يحصل أبدًا على إجابات الأسئلة التي تدفعه إلى الجنون.

ولأنه كان يائسًا لمعرفة من هي، ولماذا تعتقد أن لديها معه «أمورًا عالقة»، قرر أن يسألها عن أي شيء يريده. لم يعد يهم لو أنها ستتجمد أو تخرج غاضبة لأنها بالفعل أعطته الفصول الأخيرة من قصة شارلوت.

- انتظري.

قال بسرعة، وفتح الباب بالكامل:

- لماذا لا تدخلين للحظة؟ لابد أنك تتجمدين هناك.

- شكرًا.

نفضت آنا المطر من شعرها الأشقر الطويل ودخلت بتوتر إلى الدفء. أدخلها إلى غرفة الجلوس بينما بقي هو في الردهة. بمجرد أن كان وحده، فتح الدرج السفلي من المكتب، وأخرج طرد العمدة هاليرستاد؛ المسدس! مرر أصابعه على الورق المجعد. سقطت الخيوط عندما انفكت العقدة.

- هل يمكنني الحصول على فنجان من الشاي؟

نهض فيكتور بسرعة وأسقط الطرد نصف المفتوح. كانت آنا تقف في الممر. وقد خلعت معطفها وترتدي بنطالًا أسود وقميصًا شفافًا رمادي اللون مزررًا بشكل خاطئ.

- بالطبع.

قال وهو يأخذ منديلًا من الدرج ويغلقه بسرعة. بقدر معرفته، لم تر آنا ما في الطرد.

بعد أن أعادها إلى غرفة الجلوس، أسرع إلى المطبخ وعاد بعد بضع دقائق مع الشاي. كان يشعر بالإرهاق الشديد لدرجة أنّ حمْل إبريق ممتلئ بالكامل بدا مستحيلًا؛ لذا لم يملأ سوى نصفه.

- شكرًا.

بدا أن آنا بالكاد لاحظت وجوده، ولم تظهر عليها أي دهشة من حالته عندما توقف لمسح العرق من جبينه قبل أن يتعثر في طريقه إلى مكتبه.

- يجب أن أذهب.

قالت بمجرد أن جلس.

- لكن لم تلمسي الشاي!

انزلق من المظروف الصفحة الأولى وقرأ العنوان:

- الممر.

لدهشته، كان المخطوط مطبوعًا إلكترونيًّا. من الواضح أنها أحضرت حاسوبها المحمول معها وأقنعت ترودي، صاحبة نزل «المرساة»، بالسماح لها باستخدام الطابعة في المكتب.

- من فضلك يا دكتور لارينز، لا أستطيع البقاء حقًّا.

- حسنًا، سأقرأ المخطوطة لاحقًا.

قال وهو يدفع الصفحة بشكل أخرق إلى الظرف:

- ولكن بينما أنت هنا، أود أن أسألك عن الليلة الماضية. ماذا...

رفع نظره إلى آنا وتوقف فجأة. كان هناك شيء خطأ بالتأكيد. كانت عينا آنا مثبتة بقلق على السقف وهي تقبض يديها. بدا أن ما كان يغلي بداخلها مصمم على الخروج. أراد بشدة أن يعرف إذا ما كانت قد اقتحمت منزله، ولماذا كذبت بشأن اسمها، لكنه كان يعلم أن إزعاجها في حالتها الحالية تصرف غير مسؤول. مهما كان قدر رغبته في الإجابات، ليس هناك مبرر لإحداث نوبة ذهانية لمريضة تحتاج إلى مساعدته. أخيرًا قرر أن يتناول السبب الذي جعلها تأتي إليه في المقام الأول: الفصام.

- كم من الوقت لديك؟

سأل بلطف.

- حتى النوبة التالية؟

- نعم.

- يوم؟ اثنتا عشرة ساعة؟ لا أعلم. الأعراض موجودة بالفعل.

قالت بصوت متوتر.

- ألوان؟

- نعم، كل شيء من حولي أكثر إشراقًا، أكثر كثافة. يبدو وكأن شخصًا ما طلى الأشجار وجعل البحر أزرق عميقًا لامعًا. بالكاد أستطيع أن أشيح بنظري بعيدًا؛ إنه مشع للغاية، حتى في المطر، والرائحة رائعة أيضًا. أستطيع أن أشم الملح في الهواء، وكأن كل شيء مشبع بأروع عطر، ولا أحد يمكنه شمه سوى أنا.

كان هذا تقريبًا ما توقع فيكتور أن تقوله، لكنه كان مروعًا مع ذلك. لم يستطع أن يجزم إذا ما كانت آنا خطيرة، لكنها بالتأكيد مريضة. والتعامل مع مريضة فصام تحت تأثير وهم ليس بالأمر السهل، خاصة في جزيرة منعزلة.

- أي أصوات؟

هزت آنا رأسها.

- لا، لكن الأمر مجرد مسألة وقت. أنا حالة نموذجية للفصام: ألوان زاهية، وأصوات وهمية، ثم الهلوسات البصرية. على الأقل لن أضطر للقلق بشأن رؤية شارلوت هذه المرة.

- لماذا لا؟

- لأن شارلوت لن تعود، لقد ذهبت للأبد.

- كيف يمكنك أن تكوني متأكدة لهذه الدرجة؟

- ستعرف إذا قرأت المخطوطة. أنا..

لم يستطع فيكتور سماع الباقي؛ لأن الهاتف رن وتوقفت آنا عن الكلام.

- ماذا حدث لشارلوت؟

أصر.

- يجب أن تجيب على الهاتف، دكتور لارينز. استسلمت لفكرة أنه سيرن أثناء وجودي هنا. إلى جانب ذلك، لم أكن أنوي البقاء.

- لا أستطيع أن أدعك تذهبين، أنتِ على شفا نوبة أخرى؛ تحتاجين إلى المساعدة.

وأنا أحتاج بعض الإجابات. ماذا حدث لشارلوت؟

- ابقي هنا.

أمرها. حدقت آنا في الأرض، تفرك سبابتها بعصبية ضد ظفر إبهامها. لاحظ فيكتور أن الجلد المحيط بالأظافر كان متورمًا. كان من الواضح أنها تعاني من حركات عصبية لا إرادية.

- حسنًا، سأبقى لفترة قصيرة.

وافقت.

- ولكن أوقف ذلك الرنين المزعج.

***

30

أجاب على الهاتف في المطبخ.

قال كاي بنفاد صبر:

- اعتقدت أنك بالخارج، لن تصدق ما حدث.

- انتظر لحظة.

همس فيكتور، ووضع السماعة على السطح الرخامي بجانب الحوض. خلع نعليه وتسلسل حافي القدمين إلى الردهة، يتحدث بصوت عالٍ كما لو أنه على الهاتف:

- نعم... حقًّا؟ ... حسنًا... اترك الأمر لي.

نظرًا إلى غرفة الجلوس، شعر بالارتياح عندما رأى أن آنا تجلس في نفس المكان الذي تركها فيه.

- حسنًا، يمكننا التحدث.

قال عندما عاد إلى المطبخ.

- هي ليست هناك، أليس كذلك؟

- نعم.

- اعتقدت أننا أبرمنا اتفاقًا!

- ظهرت على عتبة الباب، ولم أتمكن بالضبط من إبعادها. ليس من الآمن البقاء في الخارج في هذا الطقس. على أي حال، اعتقدت أنك تريد إخباري بشيء.

- وصل فاكس إلى المكتب اليوم.
- ممّن؟
- لا أعرف. أود منك أن تلقي نظرة عليه.
- ما فحواه؟
- لا شيء.
- أنت تتصل لتخبرني أنك تلقيت فاكسًا فارغًا؟
- لم أقل إنه فارغ. لا يوجد رسالة؛ فقط صورة.
- صورة؟ ما علاقتها بي؟
- أعتقد أنها من ابنتك، أعتقد أن جوزي رسمتها.

استند فيكتور مرتجفًا إلى الثلاجة وأغمض عينيه.

- متى؟
- متى ماذا؟
- متى حصلت على الفاكس؟
- منذ نحو ساعة. أرسل إليّ مباشرة. فقط قلة من الناس يعرفون رقمي الخاص.

أخذ فيكتور نفسًا عميقًا انتهى بالسعال مرة أخرى.

- لا أعرف ماذا أقول.
- هل لديك جهاز فاكس؟
- إنه على المكتب في غرفة الجلوس.

- رائع. سأرسله لك في غضون عشر دقائق. في هذه الأثناء أخرج تلك المرأة من المنزل. سأعاود الاتصال بعد قليل لتخبرني برأيك.

أعطه فيكتور رقم الفاكس الخاص به وأغلق الخط.

بمجرد أن كان في الردهة، رأى أن باب غرفة الجلوس مغلق. لعن سرًّا، على الفور اشتبه أن آنا قد اختفت مرة أخرى. جذب الباب وفتحه بقوة، وأطلق تنهيدة ارتياح. كانت آنا لا تزال هناك. كانت واقفة عند المكتب وظهرها إليه.

- مرحبًا مرة أخرى.

قال بصوت مبحوح بالكاد يُسمع.

تحول ارتياحه إلى رعب. لم تسمعه آنا يدخل:

كانت لا تزال تدير ظهرها له وتُحرِّك مسحوقًا أبيض في الشاي الخاص به!

***

31

- اخرجي من بيتي!

استدارت آنا ببطء ونظرت إليه بوجه فارغ.

- يا إلهي، دكتور، كدت تصيبني بنوبة قلبية. هل حدث خطأ ما؟

- خطأ؟ كان الشاي مرًّا لأيام، وأشعر بالوهن منذ قدومك إلى الجزيرة، والآن أعلم السبب!

- بحق السماء، دكتور لارينز، ستمرض نفسك! اهدأ واجلس.

- بالطبع أنا مريض! كنت تضعين شيئًا في الشاي... حسنًا، أخبريني!

- أستمحيك عذرًا؟

- ما الذي كنتِ تضعينه في الشاي؟

صاح فيكتور. بدت الكلمات وكأنها تنقب داخل حلقه، ليرتجف صوته بشكل هستيري.

- تمالك نفسك.

قالت بحدة.

- ماذا في الشاي؟

- باراسيتامول.

- باراسيتامول؟

- نعم، إنه رائع لنزلات البرد.

فتحت حقيبتها الرمادية الثمينة. وواصلت:

- تفضل، انظر بنفسك. عانيت كثيرًا مع شارلوت حتى إنني ما عدت أخرج من المنزل بدونه.

توقفت قبل المتابعة:

- بدوت بحالة سيئة وأردت أن أساعدك. كنت سأخبرك قبل أن تشربه، لكن... يا إلهي، هل تعتقد أنني كنت أحاول تسميمك؟

كان فيكتور يفكر في كل شيء، لكنه لم يعرف ماذا يصدق.

كلبه اختفى، وهو يعاني من إسهال وحرارة وآلام عضلية؛ أعراض كلاسيكية لعدوى فيروسية، أو تسمم.

لم تساعد أدوية السعال والمسكنات، بالإضافة إلى أن شخصين منفصلين حذراه من آنا.

«كن حذرًا؛ إنها خطيرة».

- انظر.

قالت آنا وهي تظهر له كوبها:

- لقد وضعت باراسيتامول في كوبي أيضًا. اعتقدت أنه قد يفيدنا. هل سأرغب في تسميم نفسي؟ شربت بضع رشفات بالفعل.

حدق فيكتور فيها مذهولًا. كان لا يزال مضطربًا ليعثر على الكلمات المناسبة. صاح:

- كيف تفترضين بي أن أفكر؟ لا شيء من هذا له معنى! لماذا بحق الله ستقتحمين بيتي في منتصف الليل؟ لِمَ تحملين سلاح؟ لماذا يشتري أي شخص خيط صيد وسكين نحت من متجر الأدوات؟ ماذا فعلت لكِ؟

فكر فيكتور أن الاتهامات ستكون سخيفة لو لم تكن حقيقية تمامًا.

- لقد كذبتِ حتى بشأن اسمكِ!
- أخشى أنني لا أفهم، دكتور لارينز. هل تعتقد أن لدي ضغينة ضدك، هل هذه هي المشكلة؟
- قولي لي أنتِ! وفقًا للعبّار مايكل بيرج، لدينا أنا وأنت «أمور غير مكتملة» علينا إكمالها!
- هل تعاني من الحمى؟

بالطبع أعاني من الحمى. أليس هذا هو هدفك؟ واصلت:

- لم أقل كلمة واحدة لبيرج منذ أن أقلني.

الآن بدأت آنا تفقد أعصابها أيضًا.

- لا أعرف عما تتحدث!

وقفت وسوت بنطالها.

كان أحدهم يكذب. إما أن هالبيرستاد قد اختلق الأمر، أو أن آنا لا تقول الحقيقة.

- حسنًا.

قالت بغضب:

- إذا كان هذا هو رأيك فيّ، يمكننا أن ننهي جلساتنا هنا.

لأول مرة منذ بدء العلاج، كان غضب آنا مستعرًا. أمسكت بمعطفها وحقيبتها واندفعت بجانبه. ثم توقفت في المدخل وعادت. قبل أن يتمكن فيكتور من إيقافها، انتقمت بأبشع طريقة ممكنة.

انتزعت الظرف البنيّ من المكتب وألقته في المدفأة. اشتعلت الأوراق في اللهب.

- لا!

أراد فيكتور أن يركض عبر الغرفة، لكنه لم يتمكن من حشد القوة لاتخاذ خطوة واحدة.

- لماذا يجب أن تهتم بقصتي؟ لن تراني مرة أخرى!

- توقفي!

صاح خلفها، لكن آنا خرجت دون أن تنظر للخلف.

وانغلق الباب الأمامي خلفها.

***

آنا جلاس رحلت للأبد، ومعها أي فرصة لمعرفة ما حدث لجوزي. تصاعدت الحقيقة في المدفأة، لتغادر عبر المدخنة محمولة بعمود من الدخان الأسود.

***

32

سقط فيكتور متأوهًا على الأريكة.

ما الذي كان يحدث؟ ماذا يحدث في الجزيرة؟

ضم ركبتيه إلى صدره وعانقهما.

يا إلهي.

كان يتعرق بغزارة وعاد صديقه القديم السيد رعشة ليداهمه.

ما الذي يحدث لي؟ لن أكتشف الحقيقة أبدًا عن جوزي.

كنت تتعرض للتسمم، قال صوت داخله.

كان فقط باراسيتامول، رد ضميره.

استغرق الأمر بضع لحظات حتى توقف عن الارتعاش ووقف.

كان الشاي باردًا بحلول الوقت الذي استجمع فيه القوة لحمل الأواني على صينية. تسلل إلى المطبخ محدقًا في الأكواب بذهول، مشوشًا بالأدلة الصادمة، نسي أن ينظر إلى أين كان ذاهبًا، تعثر وترك الصينية، فتحطم كل شيء على الأرض، وانسكب الشاي في كل مكان، حارمًا إياه من الدليل، لكنه كان يعلم بالتأكيد ما رآه.

كان كلا الكوبين ممتلئين حتى الحافة. كان مستعدًّا لأن يراهن على أن آنا لم تأخذ رشفة واحدة من الشاي.

قبل أن يتمكن من جلب قطعة قماش من المطبخ، لفت انتباهه صوت طنين واهتزاز وصول فاكس على آلته القديمة.

ترك الصينية والقطع المكسورة على الأرض، وعاد إلى المكتب. قبل أن يصل، كان بإمكانه أن يعرف أن هناك مشكلة. أخرجت الآلة ورقة واحدة، التقطها ببطء وحملها تحت المصباح. كان بوسعه تقليبها يمينًا ويسارًا، كان بوسعه فحصها بقدر ما يشاء، بلا نتيجة، ولا حتى ميكروسكوب قد يساعد.

الفاكس فارغ بلا أي إشارة لرسم جوزي، فقط خط أسود سميك.

***

33

عندما وصل هالبيرستاد حاملًا الأخبار البشعة، كان فيكتور متوترًا لدرجة أنه بالكاد يتذكر رقم هاتفه، ناهيك عن رقم كاي ستراثمان. فشل المحقق الخاص في الاتصال بشأن الفاكس. بعد أن انتظر بلا جدوى لمدة عشرين دقيقة، قرر فيكتور الاتصال بكاي بنفسه. لسوء الحظ، كان لا يزال يعاني من الحمى لدرجة أن ذاكرته بدت وكأنها تذوب. الأسماء والأرقام تتشابك في رأسه مثل حساء من حروف، تعرض لتقليب جيد. لم يستطع تذكر رقم كاي؛ لذا لم يستطع الاتصال به ليخبره أن الفاكس لم يعمل.

ولكن الفاكس الفارغ كان أقل مشاكله. كانت فكرة أنه قد تعرض للتسمم تقوده إلى الجنون. شعر وكأن ظهره يحترق، الصداع النصفي يمتد من قاعدة جمجمته إلى جبهته. بالطبع، باستثنائه هو، لا أحد في باركام يعرف أي شيء عن الطب، والرياح قد بلغت سرعة تمنع حتى مروحية عسكرية من مغادرة اليابسة إلا في حالة طوارئ. ولم يكن متأكدًا حتى من أن هذه كانت حالة طوارئ. ربما ما أخبرته به آنا هو الحقيقة، ربما المسحوق لا شيء سوى باراسيتامول. أو ربما تعرض للتسمم بجرعات صغيرة يومًا بعد يوم.

مثل شارلوت؟ مثل جوزي؟

هل كانت لدى آنا فرصة كافية لتسميمه تدريجيًّا؟ قرر أن يعطي نفسه فرصة لبضع ساعات أخرى. كان الطقس سيئًا ولم يرغب في تعريض المسعفين للخطر من أجله، لن يقبل بأن يطيروا في وسط إعصار إذا تبين أنه يعاني من الإنفلونزا. لحسن الحظ، كان قد أحضر بعض الفحم المنشط ومساعدات الامتصاص الأخرى، التي تناولها مع بعض المضادات الحيوية القوية؛ تحسبًا لأي شيء.

بمراجعة الأحداث، تبين لفيكتور أنه ربما كان من الجيد أنه كان في حالة إرهاق جسدي شديد عندما وصل هالبيرستاد مع الأخبار الصادمة. كان عقله المخدر بالألم ومزيج الأقراص منهكًا ومشوشًا لدرجة أنه لم يستطع استيعاب التفاصيل المروعة التي قُدمت له على الشرفة على الفور.

- آسف يا دكتور.

قال العمدة. كان يمسك بقبعة قماشية سوداء بيديه ويدورها بين أصابعه. كاد فيكتور أن يسقط وهو يحاول الانحناء بجانب جثة كلبه.

- وجدت سندباد بجانب سلال القمامة في الجزء الخلفي من نزل المرساة. مكتبة سُر مَن قرأ

شعر فيكتور وكأنه يستمع إلى نص من الجانب الخطأ لستارة المسرح. ركع ومد يده ليلمس جسد الكلب الأشقر الميت. بدا من الواضح أن الكلب تعرض للتعذيب؛ ساقاه الخلفيتان وفكه وربما عموده الفقري كان مكسورًا.

- أنت تعرف من يقيم هناك، أليس كذلك؟
- معذرة؟

مسح فيكتور الدموع من عينيه ونظر إلى العمدة. كان سندباد قد خُنِق بقطعة من خيط الصيد، وجدها مدفونة في اللحم حول عنقه.

- هي، بالطبع. تلك المرأة التي حذرتك منها. تقيم في المرساة. يمكنك أن تراهن بحياتك أنها قتلته.

حدس فيكتور الداخلي أيده، فكر في أن يطلب من هالبيرستاد الانتظار ريثما يجلب المسدس حتى يتمكنوا من إطلاق النار عليها، ثم تمالك نفسه.

- استمع، باتريك، لا أريد التحدث عن هذا. ولا أستطيع مناقشة سلوك مرضاي.

شيء مريب؛ خيط صيد.

- تعتقد أنها ستعود، أليس كذلك؟ مما رأيته، كانت غاضبة جدًّا عندما غادرت هذا المكان. كانت تبكي بشكل هستيري.
- هذا ليس من شأنك.

قال فيكتور بصوت متوتر وغاضب.

رفع هالبيرستاد يديه في استسلام.

- اهدأ دكتور، كنت أحاول المساعدة لا أكثر. تبدو مريضًا للغاية.

- هذا ليس مفاجئًا، أليس كذلك؟

- حتى مع الأخذ بعين الاعتبار أن كلبك قد قُتل، لا تبدو على ما يرام. هل هناك أي شيء يمكنني القيام به من أجلك؟

- لا.

حدق فيكتور في جثة كلبه المحطمة. لاحظ فجأة علامات الطعن في بطنه؛ السكين قد اخترقت البطن.

شفرة طويلة مثل سكين النحت.

- في الواقع، هناك شيء يمكنك القيام به.

وقف على قدميه وتابع:

- يمكنك دفن سندباد نيابة عني، لا أستطيع القيام بذلك.

لم يكن عقله واعيًا بما يكفي، ناهيك عن جسده.

- لا مشكلة.

أومأ هالبيرستاد بقبعته نحوه مواصلًا:

- من الأفضل أن أجلب مجرفة.

استدار نحو سقيفة الأدوات وتوقف.

- هناك شيء آخر أردت أن أريك إياه. آمل أن تأخذ تحذيراتي بجدية أكبر بعد ذلك.

- بعد ماذا؟

ناول هالبيرستاد لفيكتور ورقة خضراء ملطخة بالدماء:

- كانت في فم سندباد عندما وجدته.

نظر فيكتور فيها.

- يبدو وكأنه...

- بالضبط. إنها كشف حساب بنكي. وإذا لم أكن مخطئًا، فهي تخصك.

مسح فيكتور الدم من الزاوية العلوية اليمنى وتمكن من قراءة اسم البنك الذي يتعامل معه، كانت نسخة مطبوعة من حساب التوفير الذي يحتفظ فيه هو وإيزابيل بمعظم أموالهما.

- اقرأها بعناية.

نصحه هالبيرستاد.

كان التاريخ ورقم المعاملة مطبوعين على اليسار.

- هذا بتاريخ اليوم!

- يبدو كذلك.

- لكن هذا مستحيل!...

عرف أن باركام لا تحوي أجهزة صراف آلي، لكن لم يكن التاريخ هو أكثر ما يقلقه.

قبل يومين كان رصيد الحساب 450,322 يورو.

أمس سحب شخص ما المبلغ بالكامل.

***

34

الغرفة 1245 - عيادة فيدينغ للأمراض النفسية والعصبية ببرلين

- ولِمَ يخطر ببالك حتى ذلك الحين أن إيزابيل قد تكون متورطة؟

كان التدخين ممنوعًا تمامًا في العيادة، لكن الدكتور روث جلب سيجارة لفيكتور، الذي أمسكها بجانب فمه.

- لا، وحتى ذلك الحين لفظت دماغي الفكرة على الفور. كانت أكثر مما أستطيع احتماله.

- وإيزابيل الوحيدة التي باستطاعتها الوصول إلى ذلك المال.

- نعم، الحساب مشترك باسمينا، لو أن شخصًا استطاع سحب مدخراتنا فلابد أنها وافقت على المعاملة، أو أن البنك ارتكب خطأ.

رن جهاز الاستدعاء الخاص بالدكتور روث مرة أخرى، لكنه هذه المرة أسكته.

- ألن تجيب عليه؟

- ليس عاجلًا.

- فهمت، زوجتك إذًا.

ضحك فيكتور، لكن الدكتور روث لم يبدُ مستمتعًا:

- لنتحدث عن زوجتك، دكتور لارينز. هل فكرت في أن تطلب من كاي مراقبتها؟

- تتذكر تلك الضجة التي انتشرت بخصوص يوميات هتلر المزورة؟ وكيف انخدعت الصحف بالكذبة؟

- نعم.

- قبل سنوات التقيت بصحفي عمل في مجلة شتيرن، كان من الأطراف المتورطين مباشرة في القصة.

- لست متأكدًا كيف يجيب هذا على سؤالي.

- انتظرنا أنا وهو في قاعة الانتظار في أستوديو تليفزيوني حيث كان من المفترض ظهوري في برنامج حواري. لم يتجاوب معي مباشرة حين سألت بخصوص اليوميات، لكننا التقينا بعدها في مقهى الأستوديو، وبعد بضعة كؤوس من الشراب صار جاهزًا للحديث عنها. لن أنسى ما قاله أبدًا.

- ماذا؟

- قال: «نحن راهنا بسمعتنا على تلك اليوميات، خاطرنا بالكثير حتى إن فكرة أنها مزورة كانت مريعة، المسألة صارت أننا نريد رؤية ما نريد رؤيته، كنا مقتنعين تمامًا بأنها حقيقية؛ لأن البديل كان بشعًا حتى إننا عجزنا عن التفكير فيه. لم تعد مسألة البحث عن دليل على أننا خدعنا بل صرنا نبحث عن دليل يثبت أننا كنا على حق.

- كيف ينطبق ذلك على حالتك مع إيزابيل؟

- شعرت تجاه زوجتي كما شعر هو تجاه اليوميات: أردت أن أثق بها؛ لذا فعلت.

- ألم تبحث في الأمر أكثر؟

- ليس على الفور. كان لدي أشياء أفضل لأفعلها.

أخذ نفسًا من السيجارة التي أمسكها الدكتور روث من أجله.

- كان عليّ أن أعود إلى البر الرئيسي حيًّا.

***

35

- فيكتور، ساعدني!

كلمتان. وأول فكرة خطرت في باله أن آنا قد أسقطت لقب «الدكتور» من اسمه.

تكاثفت السحب الرمادية في الأفق مُنذرةً بالشؤم، تقترب من الشاطئ، ثقيلة ومنخفضة حتى بدا وكأنه يستطيع لمسها، وكأن السماء عازمة على خنق المنزل. باركام كانت على وشك أن تُضرب بقوة الإعصار الكاسحة. بحلول الوقت الذي خرج فيه فيكتور من السرير ليعرف من كان يطرق بابه، كانت نشرة الطقس البحري تشير إلى أن سرعة الرياح من عشر إلى اثني عشر على مقياس بوفورت. لكن فيكتور لم يكن واعيًا للطقس العاصف الذي يدور حوله. قبل خلوده للنوم تناول بعض الحبوب المنومة القوية على أمل أن يغفو لبضع ساعات؛ ليحصل على راحة بدون ألم أو توتر. عندما فتح الباب، كانت أجزاء من جهازه العصبي لم تتأثر بالمهدئ، فانصب تركيزها فورًا على اللغز الجديد: آنا ظهرت بشكل غير متوقع ولم يسبق لفيكتور رؤية مثل هذا التدهور السريع في حالة المريض الصحية. المرأة التي غادرت منزله غاضبة قبل تسعين دقيقة وقفت أمامه. شعرها متشابك،

ووجهها شاحب ومتعب، وحدقتا عينيها متسعتان من الخوف. ثيابها المتسخة والمبتلة تلتصق بجسدها؛ مبرزة حالتها المزرية أكثر.

- ساعدني، فيكتور.

كلماتها الأخيرة لليوم، وقبل أن يتسنى لفيكتور الوقت للرد، انهارت على الأرض، ممسكة بيأس بالسترة الصوفية الزرقاء التي ارتداها.

في البداية ظن أنها تعاني من نوبة صرع. فبعد كل شيء، كان هناك رابط معروف بين الصرع والذهان. لكن -كما لاحظ بضيق- لم يرتجف جسدها أو تتحرك في كل اتجاه، ولم تسِل من فمها رغوة أو تفقد الوعي فجأة. في الواقع لم تكن فاقدة الوعي على الإطلاق، بل مشوشة وبلا استجابة وكأنها تحت تأثير مخدرات. اتخذ فيكتور قرار سريع بحملها إلى داخل المنزل، لكن فور أن رفعها من على الشرفة الخشبية، فوجئ بمدى ثقل وزنها. بدت ثقيلة بشكل غير منطقي بالنسبة لشخص بمثل بنيتها.

فقدت السيطرة على نفسي حقًّا، هكذا فكر فيكتور وهو يلهث بينما يحملها إلى غرفة الضيوف في الطابق العلوي. عندما صعد السلم، أصبح الصداع في رأسه مريعًا حتى إنه يصم الآذان. شعر وكأن جسده يمتص الحبوب المنومة، ويمتص التعب مثل الإسفنج. بدا وكأنه يزداد ثقلاً بمرور كل ثانية.

كانت غرفة الضيوف عبر الممر من غرفة نوم فيكتور. لحسن الحظ، عمل على أن ترتب الأسرة مسبقًا قبل وصوله؛ لذلك كانت

الغرفة جاهزة للاستخدام. وضع آنا فوق الشراشف البيضاء وساعدها على خلع معطفها الكشمير المتسخ، ثم حل وشاحها الحريري وقاس نبضها. لا مشاكل هناك.

لغريزة مفاجئة فيه، رفع جفنيها وسلط شعاع مصباح قلم على حدقتي عينيها. كان من الواضح أن آنا لم تكن بخير. كلتا الحدقتين استجابتا ببطء. هذا في حد ذاته لم يكن مصدر قلق، ويمكن ببساطة أن يكون نتيجة لتأثيرات دوائها، لكنه أثبت أنها لم تكن تتصنع حالتها. آنا كانت إما مريضة أو تعاني من إرهاق مثله.

ما المشكلة بهما؟

قرر ألا يفكر في الأمر للحظة، وواصل نزع ملابسها المبللة. كان طبيبًا، طبيبًا يتصرف لمصلحة مريضه، لكنه شعر بعدم الراحة عندما وصل إلى مرحلة خلع سروالها، وفتح أزرار بلوزتها وإزالة ملابسها الداخلية الحريرية.

جسدها العاري كان خاليًا من العيوب. لفها بسرعة في رداء حمام أبيض من الحمام وغطاها بلحاف خفيف من الريش. كانت منهكة للغاية؛ لدرجة أنها غفت قبل أن ينتهي من تعديل وضعها بالفراش.

بقي فيكتور لفترة يستمع بعناية بينما مريضته تتنفس بعمق وانتظام، شعر بالارتياح؛ لأنه تأكد من أنها لم تعانِ من أكثر من انهيار مؤقت، ولم تلحق بنفسها أذى جديًّا.

ومع ذلك، هذا الوضع جعله متوترًا.

كان مريضًا ومرهقًا، والآن هناك مريضة مصابة بالفصام في غرفة الضيوف، امرأة ربما ترغب في قتله. بمجرد أن تستيقظ، كان يعتزم مواجهتها بشأن ما حدث لجوزي وسندباد وأمواله. لولا الحبوب المنومة والمضادات الحيوية التي تستنزف قوته، لكان توخى الحذر وأعادها إلى البلدة دون مماطلة.

فكر فيكتور للحظة، ثم اتخذ قرارًا؛ ذهب إلى الهاتف ليطلب المساعدة.

***

بينما يلتقط السماعة، أضاء وميض من البرق السماء، لينير شاطئ البحر كليًّا بلسان من الضوء. وضع فيكتور الهاتف وبدأ في العد. لم يتجاوز الرقم أربعة عندما هز هدير يصم الآذان البيت. هرع من غرفة إلى أخرى، يفصل الأجهزة الكهربائية عن القوابس؛ تحسبًا لأي زيادة في التيار الكهربائي. بعد فصل التلفاز في غرفة الضيوف، انتظر للحظة يشاهد آنا تتقلب وتتنهد في نومها. بدت وكأنها تتعافى بشكل جيد. في غضون بضع ساعات، ستقف على قدميها مرة أخرى.

- ربما ستستيقظ بينما أنا نائم.

علم أن عليه اتخاذ إجراء ما احتياطيًّا. آخر شيء يريده هو أن تحتجزه آنا في منزله. نزل إلى الطابق السفلي نحو الهاتف، متوقفًا في منتصف الطريق لغرفة الجلوس للحظة واستعادة توازنه.

عندما وصل إلى غرفة الجلوس والتقط الهاتف، كان منهكًا لدرجة أنه استغرق بضع ثوانٍ ليُدرك أن الخط كان ميتًا. أعاد السماعة إلى القاعدة وحاول مرة أخرى، لكن الهاتف القديم رفض إصدار أي صوت.

- طقس بائس، جزيرة بائسة.

يبدو أن العاصفة قد قطعت خطوط الهاتف. جلس فيكتور على الأريكة وجاهد بشدة من أجل استجماع أفكاره. كان لديه مريضة -ربما عنيفة- في منزله، ليس لديه القوة الكافية ليذهب إلى القرية. والهاتف لا يعمل. شعر بقوة الباربيتورات المخدرة تنتشر في جسمه. ماذا عليه أن يفعل؟

***

في اللحظة ذاتها التي فكر فيها في حل، غلبه النوم.

***

36

هذه المرة كان الأمر مختلفًا. لم يتبع الكابوس نمطه المعتاد؛ كان هناك شيء مختلف. لسبب ما، لم تكن جوزي في سيارة الفولفو وهم يندفعون نحو البحر الهائج. في البداية لم يستطع تحديد من جلس في المقعد الخلفي للسيارة. في حلمه كان مصممًا على تحديد هوية الشابة التي تقرع أصابعها على الباب. وأخيرًا تعرف عليها: آنا!

لم يسمعه أحد يصرخ؛ لأن يدًا كانت تغطي فمه، وتمنعه من إصدار صوت.

ما الذي يحدث بحق الجحيم!

مذعورًا أدرك فيكتور أن الكابوس المروع قد تحول إلى شيء أسوأ. كان مستلقيًا على الأريكة والحلم بدا حقيقيًّا. استيقظ ليجد نفسه يختنق. لا أستطيع التنفس، فكر. بدأ يضرب بيديه؛ محاولًا التخلص من مهاجمه، لكن تأثير الحبوب المنومة مع آثار مرضه تآمر ضده، وسلبه القوة الكافية للدفاع عن نفسه، شعر وكأن قوة غير مرئية تسحبه للأسفل، تثبت يديه في مكانهما.

هذه هي اللحظة! ستقتلني!

كان هالبيرستاد على حق.

متأوهًا من الجهد، قذف نفسه إلى الجانب وركل بقدميه بجنون. شعر بنفسه يُدفع ليغوص أكثر وأكثر إلى الأريكة، ثم لمست قدمه شيئًا ناعمًا وسمع صوت تهشم غير طبيعي وصراخًا مكتومًا. فجأة رفعت اليد من فمه وامتلأت رئتاه بالهواء. اختفى الضغط عن صدره.

- آنا؟

صرخ بأعلى صوته، يتشبث بالهواء كأنه يغرق. انزلق من الأريكة وزحف عبر الأرض.

- آنا!

لا إجابة. ربما ما زلت أحلم. ربما لا شيء من هذا حقيقي. حتى هذه اللحظة كانت أفكاره مشوشة، الفضل لمزيج من الإنفلونزا والباربيتورات، لكن أخيرًا بدأ يشعر بالذعر.

النجدة! ضوء! أحتاج إلى ضوء!

- آنا!

عندما سمع صوته، شعر وكأنه غطاس يعود تدريجيًّا إلى السطح.

أين الضوء اللعين؟

معتدلًا لكن مترنحًا، مد يده يتلمس الحائط بشكل محموم. أخيرًا وجد مفتاح الضوء وغمر غرفة الجلوس بالضوء الأصفر الساطع من المصابيح الأربعة على السقف. انتظر حتى تتكيف عينيه ومسح الغرفة.

لا أحد هنا. أنا وحدي.

مضى ببطء إلى النافذة. كانت مغلقة. كاد يصل إلى مكتبه عندما أغلق الباب خلفه. استدار بسرعة. كان بإمكانه سماع شخص يركض حافي القدمين على السلالم.

- ساعدني، فيكتور!

كلمات نطقتها ضيفته غير المتوقعة قبل بضع ساعات. الآن كرر الجملة هو نفسه. صار في قبضة الذعر الأعمى نفسه الذي هاجمه عدة مرات من قبل. وقف متجمدًا من الصدمة، ثم تعثر في طريقه نحو الباب.

ما الذي يحدث لي؟ هل كانت هي؟ أم أنني أحلم؟ توقف عند المكتب في الرواق وبحث عن المسدس. مفقود!

بالأعلى قرعت خطوات ثقيلة درجات السلم متجهة للباسطة.

استمر في البحث بشكل محموم، ووجد الطرد نصف المفتوح في الجزء الخلفي من الدرج مدفونًا تحت كومة من المناديل. بيدٍ مرتعشة مزق الورق، التقط رصاصتين وحمل المسدس. مدفوعًا بدفقة من الأدرينالين، ركض بسرعة إلى الطابق العلوي.

بمجرد وصوله إلى الباسطة، أُغلق باب غرفة الضيوف بعنف. ركض إلى نهاية الممر.

- آنا، ماذا تفعلين...

فتح فيكتور الباب وأشار بالمسدس نحو السرير. سحب الزناد وحبس أنفاسه. كان المشهد الذي استقبله صادمًا للغاية، غير متوقع لدرجة أنه كان أكثر مما يستطيع تحمله في حالته الحالية.

خفض السلاح.

مستحيل، فكر فيكتور، متراجعًا من الغرفة ومغلقًا الباب خلفه. كان يلهث ويتنفس بصعوبة. مستحيل، هذا مستحيل تمامًا. الأمر غير منطقي، لا يستطيع تفسيره! الغرفة الاحتياطية، غرفة الضيوف التي رأى آنا تنام فيها بسلام، والتي انغلق بابها بعنف قبل لحظات.

كانت فارغة، لم تكن آنا موجودة في أي مكان.

***

بعد نصف ساعة، عندما بدأ فيكتور جولته الثانية في المنزل لتفقد الأبواب والنوافذ، شعر بأن التعب قد تلاشى. الرعشة اللاإرادية وارتفاع حرارته عاكسًا تأثير الحبوب المنومة. بالإضافة إلى ذلك، فعلت آنا كل ما في وسعها لإبقائه مستيقظًا. هاجمته في غرفة جلوسه الخاصة وهربت في منتصف العاصفة دون أن تنتظر لترتدي ملابسها. كانت جميع ملابسها وحتى روب الاستحمام الخاص به ملقاة على السجادة في الغرفة الاحتياطية. لم تأخذ معها أي شيء.

أعد فيكتور إبريقًا من القهوة القوية. وأربعة أسئلة تدور في رأسه:

ماذا تريد آنا حقًّا؟

هل هاجمتني فعلًا؟

لِمَ هربت؟

من هي؟

***

في الساعة الرابعة والنصف صباحًا، أنعش نفسه بجرعة مزدوجة من الباراسيتامول والإيبوبروفين. كان اليوم قد بدأ للتو.

***

37

اليوم الموعود - باركام

في بعض الحالات حتى الأشخاص الأكثر عقلانية يتصرفون بطرق غير منطقية وغبية.

في تسع مرات من أصل عشرة، الشخص الذي يملك جهاز التحكم عن بعد سيضغط على الأزرار بقوة أكبر إذا كانت البطارية منخفضة. ولكن بطارية النيكل كادميوم ليست كالليمون، وضغطها بقوة لن ينتج المزيد من العصير.

في رأي فيكتور، الشيء نفسه سارٍ على الدماغ البشري. التعب والمرض وكل تلك العوامل الأخرى قادرة على استنزاف بطارية الشخص؛ مما سيبطئ أفكاره بكل تأكيد. في مثل هذه الظروف التركيز بجدية أكبر عديم الفائدة: لا يمكن لأي جهد مبذول أن يجبر خلية عصبية على توليد فكرة. كانت هذه هي النظرة التي تبناها فيكتور تجاه الليلة السابقة. لا شيء مما حدث بدا منطقيًّا. يمكنه أن يرهق عقله ويفكر في الأمر بقدر ما يريد، لكن التعمق في التفاصيل لن يمنحه أي إجابات، وبالتأكيد لن يساعد في راحة باله.

شارلوت، سندباد، جوزي. القتل.

كل شيء كان يعتمد على سؤال واحد: من هي آنا جلاس؟ كان بحاجة إلى الوصول إلى الحقيقة قبل فوات الأوان. في البداية، واتته فكرة الاتصال بالشرطة، لكن ما الأدلة التي يملكها؟ كلبه مات، كان يشعر بالمرض، حاول شخص ما قتله واختفت مدخراته، لكنه لم يستطع إثبات أن آنا كانت متورطة.

في صباح يوم الإثنين، سيتصل بمدير البنك ويضع حظرًا على حسابه. لكن اليوم هو الأحد، ولم يكن لديه الوقت ولا الرغبة للجلوس والانتظار. كان عليه التعامل مع المشكلة، وكان عليه التعامل معها وحده. على الرغم من أنه كاد يختنق بالكامل البارحة، فإنه شعر بتحسن طفيف الآن. لكن هذا كان مزعجًا أيضًا. ماذا لو كان تحسن صحته ناتجًا عن توقفه عن شرب الشاي؟

كان في الحمام عندما فاجأه صوت غريب. جاء من الطابق السفلي. هناك شخص ما عند الباب الأمامي. هذه المرة الصوت لا يشبه صوت هالبيرستاد أو كعب حذاء آنا العالي. ابتلعه خوف مفاجئ لا عقلاني. أغلق أصابعه حول المسدس في جيبه، تسلل إلى الباب ونظر من خلال ثقب الباب. من يمكن أن يكون في الخارج في مثل هذا الوقت المبكر صباح يوم الأحد؟

لا أحد.

وقف فيكتور على أطراف أصابعه، ثم انحنى ونظر تحت الباب. رغم كل محاولاته، لم يستطع رؤية أي شخص على الإطلاق. مد يده إلى المقبض النحاسي الثقيل، ناويًا فتح الباب

قليلاً. في تلك اللحظة، سمع حفيفًا بجانب قدمه اليمنى. نظر إلى الأسفل والتقط ظرفًا كان قد دفعه شخص ما من الخارج.

كان تلغرافًا. قبل سنوات، في وقت لم يكن أحد قد سمع فيه بالبريد الإلكتروني أو الفاكس، لم يكن فيكتور سيتفاجأ بتلقي تلغراف. لكن ما فائدة التلغراف عندما يمكن التواصل مع الجميع على مدار الساعة عن طريق الهاتف المحمول؟ بالتأكيد التلغرافات أصبحت موضة بالية؟ صحيح أن الإشارة شبه منعدمة في باركام، لكن لديه خط أرضي يعمل وبريد إلكتروني أيضًا. لِمَ قد يرغب أحدهم بإرسال تلغراف؟

دفع فيكتور المسدس إلى جيب رداء الحمام وفتح الباب. من أوصل التلغراف لم يعد في الأفق. الكائن الحي الوحيد كان قطة ضالة، فروها الأسود مبلل، تتمشى ببطء نحو القرية. لكي يختفي الشخص بهذه الطريقة كان يتطلب سرعة هائلة. التغطية الوحيدة توفرها غابة من أشجار الصنوبر والتنوب، التي حجبت فروعها المبتلة ضوء النهار.

مرتعشًا، أغلق فيكتور الباب. لم يكن متأكدًا إذا ما كان يشعر بالبرد أو الخوف أو المرض. تخلص من رداء الحمام المبتل بالعرق وتركه على الأرض. بعد أن لف نفسه في سترة صوفية سميكة جذبها من على شماعة المعاطف في الرواق، فتح التلغراف، ومزق المظروف الأبيض ليصل إلى الرسالة. كانت مكونة من جملة واحدة. كان عليه أن يقرأها ثلاث مرات قبل أن يفهم، وحتى حينها ثقلت أنفاسه من الصدمة.

«عار عليك»

كانت الرسالة مطبوعة بحروف كبيرة في خط بحجم 12 على ورق مكتب البريد العادي. كانت تفاصيل المرسل مدرجة في الأسفل. جلس ببطء. الكلمات بدت مشوشة أمام عينيه. إيزابيل.

لماذا بحق السماء سترسل له إيزابيل رسالة كهذه؟ قلّب الورقة بين يديه وفحصها عن كثب. لم يكن الأمر منطقيًّا. عار على لماذا؟ ماذا فعل؟ هل اكتشفت إيزابيل -التي لا تزال في مانهاتن- شيئًا مروعًا عنه؟ هل فعل شيئًا لا يوصف لدرجة أنها لم تستطع أن تخبره عبر الهاتف؟ لماذا انقلبت ضده عندما كان في أمسّ الحاجة إلى دعمها؟

قرر فيكتور أن يتصل بها في نيويورك. ذهب إلى الهاتف ووضع السماعة على أذنه: لا يزال عاجزًا عن سماع نغمة اتصال. الخط -وسيلته الوحيدة للاتصال بزوجته- كان خارج الخدمة.

ما الذي يفعلونه؟ كان لديهم متسع من الوقت لإصلاح الخطوط الآن. كان يمكنه أن يفترض أن أعمدة الهاتف قد تضررت في العاصفة. إما ذلك، أو أن البحر الهائج أثر على الكابلات تحت الماء. ثم، لحسن حظه، اكتشف تفسيرًا أبسط بكثير. أي كانت المشكلة، يمكنه إصلاحها والمضي قدمًا، لكن هاجمته فكرة مرعبة على الفور.

لم يرن الهاتف منذ أن اتصل به كاي قبل يومين.

والسبب واضح؛ أحدهم فصل الهاتف عن قابس الحائط.

***

38

لم تجب إيزابيل على هاتفها، وبالتالي قرر فيكتور التصرف. لن يستطيع فقط الجلوس في المنزل طوال اليوم منتظرًا اتصالها أو اتصال كاي أو آنا.

حان الوقت ليتولى السيطرة على أموره بنفسه.

***

استغرق الأمر بضع دقائق لتفريغ الدرج العلوي للمكتب في القاعة. كان يبحث عن دفتر ملاحظات أحمر مهترئ؛ حيث جمع والده دليلًا بأرقام الهواتف المفيدة. قرأ بطول الدفتر بادئًا بالأسماء التي تبدأ بحرف «أ»، ثم انتقل إلى «ن» للبحث عن «نزل». ترك الهاتف يرن ثلاثًا وعشرين مرة قبل أن يستسلم.

ابتسم بمرارة. ما المشترك بين فندق ماريوت ماركيز في تايمز سكوير ونزل المرساة في باركام ؟

حاول مرة أخرى؛ آملاً أنه قد اتصل بالرقم الخطأ في محاولته السابقة. بعد فترة انقطع الرنين من تلقاء نفسه. لا إجابة. نظر خارج النافذة. كان المطر يهطل بغزارة لدرجة أنه بالكاد يستطيع رؤية خط الأمواج الداكنة التي تمتد لمسافات طويلة نحو الشاطئ.

تصفح الدفتر بعصبية، قرأ المعطيات تحت حرف «هـ».

هذه المرة كان محظوظًا. هالبيرستاد -على عكس ترودي وإيزابيل- كان مستعدًّا لتلقي مكالمته.

- صباح الخير، باتريك. أعتذر حقًّا للاتصال بك في منزلك وإزعاجك هكذا. كنت أفكر في النصيحة التي قدمتها لي، وإذا كان العرض لا يزال قائمًا، فسأكون ممتنًّا لمساعدتك.

- النصيحة التي قدمتها لك؟

كرر هالبيرستاد ، مستغربًا.

- أخشى أنني لا أفهم.

- في الظروف العادية، لم أكن لأفكر مرتين في الذهاب إلى هناك بنفسي، لكن مع هطول المطر وكل شيء، أملت أن تتمكن من المرور بالجوار و..

- وماذا؟

- تخبر آنا أنني بحاجة للتحدث إليها. الأمر عاجل.

- التحدث إلى من؟

- آنا

قال فيكتور:

- آنا جلاس.

- لم أسمع بها قط.

بدأ صوت صفير منخفض في أذن فيكتور اليمنى. بدا وكأنه يزداد علوًّا.

- هيا يا باتريك، قلت إنك عرفت أنها خطيرة بمجرد نزولها من القارب. اتهمتها بقتل كلبي.

- بالتأكيد أنك مخطئ يا دكتور لارينز.

- مخطئ؟ لم أعد أحسب عدد المرات التي حذرتني فيها منها. أصررت على مراقبتها. تذكر ما فعلته بسندباد؟

- لكنني لم أرك طوال الأسبوع أو سندباد حتى. هل أنت بخير حقًّا؟

كان الصوت مرتفعًا بما يكفي ليكون طنين أذن مرضي. انتشر إلى أذنه اليسرى.

- اسمع، باتريك، لا أعرف ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم.

توقف فيكتور فجأة واستمع إلى الصوت في الخلفية.

- هل هذه هي؟

- من؟

- آنا. هل هي هناك؟

- دكتور لارينز، لا أعرف عما تتحدث. أنا وحدي هنا كالمعتاد.

أمسك فيكتور بسماعة الهاتف بلهفة رجل غارق يتمسك بعوامة النجاة.

- لكن هذا... أعني، إنه ليس...

لم يعرف ماذا يقول، ثم خطرت له فكرة فجأة.

- انتظر لحظة.

ركض عائدًا إلى القاعة والتقط رداء الحمام الخاص به. ومما أراحه أنه وجد ما كان يبحث عنه: المسدس. كان في الجيب حيث تركه، دليلًا على أنه لم يفقد عقله.

ركض عائدًا إلى الهاتف.

- اسمع، باتريك، لقد سئمت من هذا الهراء. أنا واقف هنا ومعي مسدسك.

- أوه.

- هل هذا كل ما لديك لتقوله؟ ألن تخبرني بما يجري؟

طالب فيكتور، رافعًا صوته إلى صرخة.

- حسنًا أنا... الأمر هو، أنا...

تلعثم هالبيرستاد . سمع فيكتور التغيير في صوته، وعرف فورًا أن شخصًا ما كان معه، يملي عليه ما يقول.

- حسنًا، باتريك، لا أعرف ما لعبتك، لكن وقتي ينفد. أحتاج إلى التحدث إلى آنا فورًا. أخبرها أن تقابلني في غرفتها في نزل المرساة خلال ساعة. فكرت في الأمر، يجب أن تنضم إلينا أيضًا. قد نحتاج للكشف عن بعض الأمور علانية.

سمع تنهيدة، ثم تغير الصوت مرة أخرى. اختفت نبرة العمدة المتوترة التي تكاد تصل إلى حد التوسل.

- لا تكن سخيفًا يا دكتور لارينز.

قال بحدة شديدة.

- كما قلت، لا أعرف أي آنا. وحتى لو كنت أعرف، ستضيع وقتك في نزل المرساة.

- ماذا تعني؟

- المكان مغلق منذ أسابيع، لا أحد هناك، ولا حتى ترودي.

***

انقطع الخط.

***

39

البحث عن الحقيقة صار يشبه تجميع أحجية دون معرفة عدد القطع في الصندوق. بدأ فيكتور بوضع إطار من الأسئلة. بادئًا من الخارج للداخل محاولًا الوصول لإجابات لأسئلة شبه مستحيلة مثل:

لماذا كان يشعر بالمرض؟

من قتل سندباد؟

ما العلاقة بين هالبيرستاد وآنا؟

ومن هي آنا جلاس؟

يمكن لمكالمة هاتفية واحدة أن تجيب على الأخيرة، لكنه لم يكن لديه الوقت لإجرائها. رن الهاتف للتو بينما كان يمد يده لالتقاط السماعة.

- من هي؟

أخيرًا! شعر بالراحة حتى إنه كان عاجزًا عن الرد.

- من هي، فيكتور؟

- إيزابيل!

صاح، قادرًا على الكلام أخيرًا، لم يعرف ما قد يفهمه من نبرتها العدوانية، لكنه واصل:

- أنا سعيد جدًّا لأنك اتصلت. هل وصلت إليك رسائلي؟ لم يسمحوا لي بالاتصال بك.

- أوه، أراهن أنك كنت متلهفًا للحديث معي!

- نعم، تحدثت إلى الموظفين في الاستقبال. ما الأمر؟ لم أتمكن من فهم التلغراف خاصتك. تبدين غاضبة مني.

- ها!

ساد صمت محمل بغضب لم يقطعه سوى فرقعات الخط عبر المحيط الأطلنطي كاملًا.

- حبيبتي.

سأل فيكتور بقلق:

- لماذا لا تخبرينني ما الخطأ؟

- لا تناديني حبيبتي! ليس بعد ما حدث بالأمس!

بدأ فيكتور يفقد أعصابه. أمسك السماعة بيده الأخرى.

- ربما يمكنك التوقف عن الصراخ وإخباري ماذا فعلت.

- حسنًا، دعنا نلعب لعبتك، دعني اسألك بوضوح بادئة بسؤال بسيط للغاية: ما اسم عشيقتك الصغيرة؟

ضحك فيكتور بصوت عالٍ، شعر وكأن وزنًا هائلًا يُرفع عن كتفيه. هذا هو الأمر إذن، كان هذا هو السبب في غضب إيزابيل: تظن أنه في علاقة غرامية.

- لا تضحك مثل طفل صغير. ولا تعاملني كأنني غبية.

- لكن هذا ليس... إيزابيل، من فضلك! تعلمين أنني لن أخدعك أبدًا. ما الذي جعلك تفكرين في ذلك؟
- طلبت منك تحديدًا ألا تعاملني كأنني غبية. أخبرني من هي!
- لا أعرف عمّ تتحدثين.

قال فيكتور غاضبًا مرة أخرى.

- أنا أتحدث عن تلك المرأة التي ردت على الهاتف عندما اتصلت بالمنزل أمس.

رمش فيكتور في حَيْرة، محاولًا استيعاب ما كانت تقوله.

- أمس؟
- نعم، أمس! في الثانية والنصف بعد الظهر لو أنك تريد أن تعرف الوقت تحديدًا.

آنا، كانت هنا في فترة بعد الظهر، لكنها لا يمكن أن...

بدأ عقله يسابق الزمن. للحظة شعر بدوار كأنه يهبط من رحلة طويلة بالطائرة.

- منذ متى وأنت تلتقي بها؟ كل تلك الأعذار التي كنت تقدمها لي عن حاجتك إلى مساحة، حاجتك إلى وقت للتفكير. أنت حقير؛ تتظاهر بالعمل على مقابلة بينما تستغل ذكرى ابنتنا لتغطية علاقتك القذرة!

راقبت آنا طوال الوقت. طوال الوقت ما عدا...

رن الهاتف في المطبخ. كانت تعبث بالشاي.

عاد إليه ذكرى آنا في غرفة الجلوس لتضربه مثل البومرانج، فأجفل متفاجئًا وجلس.

لكنني تركتها لبضع ثوانٍ فقط!

- آنا.

- فهمت، آنا. وما اسم عائلتها؟

- ماذا؟

لم يدرك أنه تحدث بصوت عالٍ.

- استمعي، إيزابيل، أنت تفهمين الأمر بشكل خاطئ تمامًا. هي ليست عشيقتي.

يا إلهي، أبدو كزوج خائن على علاقة بسكرتيرته. يتفوه بالجملة المعتادة: «لا تقلقي، ليس الأمر كما يبدو».

- آنا مريضة.

- أنت على علاقة بمريضة؟

بدأت إيزابيل تصاب بالهستيريا.

- بالله عليك، لا! علاقتنا مهنية بحتة.

- مهنية بحتة؟

ضحكت ضحكة عالية متهكمة.

- بالطبع هي كذلك! في هذه الحالة ربما تود أن تشرح لي ما تفعله في منزلنا! أنت لم تعد ترى مرضى، أتتذكر هذا؟ وما الذي ستفعله مريضة في باركام ؟ حبًّا في الله، فيكتور، هذا مهين. سأغلق الخط.

- من فضلك، إيزابيل، أستطيع أن أرى لماذا أنت غاضبة، لكن أعطني فرصة لشرح الأمر. أنا أتوسل إليك.

صمت. صدى صفارات سيارة إسعاف أمريكية تردد عبر المحيط الأطلسي.

- لو كنت أعرف ما الذي يجري هنا، لكنت أخبرتك لو أنني أعرف. لكن عليك أن تصدقيني: أنا لست على علاقة بالمرأة التي تحدثت إليك على الهاتف. كل ما يمكنني أن أؤكده هو أنني لن أخونك أبدًا.. أبدًا. ستضطرين إلى الثقة بي؛ لأنني لا أستطيع تفسير الباقي. قبل خمسة أيام كان هناك طرْق على الباب وجاءت امرأة تدعى آنا جلاس، طلبت جلسة استشارة. قالت إنها كاتبة أطفال تعاني من أوهام انفصامية. لا أعرف كيف عثرت عليّ ولا أعرف أين هي الآن، لكن حالتها كانت تبدو غير عادية، مثيرة للاهتمام؛ لدرجة أنني وافقت على منحها الجلسة العلاجية. كان من المفترض أن تغادر باركام منذ أربعة أيام لكنها محاصرة في الجزيرة بسبب العاصفة.

- قصة مثيرة، لديك خيال واسع.

قالت إيزابيل بحدة.

- إنها ليست قصة، إنها الحقيقة! لم يكن لها الحق في الرد على الهاتف. دخلت المطبخ، وأعتقد أنها أجابت على الهاتف دون أن أعرف.

- لم يرن.

- عذرًا؟

- التقطته قبل أن يرن. لابد أنها كانت تنتظر أن يتصل أحد.

شعر فيكتور كما لو أن أحدهم يسحب سجادة من تحت قدميه. كان هناك شيء غريب بشأن آنا جلاس؛ شيء لا يمكنه فهمه.

- إيزابيل، لا أفهم ذلك أيضًا. حدثت أشياء غريبة منذ وصولها. أصبت بالمرض، تعرضت للهجوم، وأعتقد أن آنا تعرف ما حدث لجوزي.

- ماذا؟

- تعرف شيئًا عن جوزي. كنت أحاول الاتصال بك لعدة أيام. أردت أن أخبرك بأننا قد نجد دليلًا. كاي عاد إلى القضية مرة أخرى. وسحب أحدهم كل مدخراتنا. اعتقدت أنك قد تكونين قادرة على مساعدتي، لكنني لم أتمكن من الوصول إليك، ثم هذا الصباح تلقيت التلغراف خاصتك.

- كنت أحاول الاتصال بك؛ لهذا أرسلت التلغراف.

أحدهم فصل الهاتف.

- أعلم. أحدهم فصل الهاتف.

- من فضلك، فيكتور، لا تُهِن ذكائي. تظهر امرأة من العدم، تخبرك قصة عن ابنتنا، تنتظر بجانب هاتفنا، تقول شيئًا يجب ألا تقوله، وتفصل الهاتف. هل هذا حقًّا أفضل ما لديك؟ لو أنك حكيت لي قصة عن علاقة لليلة واحدة بينما أنت مخمور لكانت أكثر إقناعًا!

لم يسمع فيكتور الجملة الأخيرة. رن جرس إنذار في منتصف حدة حديث إيزابيل. قالت شيئًا يجب ألا تقوله؟

- ماذا قالت لك؟

- على الأقل كانت لديها الكرامة لقول الحقيقة. قالت إنك كنت في الحمام.

- لكنني لم أكن في الحمام! كنت في المطبخ أتحدث إلى كاي، ثم أخبرتها أن تخرج من منزلي!

احتج فيكتور. كان على وشك الإصابة بالهيستيريا وصرخ بالجملة التالية بأعلى صوته:

- أنا بالكاد أعرف هذه المرأة، إنها مريضة!

- يبدو أنها تعرفك جيدًا.

- ماذا تقصدين بذلك؟

- دعتك باسمك المفضل، الاسم الذي أعطتك إياه والدتك، الاسم الذي تدعي أنك تكرهه كثيرًا لدرجة أنك لم تخبر به أحدًا سواي!

- ديدي؟

«هذا صحيح! أتعلم ماذا، ديدي؟ يمكنك الذهاب إلى الجحيم!

بهذا أغلقت الهاتف.

ليأتي رنين رتيب من السماعة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

***

40

لم يشعر فيكتور من قبل بأنه محاصر أو مطارد، كما كان يشعر الآن. اجتاحت آنا كل جانب من جوانب حياته. لم تكن الأولى التي تتجاوز الحدود وتضايقه في منزله، ولكن عادةً ما كان هناك تفسير واضح، وإن لم يكن منطقيًّا، لسبب اهتمام مريض بشؤونه الشخصية. في حالة آنا كان التهديد مبهمًا وغير مفهوم، لم يستطع فهم ما تريده منه، أو لماذا كانت تستخدم اسمًا مستعارًا -اسم طالبة تسممت بالأخص- لماذا كذبت عليه وعلى إيزابيل؟ والأهم من ذلك، ماذا كانت تعرف عن جوزي؟

شعر فيكتور بأنه يغفل شيئًا ما. كانت أحداث الأيام الخمسة الماضية بلا شك مرتبطة ببعضها. كل ما حدث كان جزءًا من استراتيجية هدفها سيصبح واضحًا إذا تمكن من معرفة مكان كل حدث في السلسلة. لم ينجح حتى الآن.

لحسن الحظ، يبدو أنه كان يتعافى من مرضه، ربما لأنه مضى أربع وعشرون ساعة منذ آخر كوب شاي تناوله. أخذ حمامًا طويلًا وارتدى ثيابه.

«اعتقد أنه يتوجب عليّ غسل بعض الثياب». فكر وهو يلتقط سرواله الجينز الذي ارتداه بالأمس. قلب الجيوب وألقى كومة المناديل المستخدمة. انزلقت ورقة على الأرض. حتى وهو ينحني

لالتقاطها عرف تمامًا ما هي: الملاحظة التي سقطت من محفظة آنا قبل عدة أيام، في حالة الذعر وقتها، التقطها وحشرها في جيبه ونسي أمرها. ذكره المستطيل الصغير من الورق المطوي برسائل الحب التي يتبادلها المراهقون في المدرسة. لم يفهم ما كُتب عليها لكنه أصيب بالإحباط.

الورقة حملت سلسلة من الأرقام، التي -من وجهه نظره- يمكن أن تكون أي شيء: رمز صندوق ودائع آمن، رقم حساب، كلمة مرور إنترنت، أو على الأرجح رقم هاتف.

رقم هاتف!

هبط إلى الطابق السفلي بأسرع ما يمكن والتقط الهاتف في المطبخ. ببطء أدخل الأرقام واستعد لإغلاق الخط بمجرد أن يجيب أحد. أراد فقط معرفة من سيجيب.

***

41

- دكتور لارينز، شكرًا للرب!

تفاجأ فيكتور من أن أحدهم يهتف باسمه حتى إنه لم يغلق الخط، لم يتوقع أن الشخص على الجانب الآخر يعرف بهويته، هاتفه القديم لم يدعم خاصية إظهار هوية المتصل. من صاحب الرقم الذي اتصل به؟ كيف عرف الشخص على الطرف الآخر أنه هو؟ ولماذا انتظر اتصاله؟

- ماذا هناك؟

سأل محاولًا عدم الكشف عن الكثير. لم يرغب في تأكيد هويته بعد.

- لم أرغب في إزعاجك، ليس بعد ما مررت به، لكنني أخشى أن الأمر عاجل نوعًا ما.

بدا الصوت مألوفًا بشكل غريب.

- اعتقدت أن عليّ إخبارك قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة.

البروفيسور فان دريوزن! أخيرًا تعرف فيكتور على صوت صديقه ومرشده. لكن ماذا كان يفعل رقم هاتفه في محفظة آنا؟

- فان دريوزن! هل هناك مشكلة؟

- ألم تتلقَّ بريدي الإلكتروني؟

بريد إلكتروني؟ لم يقم فيكتور بتسجيل الدخول لبريده الإلكتروني لعدة أيام. لابد أن سلة الواردات على البريد ممتلئة الآن. وعدد منها بالتأكيد من بونتي، فات الموعد النهائي لتسليم الحوار.

- لا، لم أجد الوقت للتحقق من بريدي. هل هناك مشكلة؟

- تعرضت للسطو قبل نحو أسبوع.

- السطو؟ أنا آسف لسماع ذلك بروفيسور، لكن ما علاقة ذلك بي؟

- لم تكن سرقة عادية. أخذ القليل جدًّا، وهذا أثار قلقي أكثر، خزانة واحدة تم اقتحامها وملف واحد فقط قد أُخذ.

- ملف خاص بمريض؟

- نعم، ولكن السؤال هو: لمن؟ كانت تلك الخزانة التي أرشفت فيها الملفات التي ورثتها من عيادتك. يبدو لي أن شخصًا ما قد يستهدف أحد مرضاك السابقين.

- لكن إذا كنت لا تعرف ملف مَن مفقود، كيف يمكنك أن تكون متأكدًا من أنه مفقود على الإطلاق؟

- عُثر على ملف في الممر. من أخذها كان ذكيًّا بما يكفي لتمزيق الملصقات. جميع المستندات مفقودة، ولا يمكن معرفة ملاحظات من كانت بالداخل.

أغلق فيكتور عينيه كما لو كان يغلق حواسه الأخرى ويركز انتباهه على ما سمعه. لماذا قد يرغب أي شخص في سرقة مجموعة

من الملفات القديمة الخاصة بالمرضى؟ من سيقتحم مكتب طبيب نفسي للحصول على ملف مؤرشف؟ بدا لفيكتور أن هناك شخصًا واحدًا فقط يناسب الوصف. فتح عينيه.

- استمع إليّ جيدًا أيها البروفيسور، سأطرح عليك سؤالاً مهمًّا: هل يعني لك اسم آنا جلاس أي شيء؟

- يا إلهي، إذًا أنت تعرف.

- أعرف ماذا؟

- بخصوص آنا... أعني اعتقدت أنك...

لم يسمع فيكتور من قبل البروفيسور المرموق يتلعثم في كلماته.

- اعتقدت ماذا؟

- اعتقدت... انتظر، أنت الذي ذكرت اسمها أولاً.

- آنا. آنا جلاس. هل أرسلتها لرؤيتي؟ هل أعطيتها عنواني؟

- لم تأتِ إليك، أليس كذلك؟ يا إلهي.

- ظهرت في باركام. ربما يمكنك أن تخبرني بما يجري.

- عرفت أن هذا سيحدث، علمت دائمًا أنه خطأ. ما كان يجب أن أوافق على ذلك أبدًا.

بدا اليأس واضحًا في صوت فان دريوزن، وكأنه على وشك البكاء.

- مع كامل احترامي يا بروفيسور، أود أن أعرف ما الذي يجري.

- عزيزي لارينز، أنت في خطر.

أمسك فيكتور بالسماعة مثل لاعب التنس عند الخط الأساسي، مستعدًّا للرد.

- أي نوع من الخطر؟
- كانت آنا جلاس مريضة لديّ. لم أكن لأقبلها لو لم يوصِ بها صديق.
- هي مصابة بالفصام، أليس كذلك؟
- هل هذا ما قالته لك؟
- نعم.
- هذه حيلة منها.
- إذن ليس بها شيء خطير؟
- بالعكس، هي مضطربة للغاية. تدعي أنها مصابة بالفصام، لكنها ليست كذلك. ليس هذا هو مرضها، إذا جاز التعبير.
- ماذا تقصد؟
- هل أخبرتك عن تلك الحادثة التي قتلت فيها كلبًا؟
- تيري، قالت إنها كانت أول نوبة فصامية لها.
- ليس تمامًا، لم تكن السيدة جلاس تهلوس: قتلت كلبها بنفسها. تقول إنها مصابة بالفصام؛ لأنه أسهل من مواجهة الحقيقة.
- إذًا الأشياء التي قالتها لي كانت...
- صحيحة بنسبة مئة في المئة. طريقتها في العيش مع الماضي هي الاختباء وراء مرض وهمي؛ لأنها لا ترغب في مواجهة الأمور الرهيبة التي ارتكبتها. هل ترى ما نتعامل معه؟

- نعم.

قصة شارلوت، ظهورها الليلي في منزله، الرحلة إلى هامبورغ، التسمم، كل هذا كان صحيحًا...

- هل أعطيتها عنواني؟

- بالتأكيد تعرفني أفضل من ذلك؟ السيدة جلاس لم يكن مرحبًا بها في عيادتي، ولم أكن لأفكر في إحالتها إلى صديق. بالإضافة إلى ذلك، أوضحت تمامًا أنك لم تعد تستقبل أي مرضى! لا، الحقيقة هي أن آنا جلاس لم تأت في موعدها الأخير. الغريب أنه كان في يوم عملية السطو ذاته، ولو أردت رأيي، لها يد في ذلك.

- ما الذي يجعلك تقول ذلك؟

- ذكرت اسمك عدة مرات. قالت إن لديكما «أمورًا غير منتهية»؛ تلك كانت كلماتها خلال جلساتنا الأخيرة حتى تحدثت عن تسميمك.

ابتلع فيكتور لعابه وأدرك أن حلقه شعر بالراحة لأول مرة منذ أيام.

- تسميمي؟ ولكن لماذا؟ أنا لا أعرف حتى من هي.

- يبدو أنها تعرفك.

تذكر فيكتور ما قالته إيزابيل قبل قليل. بدا أن الجميع يعتقد أنه على معرفة بآنا جلاس.

- تحدثت عنك طوال الوقت. ألوم نفسي على عدم أخذها على محمل الجد. كنت متأكدًا أنها تشكل خطرًا حقيقيًّا، وقد

أخبرتني بأمور مروعة. آذت أشخاصًا من قبل، كما تعلم. لا أستطيع تحمل التفكير فيما حدث لتلك الفتاة الصغيرة البريئة.

- شارلوت؟

- أعتقد أن هذا هو الاسم الذي أطلقته عليها. أشعر بالسوء الشديد، دكتور لارينز، حقًّا. كان يجب أن أتبع حدسي وأرسلها إلى مكان آخر. إنها بحاجة إلى إشراف على مدار الساعة.

- بالتأكيد كان بإمكانك العثور على مؤسسة مناسبة؟

- عزيزي لارينز، أنت تعلم جيدًا أنني...

توقف البروفيسور فجأة، شاعرًا بالحرج.

- ماذا؟

- لم أستطع التخلص منها.

- لماذا لا؟

- بسبب ما وعدت به زوجتك. أعطيتها كلمتي.

- زوجتي؟

شعر فيكتور بالدوار واستند على الثلاجة لتثبيت نفسه.

- نعم، إيزابيل طلبت مني علاجها. لم أستطع أن أخيب أملها، ليس وهي وآنا على هذه الدرجة من الصداقة الوطيدة.

***

42

إيزابيل. آنا. جوزي. بدأت قطع الأحجية تسقط في مكانها. أخيرًا بدأ فيكتور يدرك كيف تمكنت إيزابيل من الحفاظ على هدوئها عندما اختفت جوزي. تعاملت مع الأخبار بشكل أفضل بكثير منه، عادت إلى العمل دون ثانية تفكير. فيكتور الذي باع عيادته ولم يتعافَ قطّ من الصدمة، اعتاد الإعجاب بقوتها وقدرتها على التماسك، لكنه الآن يرى أنها كانت ببساطة قاسية.

بدأت أفكاره تتنقل ذهابًا وإيابًا. بإعادة النظر إلى سلوكها، أدرك أن إيزابيل لم تحزن قطّ على طفلتها الوحيدة، ليس بالطريقة التي فعلها هو. تساءل عما لو أنها وجدت سندباد بالصدفة -كما ادعت- أم أنها اختارته من مركز إنقاذ لاستبدال ابنتهما الصغيرة. أي نوع من الأشخاص هي إيزابيل؟ ولماذا لم تدعمه في أكثر الفترات توترًا في حياته؟

إيزابيل أرسلت آنا إلى البروفيسور فان درويزين. وشخص ما سحب المدخرات من حسابهما المشترك.

جلس فيكتور على مكتبه وشغل جهاز الكمبيوتر المحمول. كان بحاجة إلى التحقق من رصيده عبر الإنترنت. لم يكن يبدو معقولاً أن إيزابيل قد أفرغت حسابهما المشترك. هل كانت متحالفة مع آنا؟ معًا، بدا أنهم مصممون على تعذيبه.

بعدما بحث على سطح المكتب دون جدوى عن أيقونة المتصفح، جر السهم إلى أسفل الشاشة. ونظر إلى الكمبيوتر بحَيْرة.

شريط المهام فارغًا والأيقونات اختفت.

قرر تجربة قائمة ابدأ بدلاً من ذلك. الاختصارات كلها حذفت. والأسوأ من ذلك، لم يكن هناك أي أثر للبرامج؛ مُحي القرص الصلب بالكامل.

شخص ما اقتحم جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به بشكل منهجي وحذف وثائقه الشخصية، وملاحظات المرضى، والمجلدات، بما في ذلك المقابلة التي كانت غير مكتملة. حتى سلة المحذوفات التي عادة ما تحتوي على نسخ من البيانات المحذوفة مؤخرًا، كانت فارغة.

***

وقف فيكتور فجأة لدرجة أن الكرسي الجلدي طار للخلف، وانقلب واستقر بجانب خزانة الكتب. لم يعد يهتم. وقت الاكتفاء بالمكالمات الهاتفية نفد، حتى مدخراته المفقودة يمكن أن تنتظر.

أخرج المسدس الذي أعطاه له هالبيرستاد، وأزال قفل الأمان ووضعه في الجيب الداخلي لسترته من نوع جورتكس. كان من الجيد أنه أحضر ملابس مناسبه للمطر. لا تؤجل ما نويت.

استجمع عزيمته ليشق طريقه عبر العاصفة إلى القرية بحثًا عن شيئين: آنا جلاس والحقيقة.

***

43

يعاني الناس من البرد بطرق مختلفة. بعضهم يظل مستيقظًا عندما ترفض أصابع قدميه أن تدفأ حتى حين يواصل تحريكهما بقوة أسفل الأغطية، والبعض الآخر يعاني من حساسية الأنف.

لكن نقطة ضعف فيكتور كانت أذنيه. في الشتاء، وفي

اللحظة التي يغادر فيها المنزل، تبدأ بإيلامه. لكن الشعور بعدم الارتياح بسبب الأذنين المتجمدتين لم يكن شيئًا مقارنة بالعذاب الذي يصاحب إذابة البرد عنهما. بمجرد أن يعود إلى الدفء، ينتقل ألم الأذنين عبر الجزء الخلفي من جمجمته، بدءًا من القاعدة وانتشارًا لأعلى، تتصاعد موجة من الألم التي لا يمكن لأي كمية من الأسبرين أو الإيبوبروفين أن تتغلب عليها. كطفل تعلم بالطريقة الصعبة كيف يعتني بأذنيه، والآن بينما هو ماضٍ نحو القرية، كان حريصًا كل الحرص على شد الحبال قدر الإمكان على غطاء رأسه. لم يهتم كثيرًا بالمطر، كانت أولويته هي إبقاء البرد بعيدًا عن أذنيه.

وهكذا حجب غطاء رأسه اللحن الضعيف الذي بالكاد يُسمع وسط الرياح العاتية التي تدور حوله، حاملة الرمل والأوراق. في الواقع، لو لم يكن قد غادر الطريق المغمور بالمياه ليحتمي تحت إفريز مكتب الجمارك القديم في باركام، ربما لما سمع على الإطلاق

الرنين الآتي من جيب سترته. لم يكن يتوقع استقبال أي مكالمات: لم يكن هناك أبراج هواتف محمولة على الجزيرة، ولطالما رأى أنه لا جدوى من تفقد هاتفه. ومع ذلك -كما أدرك بمجرد أن أزال غطاء رأسه- كان هناك من يتصل به.

نظر إلى الشاشة. كان الرقم مألوفًا.

- مرحبًا؟

أمسك الهاتف جوار أذنه اليمنى ووضع إصبعًا في الأخرى؛ بسبب الرياح الصاخبة. لم يكن هناك أحد على الخط.

- مرحبًا؟ هل تسمعني؟

توقفت الرياح للحظة، وظن فيكتور أنه سمع نشيجًا.

- آنا؟ هل هذا أنت؟

- أنا آسفة، دكتور لارينز، أنا...

في تلك اللحظة بالذات سقط فرع ثقيل نتيجة العاصفة، واصطدم بالسقف فوقه. لم يسمع فيكتور نهاية جملتها.

- آنا، أين أنت؟»

- أنا... المرساة.

لم تعمل أجزاء المعلومات المتناثرة وسط الصخب على تكوين صورة واضحة لكلماتها، لكنه كان مصممًا على إبقائها على الخط.

- استمعي إليّ يا آنا، أعلم أنك لا تقيمين في نزل المرساة. أخبرني باتريك هالبيرستاد بذلك. لماذا لا ترسلين لي موقعك بالضبط في رسالة نصية؟ سأكون هناك في غضون

دقائق، ويمكننا التحدث وجهًا لوجه. هذا أفضل بكثير من...

- لقد عادت!

صرخت آنا الجملة الأخيرة، بينما منحت العاصفة الجزيرة المدمرة هدنة قصيرة. وبعد لحظة عادت الرياح بقوة عاتية.

- من عاد؟

- شارلوت... إنها على...

لم يحتج فيكتور لسماع المزيد. علم تمامًا ما كانت تحاول قوله. آنا كانت تمر بنوبة فصام أخرى. شارلوت عادت للحياة.

***

كان فيكتور غارقًا في أفكاره لدرجة أنه استغرق بضع دقائق ليدرك أن الخط قد انقطع. نظر بغباء إلى الشاشة. لا توجد إشارة استقبال. ومع ذلك، أعلنت إشارات هاتفه من نوع نوكيا بوصول رسالة نصية:

- لا تحاول البحث عني. سَأَصِلُ إِلَيْكَ!

***

44

السبب الحقيقي وراء كراهية معظم السائقين للبقاء عالقين في الزحام هو شعورهم بالعجز عن تقرير مصيرهم. رد الفعل الطبيعي عند رؤية صف من الأضواء الثابتة هو البحث عن وسيلة للهرب. بالنسبة لبعض الناس، فكرة أن تعلق في الزحام مريعة حتى إن بعضهم يفضل الانعطاف واختيار الطرق الخلفية المجهولة على الانتظار حتى يخف الزحام.

وصل فيكتور إلى مرحلة يمكنه فيها إما الانضمام إلى زحام ساعة الذروة بعد ظهر الجمعة أو أخذ المخرج التالي والانطلاق بمفرده. مثل معظم الناس، لم يستطع تحمل فكرة الانتظار بسلبية؛ لذا قرر أن يتصرف. حذرته آنا من البحث عنها، لكنه لم يكن مستعدًّا للبقاء دون فعل أي شيء بينما تتحكم هي في الأمور. كان بحاجة للعثور عليها طالما لا يزال لديه الفرصة.

وهكذا شد غطاء رأسه وانحنى في مواجهة الرياح، وانطلق نحو القرية. كان يخدع العاصفة بالانحناء قدر الإمكان والتعرج حول البرك التي اجتمعت بطول الطريق الرملي.

منذ وقت طويل مر بمطعم الجزيرة الوحيد الذي كان على بُعد خمسمائة متر فقط من نزل المرساة عندما توقف فجأة وتفقد محيطه. كاد يقسم على أنه رأى شخصًا أمامه.

مسح قطرات المطر وحمى عينيه بيده.

هناك!

بالضبط كما ظن. على بعد نحو عشرين مترًا، كان هناك شخص يرتدي معطفًا أزرق اللون يكافح العاصفة ويسحب شيئًا خلفه مربوطًا بحبل.

في البداية، لم يتمكن من تحديد جنس الشخص، أو ما إن كان يتقدم في اتجاهه أو يبتعد. حتى من هذه المسافة استحال تقريبًا رؤية أي شيء بسبب المطر. شق لسان البرق السماء فوق الأمواج ليضيء الطريق. وبحلول اللحظة التي تبعه فيها هزيم الرعد، عرف فيكتور من يتقدم وما كان مربوطًا.

- مايكل، هل هذا أنت!

صرخ على الرجل العجوز عندما كان على بُعد خطوات قليلة فقط. عوت الرياح بشدة حتى إن كليهما لم يسمع الآخر حتى وهما قريبان بما يكفي للمس بعضهما بعضًا.

بلغ مايكل بيرج من العمر واحدًا وسبعين عامًا، وبدا سنه واضحًا عليه، على الرغم من أنه من الصعب رؤيته بمثل هذا الوضوح بسبب المطر الغزير. تركت الرياح والملح أخاديد عميقة في جلد وجهه، ولكن على الرغم من وجهه المتجعد امتلك بنية قوية لشخص قضى حياته كلها في الهواء الطلق أمام البحر.

مد يده اليسرى، وباليمنى أمسك طرف سلسلة مربوط بها الكلب «شونوز» الذي كان مبللًا ومرتجفًا.

- زوجتي اعتقدت أنه بحاجة إلى نزهة.

صاح في مواجهة الرياح، وهو يهز رأسه كما لو أنه يقول إن مثل هذه الفكرة الغبية لا يمكن أن تأتي إلا من امرأة. تذكر فيكتور سندباد وتألم.

- وأنت؟ ماذا تفعل في هذا الطقس؟

سأل بيرج. أضاء البرق السماء، وللحظة وجيزة حاز فيكتور على فرصة لرؤية وجه الرجل العجوز بوضوح، نظر له بشك لم يحاول حتى اخفاءه. قرر أن يقول الحقيقة، ليس من باب الواجب لكن لأنه لم يستطع التفكير في سبب آخر قد يبرر سيره عبر الجزيرة في خضم مثل هذه العاصفة العاتية.

- أنا أبحث عن شخص. ربما يمكنك مساعدتي.
- سأبذل قصارى جهدي. من هو؟
- آنا. آنا جلاس. صغيرة، شقراء، في منتصف الثلاثينيات، وصلت هنا قبل ثلاثة أيام. ساعدتها على العبور من سيلت.
- قبل ثلاثة أيام؟ لا أعرف من أين حصلت على معلوماتك، ولكن لابد أنك سمعتها خطأ.

من نبرة صوت الرجل العجوز، أدرك فيكتور أنه هو الآخر مرتبك. تساءل كم مرة شعر بنفس المزيج من عدم التصديق والتوجس خلال الساعات القليلة الماضية. توتر الكلب الأسود عند طرف الحبل، مرتجفًا ببؤس أكبر من ذي قبل، وبدا أنه يشارك

رأي صاحبه السلبي تجاه الطقس، خاصة وهما واقفان هكذا بلا حراك.

- ماذا تعني؟

اضطر فيكتور للصراخ بصوت أعلى ليُسمع.

- لم أخرج القارب منذ ثلاثة أسابيع.

هز كتفيه.

- الأعمال هادئة في هذا الوقت من السنة، لا أحد يزور باركام في الشتاء. آخر شخص نقلته كان أنت.

بدا متلهفًا للمغادرة.

- إذًا كيف وصلت إلى هنا؟

طالب فيكتور بالإجابة.

- على قارب آخر على ما أعتقد، على الرغم من أنني لسمعت بهذا لو أنه حدث، ماذا كان اسمها مرة أخرى؟

- جلاس. آنا جلاس.

هز بيرج رأسه.

- لم أسمع بها قطّ. آسف، دكتور لارينز، لكننا سنموت لو بقينا في هذا الطقس.

كما لو أنه يؤكد كلماته، صدر دويّ عميق من شمال الجزيرة. جزء من فيكتور تساءل لماذا لم ير البرق، بينما كان الجزء الآخر يكافح لحل القطعة التالية من اللغز. كيف وصلت آنا إلى باركام ؟ ولماذا كذبت؟

قاطع الرجل العجوز أفكار فيكتور، بعد أن كان قد خطا خطوات قليلة، ثم توقف.

- آه، دكتور لارينز، أعلم أن هذا ليس من شأني، لكن ماذا تريد منها؟

لم يكن بيرج بحاجة إلى صياغة السؤال بالكامل؛ استطاع فيكتور سماع الاستنكار محمولًا على طبقات الهواء، لماذا يبحث رجل متزوج عن امرأة شابة في المطر الغزير؟

هز كتفيه ومضى بعيدًا.

أريد أن أعرف ما حدث لابنتي.

***

45

كان نزل المرساة هو الشكل التقليدي لما قد يتوقعه أي زائر من منزل ضيافة على جزيرة هادئة في بحر الشمال. باستثناء المنارة في «سترويدر بوينت» كان المبنى الخشبي الساحر ذو الثلاث طوابق واحدًا من أطول المباني في باركام ، نوافذه الأمامية تطل على المرسى. تديره ترودي بمفردها منذ وفاة زوجها، وكان معاشها التقاعدي المتواضع، مع العائدات من عدد قليل من السياح الصيفيين، يسمحان لها بإبقاء المكان قائمًا. بالنسبة لسكان الجزيرة، كان نزل المرساة مؤسسة ضيافة، والتزامهم ببقائها مطلقًا. ولاختار معظمهم الانتقال إلى هنا مع متعلقاتهم بدلًا من أن يفقدوا محور حياة «القرية».

في أيام مجده، خلال فترة سباق اليخوت، استقبل نزل المرساة ما يزيد عن عشرين ضيفًا، وعندما تكون الشمس مشرقة بما فيه الكفاية -وهو ما لم يحدث كثيرًا- اعتادت ترودي نقل طاولات الطعام إلى الحديقة وتقديم عصير الليمون المصنوع في المنزل والقهوة المثلجة للسياح والأصدقاء. وبمجرد قدوم الخريف، كان السكان الأكبر سنًّا يتجمعون في الردهة ويتبادلون قصص البحارة حول الموقد الحديدي بينما تقدم لهم ترودي الكعك، إلا إذا قررت الهروب من شتاء باركام والإقامة مع أقاربها حتى

الربيع. وهذا ما كانت قد فعلته، كما استنتج فيكتور من محادثته الغريبة مع هالبيرستاد.

أثناء تقدمه ببطء نحو المبنى، رأى دون مفاجأة أن المصاريع مغلقة والمدخنة لا تعمل.

بحث حوله عن علامات تدل على وجود آنا. كان ينبغي لي أن أوفر على نفسي العناء، فكر بمرارة.

للحظة، أغراه مناداة اسمها في حال لو أنها اقتحمت نزل المرساة، في مرحلة جديدة من لعبتها تلك.

لكن في تلك اللحظة رن هاتفه المحمول، هذه المرة كانت النغمة المخصصة للعائلة والأصدقاء.

- مرحبًا؟
- هل هذه فكرتك عن المزاح؟
- كاي، هل حدث شيء؟

غادر فيكتور موقع النزل واتجه نحو الشرق. تفاجأ بنبرة المحقق الخاص.

- لديك حس فكاهي مريض.
- لا أفهم ما تعنيه.
- الفاكس، فيكتور، الفاكس.
- أوه، حاولت الاتصال بك. كان فارغًا.
- إذن، أرسل لنفسك فاكسًا آخر. لست غبيًّا كما تعتقد.
- لا أعتقد أنك غبي. كاي، ما الذي يحدث؟

دفعة مفاجئة من الرياح دفعت زخات من قطرات المطر إلى وجه فيكتور. استدار ونظر إلى نزل المرساة. من هذه الزاوية، بدا منزل الضيافة الفارغ كواجهة كرتونية في موقع تصوير فيلم.

- أعنى أنني تتبعت الفاكس. من الذي سيرسل لي صورة قطة؟

قطة جوزي. نيبوموك.

- حسنًا؟

- لقد كان أنت. الصورة أرسلت لي من رقمك، من منزلك.

هذا مستحيل، فكر فيكتور.

- استمع، كاي، لا أعرف ماذا..

سمع ضوضاء متقطعة وأدرك أن الخط انقطع. أخبره صوت آلي أن يغلق الخط ويحاول مرة أخرى لاحقًا.

«اللعنة». تحقق فيكتور من هاتفه المحمول ولعن حظه السيئ. بدون إشارة، يمكنه نسيان الاتصال بالبر الرئيسي. استدار ووقف وظهره إلى النزل، مستطلعًا الأرض أمامه. انتهى به الأمر بالتحديق في السماء، كما لو أن الحل مكتوب على وجه السحب السوداء المنذرة بالسوء.

من سيساعده الآن؟ هل بقي أحد يمكن الوثوق به؟ أصابته قطرة مطر كبيرة مباشرة في عينه. رمش بجنون متذكرًا جلوسه في الحمام وإغماض عينيه بعنف للتخلص من الشامبو. مرر يده على وجهه وتفاجأ بوضوح الرؤية. كل شيء بدا أكثر سطوعًا، كما لو

أن طبيب النظر قد اختار أخيرًا العدسة المناسبة، ليتضح السطر السفلي من الحروف على اللوحة.

أو ربما من قبيل الصدفة فقط أنه علم في تلك اللحظة تمامًا ما يجب عليه فعله.

***

46

كما توقع فيكتور، كانت الأضواء لا تزال مضاءة في كوخ العمدة. صعد السلالم إلى الشرفة وضغط جرس الباب.

يمكنه سماع كلب -ربما كلب العمدة شناوزر- ينبح في الخارج، وشيء ما -إما بوابة أو مصراع- يطرق بعنف في مواجهة الرياح. لم يستطع أن يجزم ما لو أن الجرس قد رن بالفعل، منح نفسه دقيقة انتظار أخرى في حالة كان هالبيرستاد في طريقه إلى الباب.

عندما لم يصدر عن الرنة الثانية أي رد فعل، تخلى عن اللباقة وطرق بمطرقة الباب الثقيلة بفارغ الصبر على الباب الخشبي المصنوع من الأرز.

زوجة هالبيرستاد تركته منذ عامين لصالح رجل ثري من ميونيخ، وهو الآن يعيش بمفرده.

لا يزال لا استجابة.

الرياح اللعينة. لا أعتقد أنه يمكنه سماعي، فكر فيكتور وهو يدور حول المنزل. كان المنزل في موقع ممتاز، بجوار نزل المرساة ويطل على المرسى بدوره، لكنه لم يكن لديه رصيف أو طريق مباشر إلى الشاطئ، وكان على هالبيرستاد عبور الطريق الساحلي الضيق للوصول إلى البحر. بالطبع، لم يكن هذا ذا أهمية كبيرة في

جزيرة صغيرة مثل باركام، لكن فيكتور اعتقد أن المنازل البحرية عليها أن تقع مباشرة على الشاطئ، أو من الأفضل تجنب العناء كليًّا والبقاء على البر الرئيسي بالقرب من بحيرة.

***

ضربت الرياح الجزيرة من جهة البحر، وشعر فيكتور بالراحة حين دار حول الزاوية ليجد نفسه محميًّا بفضل المنزل. حتى تلك اللحظة لطمته هبات الرياح باستمرار، لم توفر له الحماية سوى مجموعة ضعيفة من أشجار الصنوبر، منحنية بشكل زائد بسبب الطقس العاصف لبحر الشمال. الآن وقد كان مختبئًا خلف المنزل، قررت الأمطار أن تخف قليلاً واستطاع أن يلتقط أنفاسه. وسمح لنفسه بهدنة قصيرة، ثم استأنف بحثه عن العمدة.

كانت النافذة الكبيرة في الخلف تخص المكتب، لكن كان من الواضح أن هالبيرستاد ذهب إلى الطابق العلوي. كان المكتب مغطى بعدد لا يحصى من الصفحات المكتوبة بخط اليد، وتُرك الكمبيوتر المحمول -لا يزال مفتوحًا- على كرسي. لم يكن هناك أي علامة على الحياة، وفي المدفأة بدا لهيب النيران منخفضًا، في الواقع كان فيكتور قد فقد الأمل تقريبًا عندما لاحظ أن مصباح المكتب لا يزال مضاءً. لا يمكن أن يكون قد خرج. قالها في نفسه.

لم يستطع أن يتخيل لماذا يحتاج هالبيرستاد إلى مكتب، ناهيك عن كمبيوتر.

نظرة سريعة على باقي المنزل كانت كافية لتحديد أن الأضواء كانت مطفأة في الطابق العلوي. بالطبع، لم يعنِ هذا شيئًا: إذا كان

هالبيرستاد في الطابق العلوي، فمن المرجح أنه في فراشه، وفي هذه الحالة ستكون الستائر مغلقة.

بدأت الأفكار تنفد من عقل فيكتور. حتى الآن لم يحقق شيئًا سوى التعرض للبلل، لكنه توقع هذا؛ لأنه لا يملك فكرة عن مكان آنا، أو ماذا سيفعل ما إن يعثر عليها.

لا تحاول البحث عني، سَأَصِلُ إِلَيْكَ!

قرر فيكتور أن يطرق للمرة الأخيرة، ثم لاحظ سقيفة في أسفل الحديقة المتخمة.

في الظروف العادية، لم يكن الضوء الخافت المتسرب من تحت الباب الحديدي المموج ليلفت انتباهه، لكن الساعات الماضية قد أخذت منه مجهودًا كبيرًا؛ لدرجة أن تروس عقله دارت بقوة مضاعفة الآن. لاحظ عدة أشياء في وقت واحد: السقيفة مضاءة، والنافذة الوحيدة مسدودة من الداخل، والدخان يتصاعد من المدخنة المعدنية الضيقة على السطح المستوي.

ما الذي يمكن أن يقنع هالبيرستاد بالخروج إلى السقيفة في المطر الغزير؟ ومن بعقل سليم يسد نافذة السقيفة بينما يترك الأضواء مضاءة والستائر مفتوحة في المنزل؟

***

واتى فيكتور شعور غامض أن شيئًا سيئًا على وشك الحدوث، لكنه ابتلع شكوكه وهرع عبر العشب المغمور بالمياه. سيعرف ما يفعله هالبيرستاد في السقيفة.

***

47

لم يكن الباب مغلقًا. فتحه ببطء ووجد نفسه محاطًا بهواء كثيف ذي رائحة عفنة. كانت رائحة السقيفة مزيجًا من الزيت والخرق القديمة والخشب المتعفن؛ رائحة قبو أو ورشة مهجورة. وباستثناء بعض الخنافس وقمل الخشب التي هرعت للاختباء عند ظهوره بالداخل محتميًا من المطر، كانت السقيفة مهجورة.

المشكلة أن غياب هالبيرستاد لم يكن هو الشيء الوحيد الملحوظ. على عكس توقعات فيكتور، لم يكن هناك أي أداة في السقيفة. لا مجارف، ولا رفوف، ولا عربات جر أو أدوات زراعة، ولا علب طلاء نصف فارغة على الأرفف الخشبية، ولا مواد بناء مهملة على الأرض.

رغم حجم السقيفة الكبير -بحجم جراج مزدوج- لم تحتوِ على عربة يدوية واحدة، ناهيك عن قارب تجديف قديم أو دراجة عتيقة. لكن لم يكن مجرد نقص المعدات اليومية ما جعله يرتجف. شعر فيكتور بالبرد يغزو أجزاء جسده كافة. طوال المسافة الطويلة التي قطعها من منزله وسط الرياح لم يلاحظ برودة الجو، لكن فور دخوله السقيفة المخفية في مؤخرة حديقة العمدة شعر بتجمد عظامه. بدأ البرد من أسفل ظهره وصعد إلى عموده الفقري، منتشرًا عبر فروة رأسه وبقية جسده، تملكت منه القشعريرة.

الموت دائمًا بارد.

هز فيكتور رأسه، جزئيًّا ليتأكد من أنه لا يحلم، وجزئيًّا ليطرد الأفكار المريعة التي هاجمته؛ لأنه أدرك للتو ما كان يحدث.

لكان على استعداد للتضحية بأي شيء الآن ليكون في منزله -أي كان ما يمكن أن يطلق عليه منزله- بجانب زوجته جالسين أمام النار، أو في حمام دافئ محاط بالشموع. في منزله، مستترًا عن العالم ومحميًّا بأبواب صلبة ونوافذ مغلقة. في منزله أو في أي مكان آخر بالعالم بعيدًا عن مئات الصور والمقالات الصحفية التي حدقت به ساخرة، من جنبات السقيفة كافة.

شخص ما -سواء هالبيرستاد أو آنا- غطى الجدران بمجموعة هائلة من الصور والملحوظات والمقالات التي جُمعت على مدى شهور عديدة. موضوعاتها لم تكن ما يمكن أن يطلق عليه رعب تقليدي، لم تكن هناك أجساد مضرجة بالدماء، أو صور انحرافات جنسية، أو رسوم من مواقع الإنترنت المحظورة، لكن القصاصات كلها حملت موضوعًا مشتركًا، موضوعًا ملأه بالرعب.

كانت الصور في كل مكان؛ معلقة على الجدران، ومثبتة على الأرفف، ومعلقة على خطوط غسيل ممتدة عبر السقيفة، وفي كل مكان نظر إليه رأى جوزي.

كان الأمر كأنه وقع في متاهة ورقية من الذكريات، محاصر بنظرة ابنته. كانت السقيفة مزارًا لهوس مرضي. هناك شخص ما يقضي وقته في البحث في تفاصيل قصة اختطاف جوزي. وكأن ابنته محور لعقلية مجنونة، متطرفة.

***

ألقى المصباح القديم المعلق من السقف ضوءًا خافتًا على القصاصات. تغلب فيكتور على اشمئزازه وفحص المجموعة عن كثب.

في البداية ظن أنه يتخيل الأمور، ثم أدرك أن الصحيفة كانت ملوثة ببصمات دموية، بصمات دقيقة.. دقيقة أكثر مما يجب؛ لتلائم شخصًا بيدين كبيرتين مثل هالبيرستاد.

كانت الملحوظات هي ما أقنع فيكتور أنه ينظر إلى نتاج عمل عقل غير سليم. كل عنوان منها قُطع بحجم معين، وظُلل باستخدام أقلام تظليل ملونة قبل لصقه على الصور.

لف يده اليمنى بوشاحه لحمايتها من الحرارة، ومد يده للمصباح لتقريبه من الحائط كي يقرأ العناوين بوضوح أكبر.

ابنة طبيب نفسي تختفي

طبيب نفسي أسير كابوس مرعب

طبيب نفسي مشهور تهجره زوجته

من سمم جوزي الصغيرة؟

أُصدر الحكم على لارينز: مُنع من مزاولة الطب النفسي!

من مريض بما يكفي ليأتي بهراء كهذا؟ بعض العناوين حقيقية نعم، لكن معظمها مختلق بسخافة بشكل مبالغ فيه.

لا بد أنها كانت هي.

لم يستطع تخيل الوقت الذي استغرقه التفكير في العناوين، وطباعتها بأسلوب صحفي، وترتيبها على الجدران. كان في حَيْرة من الصور، فبعضها طُبع من الإنترنت، لكن البعض الآخر لم يره من قبل.

لا بد أن آنا كانت تراقب عائلته منذ فترة طويلة قبل اختفاء جوزي. هل التقطت الصور دون علمهم؟ لا يزال من الباكر استنباط أي شيء، لكن فيكتور كان واثقًا أنه ينظر إلى عمل آنا.

قرر أن عليه قراءة الملحوظات، أمال المصباح إلى اليسار مفكرًا «لو درست ما كُتب بعناية، لعلي أجد المفتاح لما أريد».

لو أن تركيزه لم يكن منصبًّا على فحص مجموعة المنشورات والصور على الحائط، لربما آلت الأمور إلى نهاية مختلفة. ربما لسمع صوت الحركة في الحديقة بدلًا من الاستغراق في التفكير في الرسائل الغامضة على الحائط، لربما غادر السقيفة ولم يلحظ الورقة التي جعلته يصرخ من الرعب ومنعته من سماع صوت الأغصان تنكسر.

بقليل من الحظ، ربما لكان استدار ورأى الخطر.. من يدري.

بدلاً من ذلك، ترك المصباح ومزق الورقة المريعة التي كانت مثبتة على الحائط بمسمار صدئ. لم يتوقف لقراءة محتواها. الأمر

المثير للقلق حول الورقة كان مصدرها. رأى كومة من الأوراق مثلها من قبل. كان لها نفس الظل الرمادي للورق المعاد تدويره ونفس الخط المكتوب بدقة. بدون شك، كانت تنتمي إلى الأوراق المبعثرة على مكتب باتريك هالبيرستاد. فقد عمل صانع هذا العرض المريع في المنزل الذي يمتلكه عمدة باركام.

مسلحًا بهذه المعرفة، ومسلحًا بالمسدس المحشو، انطلق فيكتور خارج السقيفة.

***

48

بعد دقيقتين، كان المفتاح في يده؛ لأن هالبيرستاد -مثل فيكتور- احتفظ بمفتاح احتياطي تحت إناء الزهور على الشرفة.

بمجرد أن فتح الباب، اندفع إلى الردهة مناديًا باسم هالبيرستاد. غريزته أخبرته أنه لا أحد هناك، لكنه تفحص المنزل على أي حال، متنقلاً من غرفة إلى أخرى. لم يكن هناك أي أثر للعمدة. كان يصلي بصمت ألا يكون قد حدث له شيء مروع. رفض أن يصدق أن هالبيرستاد كان متواطئًا مع آنا. كانت الأدلة تتراكم ضده (سلوكه الغريب على الهاتف، والآن محتويات السقيفة المقلقة)، لكن فيكتور كان يعرفه منذ سنوات. المشكلة كانت لو أن هالبيرستاد بريء، فلماذا اختفى؟ مذعورًا فكر فيكتور فجأة في إيزابيل. لم يعرف إلى أي مدى قد تذهب آنا، لكنه أمل بصدق ألا تبدأ باستهداف عائلته وأصدقائه.

عاد إلى المكتب وسار إلى الطاولة. ترك حذاؤه آثارًا طينية على السجاد البني الفاتح، لكنه لم يتوقف لخلعه. وقع بصره على كومة الأوراق بجانب الحاسوب المحمول. تساءل عما إذا كانت من عمل هالبيرستاد أم آنا. أخيرًا، كان واثقًا من أن اللغز سيُحل قريبًا.

خلع معطف المطر، ووضع المسدس بجانب المخطوطة وجلس ليقرأ الصفحة الأولى.

كان النص مكتوبًا بخط اليد ومصوغًا كأنه مقابلة. عند قراءته للأسطر الأولى، اجتاحه شعور غير عادي بالديجا-فو.

بونتي: كيف كانت الحياة بعد اختفاء ابنتك؟

لارينز: كالموت. بالطبع، كنت لا أزال آكل وأشرب وأتنفس وأحيانًا أنام لبضع ساعات متواصلة، لكنني لم أعد حيًّا بعد الآن، حياتي انتهت في اليوم الذي اختفت فيه جوزي.

بدأ بالقراءة مرة أخرى من البداية شاعرًا بالرغبة في قرص نفسه ليتأكد من أنه مستيقظ. لم يكن هذا أحد قصص آنا. كانت مقابلته.. مقابلته مع بونتي.

في البداية لم يستطع معرفة كيف يمكن لآنا أن تعرف هذا، لكنه تذكر حينئذ أن القرص الصلب لحاسوبه المحمول مُحي بالكامل. لا بد أنها اغتنمت الفرصة، ربما بالأمس عندما كان نائمًا، وسرقت ملفاته دون علمه.

كان غريبًا أنها نسختها بخط اليد. كان بإمكانها طباعة المقابلة بدلاً من أن تتعب نفسها بنقل كل كلمة. لكن الخط الرجولي لم يتماشَ مع يديها الرقيقتين. ربما كان هالبيرستاد هو الفاعل في النهاية. سرعان ما استبعد الفكرة: هالبيرستاد لم يدخل إلى بيته ولم يكن بإمكانه العبث بحاسوبه.

قلب فيكتور عبر المخطوطة بسرعة واكتشف أن آنا نسخت المقابلة بالكامل. كل سؤال، كل إجابة، كل جملة كانت هناك. كانت نسخة مطابقة لعمله.

توجه إلى الحاسوب المحمول. كان من نفس طراز حاسوبه. اختفت شاشة التوقف بمجرد أن لمس لوحة الفأرة. أراد.. لا.. كان بحاجة لمعرفة ما تعمل عليه آنا.

نقر على مستند، كان الملف خاصًّا به. احتوى على الأسئلة من بونتي، في الواقع كان نفس المرفق الإلكتروني الذي أُرسل إليه.

وقع بصره على المخطوطة. نظريًّا، كان يمكن لآنا أن تسرق أحد ملفاته في برلين وتأخذ البيانات من حاسوبه المحمول، لكن حاسوبه لم يتم العبث به حتى مساء أمس، وكانت آنا في حالة سيئة. كيف تمكنت من نسخ المقابلة بسرعة وبخط يد ثابت؟

يبدو الأمر غير ممكن.

تذكر لقاءهما الأول؛ جاءت آنا من الشاطئ دون أي أثر للرمل أو الأوساخ على حذائها الأنيق، في حين أن المطر انهمر بغزارة وقتها.

أزعجه عامل الوقت. هل كان من الممكن لامرأة بشرية أن تملأ كل هذه الصفحات في فترة قصيرة كهذه؟ بدت المخطوطة أطول بكثير من ملفه الأصلي.

انزلقت الصفحات القليلة الأخيرة من أسفل الكومة وابتلع لعابه مصدومًا. لا عجب من الكم هناك؛ لأن هذا ليس عمله.

آنا مضطربة حقًّا؛ لأنها لم تكتفِ بنسخ إجاباته بل كتبت إجاباتها الخاصة.

بدأ يقرأ:

أشعر بالذنب حيال وفاة ابنتي. وأشعر بالذنب حيال انفصالي عن زوجتي. هناك الكثير من الأشياء التي كنت لأفعلها بشكل مختلف إذا أمكنني العودة بالزمن.

لم يكن يجب أن أفعل ما فعلته بزوجتي.

حدق في المقطع بذهول. من الواضح أن آنا تأخذ جانب إيزابيل. هل كان هذا دليلاً على مؤامرة؟ ولكن لماذا؟ ماذا يمكن أن يكسبوا من فِعل كهذا؟ أمل فيكتور في أن ينتهي الظلام، أن تهدأ العاصفة داخله، لكن الكلمات جعلت الأمور كلها أسوأ.

انشغل فيكتور بقراءة المقطع التالي حتى إنه لم يلحظ الخطوات خلفه.

كان يجب أن أستمع إلى زوجتي. عرفت دائمًا ما هو الأفضل. لماذا اتهمتها بالانقلاب عليّ، بينما أنا من دفعها بعيدًا؟ أرى الآن أنني كنت مخطئًا في لومها على ما حدث لجوزي. لو كنت قد وثقت بها فقط، لكانت جوزي بأمان.

قرأ فيكتور الجملة الأخيرة مرارًا وتكرارًا. عاجزًا عن الفهم، مهزومًا، تساءل إذا ما كان عليه أن يأخذ المخطوطة برمتها ويغادر.

لكن وقته كان قد نفد بالفعل.

***

49

- لابد أنك بالتأكيد استنتجت الأمر الآن؟

عرف الصوت على الفور وترك المخطوطة. الخوف قبض على حلقه مثل أفعى. كان مسدسه في مكان ما على مكتب هالبيرستاد، مدفونًا تحت كومة الورق. استدار تاركًا نفسه تحت رحمه آنا، ليكتشف أنها كانت مسلحة؛ كانت تمسك بسكين نحت حادة للغاية بإحكام حتى إن مفاصلها كانت بيضاء. لم يكن هناك شك في أنها كانت تنوي إيذاءه، لكنها بدت جميلة على أي حال، في الواقع بدت بخير تمامًا، منتعشة وجذابة ومهندمة كما التقيا في المرة الأولى، شعرها مرتب، بذلتها السوداء عانقت جسدها بعناية، حتى إنها أبرزت قوامها الجيد، وحذاؤها اللامع عكس الضوء. بدا من الواضح أنها تحسنت كثيرًا.

«لا تحاول البحث عني. سأصل إليك!»

قرر فيكتور أن يأخذ زمام المبادرة ويتظاهر بعدم ملاحظة تهديدها.

- مرحبًا، آنا. أستطيع مساعدتك، كما تعلمين.

قالت إنها مصابة بالفصام، لكنها ليست كذلك.

- لا تستطيع حتى مساعدة نفسك! انظر ما فعلت بحياتك؛ ابنتك، زوجتك، حياتك المهنية!

- ماذا تعرفين عن زوجتي؟

- انتقلنا للعيش معًا. إنها صديقتي المفضلة.

بحث فيكتور في وجهها عن علامات الجنون، لكنه لم يجد أيًّا منها. كانت تبدو أجمل من أي وقت مضى؛ مما زاد من الرعب الذي بثته كلماتها.

- هل تودين أن تخبريني باسمك الحقيقي؟

اقترح عليها على أمل أن يثير هذا رد فعل.

- أنت تعرف اسمي.

قالت وهي لا تزال هادئة تمامًا.

- اسمي آنا.. آنا جلاس.

- حسنًا، سأدعوك آنا لو أنك ترغبين في ذلك، لكني أعرف الحقيقة. عيادة بارك أخبرتني بما حدث.

ابتسمت له بسخرية.

- تحققت من العيادة؟ لم أدرك أنك تهتم.

- آنا جلاس لم تكن مريضة، كانت متدربة.. وهي ميتة.

- كم هذا مروع! كيف ماتت؟

أدارت السكين في يدها. انعكس ضوء مصباح المكتب على النصل، انبهر فيكتور مأخوذًا، ورمش.

- لم يخبروني.

قالها وقد قرر أن الكذب هو الخيار الأكثر أمانًا:

- من فضلك، لا تفعلي شيئًا متهورًا.

كان عقله يعمل بسرعة. قبل سنوات تعرض لتهديد من مريض قبل أن يضعوا زر الطوارئ تحت مكتبه. الوضع مع آنا كان أكثر خطورة، ولم يكن لديه وسيلة لطلب المساعدة.

- كان علي الالتزام بعدم مقابلة مرضاي في المنزل.

قرر أن يسلك نهجًا مختلفًا.

- ألم تخبريني بأن شخصياتك الخيالية تعود للحياة؟

- حقيقي يا دكتور لارينز.

أحتاج إلى إبقائها تتحدث حتى يعود هالبيرستاد إلى المنزل، أو حتى يحدث شيء.. لا يهم ما هو. بدا من المناسب اللعب على فصامها المزعوم.

- عندما اتصلت بي في وقت سابق قلت إنها عادت، كنت تقصدين واحدة من شخصياتك، أليس كذلك؟

أمالت رأسها لفترة وجيزة، إشارة فسرها فيكتور كإيماءة.

- هناك تفسير طبيعي تمامًا، لقد اعتقدتِ فقط أن شخصياتك تعود للحياة لأنك نسختِ مقابلتي.

- لا.

أجابت بحزم وهي تهز رأسها.

- لقد نسخت ما كتبته، واعتقدتِ أنك اختلقتِ ذلك، لكن الحقيقة هي أنني حقيقي. أنا وابنتي موجودان في الحياة الواقعية.

- أنت لا تفهم.

- آنا، من فضلك! الأمر بسيط تمامًا. أنا لست من نسج خيالك، أنا إنسان عادي. لم تخلقيني. الكتاب الذي كنت تعملين عليه كان قصتي، أنا كتبتها أولاً.

- أنت لا تعرف عن ماذا تتحدث!

ردت آنا بغضب فجأة. شقت الهواء بسكين النحت. تراجع فيكتور بضع خطوات واصطدم بالمكتب.

كان هناك بريق غاضب في عينيها.

- ألا ترى ما يحدث؟ بالتأكيد لم تَفُتْكَ العلامات!

- أي علامات؟

- تعتقد أنك ذكي جدًّا، أليس كذلك أيها الطبيب النفسي! تعتقد أنني اقتحمت منزلك، وتعتقد أنني سرقت ملفاتك، تعتقد أنني متواطئة مع زوجتك! حتى إنك تعتقد أنني اختطفت ابنتك! أنت لا تفهم، أليس كذلك؟ أنت حقًّا لا تفهم.

ما إن انتهت من الحديث حتى عادت إلى حالتها السابقة؛ امرأة شابة جميلة ترتدي ملابس محافظة بشكل غريب. اختفت القسوة والغضب من وجهها، وابتسمت له بهدوء.

- لا يهم.

واصلت.

- لم ننتهِ بعد. سأضطر إلى أن آخذ هذا الأمر لما هو أبعد.

إلى ما هو أبعد؟ إلى أي مدى هي مستعدة للذهاب؟

- ماذا تريدين مني؟

سأل، وقد بدأ يشعر بأن حلقه يضيق بالخوف. بالكاد يستطيع التنفس.

- تعال هنا، أريد منك أن تنظر إلى الخارج.

قالت وهي تشير بالسكين نحو الجزء الأمامي من المنزل حيث تطل النوافذ على البحر.

اتبع فيكتور تعليماتها. سألت:

- حسنًا؟

- هناك سيارة في المدخل.. فولفو.

تحدث ببطء، بتردد، مشككًا فيما يرى. كانت المركبات الخاصة محظورة في باركام والسيارة تبدو بشكل لافت مثل الفولفو خاصته التي تنتظره في سيلت.

- ألن تأتي؟

قالت آنا التي كانت عند الباب بالفعل.

- إلى أين؟

- سآخذك في جولة صغيرة. علينا أن نسرع؛ المحرك يعمل.

وضع فيكتور وجهه على النافذة ورأى أن شخصًا ما كان يجلس في المقعد الأمامي.

- ماذا لو رفضت الذهاب؟

سأل ناظرًا إلى عينيها مباشرة.

دون أن تنطق بكلمة، أخرجت آنا المسدس من جيب معطفها، مسدسه الذي بحث عنه على مكتب هالبيرستاد.

***

استسلم فيكتور للأمر المحتوم وسار ببطء نحو الباب.

***

50

كانت رائحة الفولفو من الداخل مزيجًا من شمع العسل والجلد الململمع حديثًا. بدت مماثلة لسيارته تمامًا؛ لدرجة أن فيكتور شعر بالارتباك أكثر من الخوف للحظة. قبل ثلاثة أسابيع، ترك سيارة من نفس النوع والطراز في موقف سيارات في سيلت. كل شيء في السيارة كان مألوفًا بشكل غريب، حتى التفاصيل الدقيقة. فكر في احتمال أن أحدهم قد نقل سيارته من سيلت، لكن ببساطة لم يكن هذا ممكنًا، خاصة في مثل هذا الطقس.

- إلى أين تأخذونني؟

سأل موجهًا السؤال للسائق المجهول، الذي جلس أمامه مباشرة ناظرًا إلى الأمام، وكذلك إلى آنا التي جلست في الخلف.

- في نزهة.

قالت باقتضاب. صفقت بيديها وانطلق السائق على الفور.

فكر فيكتور، يستحيل أن نتجه بعيدًا، كون باركام لا تحوي سوى طريقين فقط. في غضون ست دقائق، سيصلون إلى المنارة ويضطرون إلى العودة.

- إلى أين؟

سأل مرة أخرى.

- أنت تعرف إلى أين نحن ذاهبون، فيكتور. فكر قليلًا.

زادت سرعة السيارة. وعلى الرغم من هطول المطر بغزارة، لم يستخدم السائق المساحات.

- اقرأ هذا.

قالت آنا، وهي تناول فيكتور ثلاث أوراق مكتوبة بخط يد صغير على حجم A4. تعرف فيكتور على قلم الحبر الأزرق واستنتج أن آنا هي الكاتبة. أخذ المخطوطة بقلق.

- ما هذا؟

- الفصل الأخير من قصة شارلوت.. النهاية، ظننت أنك ترغب في معرفتها.

لاحظ أن الأوراق كانت محترقة عند الحواف. كان الأمر كما لو أن آنا أعادت الزمن إلى الوراء وأنقذت المخطوطة المحترقة من المدفأة.

- اقرأ!

أمرت آنا، وهي تلوح بالمسدس نحو الورقة. بدأ يقرأ.

الهروب.

- أليس من الأسهل عليك أن تخبريني ماذا؟

- استمر في القراءة!

قاطعته. بحزم، قرأ السطور الأولى:

مضت الليلة في فندق هايت سيئة. واصل أنف شارلوت النزيف، وكان على الاتصال بخدمة الغرف للحصول على

شراشف ومناشف جديدة. نفدت مني الحبوب، لكنني لم أستطع الذهاب إلى الصيدلية التي فتحت أبوابها بعد ساعات العمل؛ لأن شارلوت كانت خائفة من البقاء وحدها. بعد فترة غفت قليلاً. فكرت في طلب موظف الفندق لإحضار بعض البنسلين وعلبة من الباراسيتامول، لكن الأمر لا يستحق المخاطرة، ستستيقظ شارلوت فورًا عندما يطرق أحدهم الباب.

انطلقت السيارة فوق حفرة، باعثة بالماء في كل الاتجاهات، وألقى فيكتور نظرة سريعة إلى الأعلى. حتى الآن، لم تساعد المخطوطة في تفسير لِمَ هو أسير في سيارة مع امرأة مجنونة تجبره تحت تهديد السلاح على قراءة رواية مكتوبة بخط يدها عن أوهامها.

تدعي أنها مصابة بالفصام، لكنها ليست كذلك.

كما لو أن الوضع لم يكن سيئًا بما فيه الكفاية بالفعل، واصلت العاصفة ضربهم، وكانت الرؤية لا تتجاوز أربعة أمتار، ويبدو أن السائق، الذي كان أصم أو أبكم أو كليهما، كان مصممًا على تسجيل رقم قياسي جديد في السرعة. مضوا بسرعة كبيرة لدرجة أن المشهد عبر النوافذ التي غطاها المطر كان ضبابيًّا. لم يكن لدى فيكتور أي فكرة عن مكانه.

- استمر في القراءة!

قالت آنا بمجرد أن رفع نظره. أطلقت المزلاج لتظهر أنها جادة في الأمر.

- اهدئي، آنا. أنا أقرأ، صدقيني.

مرة أخرى استسلم فيكتور للأمر المحتوم، ومرة أخرى كان الأمر أسوأ مما يتخيل.

***

51

في صباح اليوم التالي، بعد أن تناولنا إفطارًا سريعًا، غادرنا الفندق وانطلقنا بالسيارة إلى المحطة. استقللنا القطار وهبطنا في فيسترلاند حيث انتظرنا نحو ساعة. في النهاية، أقنعنا صيادًا بائسًا بنقلنا إلى باركام . لم تخبرني شارلوت إلى أين نحن ذاهبون، لكن بدا لي أنها تريد إنهاء بعض الأمور العالقة. ربما بسبب عزلة باركام ، كان من المفترض أن يكون المكان الذي ينتهي فيه كل شيء.

عند وصولنا إلى اليابسة، شهدت شارلوت تحولاً بدا وكأنه معجزة؛ أشرق وجهها وبدت بصحة جيدة ومنتعشة، كما لو أن هواء بحر الشمال غيّرها. وكما لو أنها راغبة في تأكيد هذا التغيير، حرصت على تغيير اسمها. قالت لي: لا تناديني شارلوت، استخدم اسمًا آخر في جزيرتي الصغيرة.

- جوزي؟

قال فيكتور ناظرًا للأعلى.

ابتسمت له آنا.

- بالطبع. لا تخبرني أنك لم تعرف بالفعل.
- لكن هذا لا معنى له. لو لاحظ الناس إذا زرتِ باركام مع جوزي، لقال أحدهم شيئًا!

قالت آنا وهي تنظر إليه كما لو أنه مريض عقلي بحاجة للإرشاد المستمر:

- بالطبع كانوا سيفعلون. استمر في القراءة.

واصل فيكتور القراءة.

***

52

تبعنا طريقًا إلى كوخ على الشاطئ، على بعد عشر دقائق سيرًا على الأقدام من القرية والمرفأ. أخبرتني جوزي أن الكوخ ملك لوالديها. في عطلات نهاية الأسبوع يذهبون إلى ساكرو، لكن في الصيف وخلال الإجازات الطويلة يقضون عطلتهم في باركام .

حرصت على إشعال النار في المدفأة، وإعداد بعض الشاي، لكن جوزي كانت لديها أفكار أخرى.

- هيا آنا.

قالت وهي تجذبني من يدي نحو النافذة الأمامية التي تفضي إلى مشهد خلاب للبحر:

- حان وقت حصولك على الدليل الأخير.

أشارت للخارج.

- انظري هناك، هل ترينه؟ كان يتبعنا طوال الوقت؛ من ساكرو إلى برلين، من برلين إلى هامبورغ، من هامبورغ إلى سيلت، والآن هنا، إنه على الجزيرة.

استغرقت بعض الوقت لأدرك ما تعنيه، لكنني لاحظت حينها شخصًا صغيرًا يبعد خمسمائة متر عن المنزل.

أردت بشدة في أن أكون مخطئة، ولكن مع اقتراب هذا الشخص لم أستطع تجاهل الأدلة أمام عيني. جوزي قالت الحقيقة: الشر أقام معها في شوانفيردر، وقد تبعنا إلى الكوخ.

أمسكت بيدها واندفعت نحو الباب. لم تكن لدي فكرة إلى أين عليّ أن أصطحبها، لكنني علمت جيدًا أن علينا أن نختبئ. على بعد بضعة أمتار من الشرفة كانت هناك سقيفة في الحديقة حيث وُضع المولد. اندفعنا إلى الداخل.

التصق الهواء البارد والعفن بنا كرائحة التبغ القديم في كشك الهاتف، لكن أي شيء كان أفضل من الانتظار في العراء. أغلقت الباب بقوة في الوقت المناسب تمامًا.

الآن لم تفصلنا عن المرأة على الشاطئ إلا مئة متر.

كانت إيزابيل تتجه مباشرة نحو الشرفة.

لم يستطع فيكتور أن ينظر في عيني آنا.

- كنتِ تختبئين من زوجتي؟

- نعم.

- ماذا فعلت بجوزي؟

- ستعرف إذا واصلت القراءة.

كاد هدير محرك الفولفو أن يغطي صخب اندفاع الدم في أذني فيكتور. شعر بالأدرينالين يتدفق في جسده، كان هذا بفضل المسدس المحشو أو السرعة التي مضوا بها على الطريق غير الممهد، أو ربما كليهما. فاجأه أنه قادر على التفكير، ناهيك عن القراءة، بينما كانت حياته على المحك. شكر الله أنه لا يصاب بدوار السيارة، ثم وبّخ نفسه بعد لحظة لإضاعة الوقت في مثل هذه الأمور التافهة.

واصل القراءة.

***

53

لخيبة أملي، أدركت أن باب السقيفة يمكن قفله فقط من الخارج. في تلك اللحظة لم أكن أعرف ما الذي تخطط له إيزابيل، أو السلطة التي تملكها علينا، وما خططها بالنسبة لجوزي، لكن كان من الواضح أنها ستجدنا في السقيفة. الباب كان طريقنا الوحيد للخروج، لم تكن هناك نوافذ، وستتمكن إيزابيل من العثور علينا بنظرة واحدة. فكرت في الاختباء خلف المولد، لكن لم تكن هناك مساحة كافية بين المحرك والجدار الحديدي المموج. لحسن الحظ كان الضجيج مرتفعًا لدرجة أننا لم نقلق بشأن سماعنا.

- ماذا فعلت إيزابيل بكِ؟

سألت جوزي بينما كنت أبحث عن مخرج من ورطتنا.

- لا أستطيع إملاءك كل دليل.

هذه المرة لم تبدُ واثقة من نفسها.

- ليس لدي وقت لهذا. إذا كنت ترغبين في أن أساعدك، أحتاج أن أعرف ما نواجهه. فقط أخبريني ماذا فعلت لك.

قلت لها بصراحة.

خفضت جوزي صوتها إلى همس.

- لقد سممتني.

استدرت بسرعة، مقتنعة بأن شخصًا ما يقترب من السقيفة.

- لماذا؟

سألت وأنا أتسلل نحو الباب.

- لقد فعلت شيئًا خاطئًا. غضبت مني في ساكرو.

- ماذا فعلتِ؟

- نزفت على الأرض. لم يعجب ماما ذلك، قالت إنني كنت فتاتها الصغيرة. لا تريدني أن أكبر.

ترك فيكتور المخطوطة، فسقطت على الأرض عند قدميه.

- الآن هل ترى؟

سألت آنا.

- أعتقد ذلك.

تمتم فيكتور. فجأة أصبح كل شيء منطقيًّا؛ الدم في الحمام، السم، إيزابيل. لكن بدا الأمر غير واقعي. هل أرادت إيزابيل معاقبة طفلتها على النمو؟ هل حاولت جعل جوزي عاجزة ومعتمدة عليها؟ هل كانت مختلة بما يكفي لتسمم ابنتها؟

- ماذا تعرفين عن عائلتي؟

طالب فيكتور.

- لماذا كنتِ متورطة؟

- لا أستطيع إخبارك.

قالت آنا.

- كل شيء في القصة. يجب عليك مواصلة القراءة.

انحنى فيكتور وبحث في أرضية السيارة ليلتقط الصفحات الأخيرة من المخطوطة. كان بحاجة إلى الوصول إلى نهاية الكابوس الذي عاشه في السنوات الأربع الماضية.

***

54

فتحت الباب بقدر بوصة أو اثنتين وتراجعت إلى الخلف. كانت إيزابيل تقف على الشرفة، مسلحة بسكين نحت من المطبخ. تجولت عيناها عبر الحديقة، ثم نزلت ببطء من الشرفة.

أغلقت الباب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- كيف سممتك؟

- لدي حساسية.

قالت جوزي بصوت متهدج.

- الباراسيتامول والبنسلين يجعلانني مريضة. هي الوحيدة التي تعرف.

لم أتمكن من سؤالها أكثر لأن الوقت كان ينفد منا. علمت أنها تعتمد عليّ لحمايتها من إيزابيل، لكن لم يكن هناك مكان نختبئ فيه. كان من الصعب رؤية أي شيء في الظلام، ولم أرغب في جذب الانتباه بتشغيل الضوء؛ لذا أخرجت ولاعتي وأشعلتها. عادةً ما كنت أتجنب الاقتراب من مولد بلهب مكشوف.

حاولت ألا أصاب بالذعر، بحثت في السقيفة وجوزي تتبعني. كان عليّ أن أمسك بها حتى لا تفقد أعصابها وتهرب.

- لا فائدة، آنا.

قالت بهدوء.

- ماما ستجدنا وتقتلنا. لم يكن على أن أثير غضبها.

واصلت البحث وتظاهرت بأنني لم أسمعها، لكنني كنت أستعد لفتح الباب ومواجهة إيزابيل التي تحمل السكين.

سمعتها تنادي باسم جوزي.

- جوزي؟ أين أنت، عزيزتي؟ ماما قلقة.

كان صوتها لطيفًا بشكل غير طبيعي وقريبًا بشكل خطير. بدأت جوزي في البكاء. لحسن الحظ، غطى صوت المولد على الضوضاء. ألقت ولاعتي البلاستيكية الرخيصة هالة متذبذبة على السقف والجدران والأرضية. لمرات لا تحصى حدقت في المولد الصدئ، وأخيرًا وجدت الجواب. كان هناك أنبوب يخرج من الزاوية اليمنى السفلى للمحرك نحو الأرض. خزان الوقود!

كما توقعت، كان الخزان، مثل المولد، قد وضع قبل أن يهتم أحد بقواعد السلامة. كان الخزان في الحقيقة مجرد حاوية صناعية بقطر يقارب المتر، وقد وضع في قاعدة السقيفة؛ جوانبه بارزة بنحو عشرة سنتيمترات فوق الأرض. محميًّا بغطاء خرساني رقيق. كسرت القفل وحاولت دفع الغطاء جانبًا. في البداية ظننت أنني لست قوية بما يكفي، لكنني جربت مرة أخرى، هذه المرة ثبت كعبي على الحائط ووجهت طاقة خوفي ويأسي لتحريكه. نجحت، تمكنت من إحداث فتحة بعرض أربعين سنتيمترًا تقريبًا، كبيرة بما يكفي لتسعني وجوزي.

- لن أدخل الى هناك.

قالت جوزي وهي تقترب مني وتنظر في الظلام؛ حيث رائحة الوقود القديم المقززة.

- ليس لدينا خيار. ستجدنا.

قلت لها.

وكأنها تثبت كلامي، جاء صوت إيزابيل من خارج السقيفة.

- جوزي؟ تعالي إلى ماما! أين فتاتي الصغيرة المطيعة؟

***

كانت على بعد أمتار قليلة من الباب.

- لا يوجد ما تخشينه، جوزي. ثقي بي، حسنًا؟

قلت لها.

كانت متيبسة من الخوف، وبالتالي سهل حملها وإنزالها في الخزان. كان عمقه نحو متر ونصف والوقود يصل إلى نصفه فقط؛ لذا لم يكن هناك خطر من الغرق.

بمجرد أن تأكدت من أنها بأمان في الخزان، اندفعت إلى الباب وضغطت كرسي الحديقة القديم تحت المقبض. ثم أخذت عتلة من الحائط وحطمت المصباح العلوي. لأعمل في ظلام شبه الكامل، قطعت الأنبوب الذي يربط الخزان بالمولد، ودسست العتلة تحت الغطاء الخرساني ورفعت الغطاء في الهواء. كانت ركبتِي تصرخ عليّ لأتوقف، لكنني واصلت الضغط على العتلة وأخيرًا، بعد جهد جبار سقط الغطاء على الأرض بين المولد والخزان.

فكرة الوقوف في السائل العكر ملأتني بالخوف، لكنني حاولت ألا أفكر في الأمر وصعدت إلى الخزان. لو أنني تأخرت لبضع ثوانٍ أخرى لكان الوقت قد فات. بحلول اللحظة التي هبطت فيها وحاولت الحفاظ على توازني على القاعدة الزلقة، كانت إيزابيل عند الباب تهز المقبض.

- جوزي؟ هل أنت هناك؟

الكرسي منعها من فتح الباب، لكنني علمت أنه لن يبقى مطولًا قبل أن تجبره على أن يُفتح.

- ستراانا.

بكت جوزي وهي تدس يدها الملطخة بالزيت في يدي.

- لماذا حركت الغطاء؟

- كانت ستلاحظ أنه معلق على الجانب. فكرت في سحبه فوقنا، لكنني لست قوية بما فيه الكفاية. علينا فقط أن نأمل ألا تلاحظه على الأرض.

علمت أن التفكير بأنها لن ترانا كان سخيفًا؛ لم يكن لدينا فرصة. فُتح الباب بسرعة، مصطدمًا بجانب السقيفة. شعرت بتيار بارد عندما اجتاحت الرياح السقيفة وتدفقت عبر الأرض إلى مكان اختبائنا في الخزان.

- جوزي؟

من الواضح أن إيزابيل كانت في السقيفة، لكنني لم أستطع سماع خطواتها بسبب ارتفاع صوت المولد طوال الوقت. بحكم الظلام، كان الضوء الوحيد في السقيفة هو ضوء الشمس الآخذ في التلاشي؛ مما يعني أن إيزابيل لا تحمل مصباحًا. دعوت ألا تلاحظ الخزان المفتوح، أو ألا ترانا في الظلام. كان واضحًا ما سيحدث إذا قررت إيزابيل إشعال عود ثقاب، لكن حتى إيزابيل لم تكن لتفعل ذلك...

أمرت جوزي بالجلوس في القاع، وفعلت كما قلت. لم يبرز سوى رأسها فوق الزيت؛ كان باقي جسدها مغطى بالوقود البارد.

عندها سعلت، ليس السعال المعتاد المصحوب بالصفير، بل سعال حاد ناجم عن الرائحة السامة. أردت طمأنتها، لكن عندما حاولت مسح شعرها، تركت أصابعي خليطًا من زيت الوقود على فروة رأسها.

- لا تقلقي، سنكون بخير.

همست، لكن جوزي كانت لا تزال تبكي بشكل هستيري.

بحلول هذا الوقت كانت ترتجف وتبكي بلا توقف. وضعت يدي على فمها، تاركة مساحة كافية لتتنفس من أنفها. عضتني بكل ما أوتيت من قوة. شعرت بألم حاد في ذراعي، لكنني لم أتركها. كان عليّ أن أبقيها هادئة بينما إيزابيل في السقيفة.

كم من الوقت بقينا على هذا الحال؛ أنا واقفة وجوزي جاثية في الخزان ذي الرائحة الكريهة؟ لا أعرف بصراحة. كل ما أتذكره هو اللهاث من أجل الهواء والإمساك بالفتاة الصغيرة المذعورة بقوة بينما كانت ترتجف في الظلام. ربما مرّت دقيقة، وربما خمس؛ لم يكن لدي أي إحساس بالوقت. في مرحلة ما أدركت أن إيزابيل قد غادرت. كان الضوء الخافت قد توقف عن الانعكاس عبر الأرضية. لابد أنها أغلقت الباب.

تنفست الصعداء وأرخيت قبضتي على جوزي التي كانت تبكي.

- بابا، أنا خائفة.

همست بصوت متهدج.

أعجبني أنها نادتني بـ «بابا»؛ كان ذلك دليلًا على أنها وثقت بي.

- أنا أيضًا.

قلت وأنا أحتضنها بجانبي.

- لكننا بخير الآن.

ربما سنكون بخير فعلًا، انتهى الأسوأ ورحلت إيزابيل.

لكنني علمت أنها لا تزال قريبة - ربما في الكوخ، تبحث عن مصباح - لكن كان لدينا وقت كافٍ، وقت لنخرج من الخزان، ونجري إلى القرية، وندعو للمساعدة...

وقت للهروب.

لكن الأمور لم تحدث بهذه الطريقة. كانت جوزي مضطربة حتى إنها عجزت عن التزام الهدوء. كنا قد مررنا بتجربة مروعة، وكانت مجرد طفلة، ولم تستطع التوقف عن البكاء. شعرت بأنها محاصرة في الخزان الزلق ذي الرائحة الكريهة، وكان الظلام حالكًا هناك، أظلم من القبو. تحولت شهقاتها إلى صرخات تصم الآذان. لم أتمكن من فعل أي شيء لتهدئتها. كنا عالقين في الخزان ولم أستطع تهدئتها، لكن هذا لم يكن المشكلة الحقيقية. ما حسم مصيرنا هو خطأ ارتكبته قبل دخول إيزابيل إلى السقيفة. ما كان يجب أن أقطع أنبوب الوقود، لكنني أدركت العواقب الآن فقط. بدأ المولد بالتوقف، ثم انطفأ تمامًا.

كانت تلك لحظة سقوطنا.

من تلك اللحظة صار من الممكن سماع كل ضجيج من السقيفة في الخارج.

***

55

امتلأت عينا فيكتور بالدموع. طفلته المسكينة دُفنت حية في الزيت الكريه، ألقى نظرة على آنا، واستنشق رائحة الفولفو، وشعر باهتزاز المحرك يمر عبر جسده. عاد إليه كابوسه المتكرر، ولكن هذه المرة كان حقيقيًّا.

- ماذا حدث لها؟ أين هي؟

- أكمل القصة.

***

فُتح الباب هذه المرة، وبدون ضجيج المولد، سمعت خطواتها على الألواح. بدأت الخيارات تنفد مني. في غضون ثوانٍ، ستصل إيزابيل إلى مكان اختبائنا، وعلمت أنها يائسة بما يكفي لتسليط ولاعتها على الخزان. لم يكن هناك شيء آخر يمكنني فعله لضمان عدم إفشاء جوزي لمكاننا. غطست في وقود المولد وجذبتها معي.

تسلل الوقود عبر ملابسنا والتصق بأجسادنا مثل عباءة الموت. غطت وجوهنا طبقة لزجة من الزيت، وسدّت أفواهنا وأنوفنا وآذاننا. في تلك اللحظة، شعرت كأنني نسر بحري يكافح من أجل البقاء في مستنقع من السموم السوداء، محاولاً تنظيف ريشه الملوث، وغارقًا أكثر فأكثر تحت الأمواج القطرانية.

صرخت رئتاي من أجل الهواء، وأكثر ما رغبت فيه هو الصعود إلى السطح، لكنني أجبرت نفسي على البقاء تحت الوقود والحفاظ على الضغط على رأس جوزي. لم أكن أعرف ما يحدث في السقيفة. لم أستطع الرؤية، لم أستطع السمع، وكنت أفقد قوتي. انتظرت حتى لم أعد أستطيع البقاء أكثر، ثم دفعت جوزي نحو السطح وصعدت لأستنشق الهواء. توقعت أن أرى إيزابيل تقف فوق الخزان، لكنني علمت أنني بذلت جهدي. بقيت تحت الوقود لأطول فترة ممكنة، ولم يكن ذنبي إذا صعدنا مبكرًا.

لم نصعد مبكرًا.

كان الأوان قد فات بالفعل.

كانت جوزي ملقاة بضعف على ذراعي. مسحت الوقود عن فمها وفتحت شفتيها لتتمكن من التنفس. هززتها. رغبت في إعطائها قبلة الحياة، لكنني عرفت داخلي أنها رحلت.

ما زلت غير واثقة مما إذا كان الصدمة أم الزيت هما السبب في موتها، لكن هناك شيء واحد مؤكد: لم تكن إيزابيل هي القاتلة، كنت أنا.

***

رغب فيكتور في الصراخ، لكن صوته خرج بنبرة مبحوحة.

- هذا كذب وأنت تعرفين ذلك!

- لا، فيكتور، هذه هي الحقيقة.

قالت آنا ببرود. ألقت نظرة سريعة من نافذة الراكب. مرر فيكتور يده على عينيه. تنفس.

- أخبريني أنها ليست حقيقية.

- أخشى أنني لا أستطيع.

- لقد اختلقت الأمر. أنت مجنونة.

- نعم، أخشى أنني كذلك.

- لماذا تعذبينني؟ ما الهدف من أكاذيبك؟ جوزي ليست ميتة!

- إنها ميتة.

تقول إنها مصابة بالفصام لأنه أسهل من مواجهة الحقيقة. زمجر المحرك ونظر فيكتور للأعلى. كان يستطيع رؤية الأضواء في المسافة من خلال الزجاج الأمامي الملطخ بالمطر.

- لا تقلق، لن يستغرق الأمر وقتًا أطول.

مدت يدها لتأخذ يده.

- من أنتِ؟ كيف تعرفين هذه الأمور؟

صرخ فيها.

- أنا آنا.. آنا جلاس.

- أجيبي عن السؤال! ما اسمك الحقيقي؟ ماذا تريدين مني؟

كان الزجاج الأمامي مغطى بالماء؛ لأن الماسحات لا تزال متوقفة، لكن كان بوسع فيكتور أن يرى أن الأضواء كانت تقترب. عرف تمامًا أين هو. هو وآنا يسارعان على طول رصيف، متجهين نحو البحر المفتوح.

- أخبريني من أنتِ!

صرخ. كان يعلم أنه على وشك الموت، لكنه شعر كأنه صبي صغير بعد شجار في ساحة اللعب: بائسٍ، باكٍ محتقن الأنف.

- أنا آنا جلاس، وقد قتلت جوزي.

كانت الأضواء على بعد مئتي متر فقط. على بعد كيلو متر خلفهم كان الشاطئ، وأمامهم امتدت المساحة الشاسعة للبحر الشمالي البارد.

- من أنتِ؟

الحدة الهستيرية في صوته ابتلعها المحرك الهادر، الرياح العاصفة والأمواج الهائجة.

- آنا.. آنا جلاس. لم يتبقَّ الكثير من الوقت. عليك التركيز على ما يهم. لم تقرأ الصفحة الأخيرة.

هز فيكتور رأسه ورفع يده إلى أنفه. كان ينزف.

- كما تشاء.

قالت.

- لقد ساعدتك بما فيه الكفاية بالفعل؛ لذا ربما عليّ أن أكمل واجبي وأقرأ لك النهاية.

أخذت الصفحة الأخيرة من يده.

***

واصلت السيارة طريقها الحتمي نحو البحر وبدأت آنا تقرأ.

***

56

كانت جوزي ميتة. لم أرغب في تصديق ذلك، لكن لم يكن لدي خيار. تشبثت بجسدها الهش والخالي من الحياة وصعدت صرخة في حلقي، تتجمع في فمي وتضغط على شفتي، لكن حزني كان محبوسًا بفعل كمامة من الزيت اللزج. لم يكن هناك حاجة للاختباء بعد الآن، لم يكن هناك حاجة للاختباء من إيزابيل؛ لقد حصلت على ما تريده. جوزي، رفيقتي الدائمة خلال الأيام القليلة الماضية؛ جوزي، ابنتها، كانت ميتة.

وقفت وزحفت خارج الخزان. فتحت الباب، ومسحت الزيت عن فمي وناديت باسمها.

بهدوء أولاً، ثم بأعلى صوتي: إيزابيل.. إيزابيل! خرجت من الكوخ وركضت نحو الشرفة.

إيزابيل! لقد قتلتها!

توقفت منتبهًا لضجيج جاء من خلفي. أصدرت الأرض صريرًا في السقيفة. استدرت ورأيتها على الباب. في تلك اللحظة عرفت ما حدث: كانت هناك طوال الوقت. بقيت تراقب وتنتظر بينما أغرقت طفلتها الوحيدة.

ببطء مشيت نحوها. بسبب الزيت في عيني اليسرى بالكاد استطعت تمييز ملامحها. كانت المسافة بيننا بضعة أمتار عندما عادت رؤيتي فجأة. أخيرًا استطعت الرؤية بوضوح. أخيرًا فهمت.

مددت يدًا، يدًا ملطخة بالزيت، وأدركت مدى خطئي. منذ البداية، كنت مخطئًا تمامًا، ولا يمكنني لوم أحد سوى نفسي. الشخص أمامي لم يكن إيزابيل. كنت وجهًا لوجه أمام...

***

تلاقت نظرات فيكتور وآنا في اللحظة التي بدأت تتفوه بها بالكلمات كطعنات بطيئة.

ثم حدث كل شيء.

حلقت السيارة في الهواء نحو البحر وفي تلك اللحظة، انقشع الضباب ورأى فيكتور كل شيء بوضوح تام.

أنبوب الرادياتير. ضوء علوي. غرفة صغيرة.

أخيرًا فهم.

سرير بإطار معدني. سجادة رمادية. قطرات.

كان كل شيء منطقيًّا.

آنا جلاس!

اخترقت البصيرة جسده واستحوذت على عقله.

كنت وجهًا لوجه مع...

سقطت القطعة الأخيرة من الأحجية في مكانها: آنا. تستطيع قراءتها من الأمام والخلف، آنا في المرآة. آنا جلاس.

- أنا أنتِ.

قال. ومع ذلك، تلاشت السيارة من المشهد ووجد نفسه في غرفة مستشفى.

- نعم.

كانت هذه هي المرة الأخيرة التي يقفز حين يسمع صوته الخاص، شعر كأنه حيوان مذعور تعرف أخيرًا على انعكاسه في المرآة. كرر الجملة ليتأكد من أنه لم يكن مخطئًا.

- كنت وجهًا لوجه مع...

- كنت وجهًا لوجه مع... نفسي.

لم ينطق أحد بكلمة.

***

كان اليوم هو الإثنين 26 نوفمبر، وأشعة الشمس الشتوية الساطعة تتخلل قضبان الغرفة 1245؛ حيث كان الدكتور فيكتور لارينز، الطبيب النفسي السابق والخبير العالمي في الفصام، يتلقى العلاج من اضطرابات نفسية متعددة في عيادة فيدينغ النفسية الشهيرة في برلين. فبعد أربع سنوات من العلاج، وفي غضون أسبوعين من توقف الدواء، اختبر المريض أول لحظة من الوضوح منذ اختفاء ابنته.

***

هدأت الرياح، وتلاشت الغيوم والعواصف التي هزت المدينة خلال الأيام القليلة الماضية. كان عصرًا مشمسًا وباردًا.

***

57

بعد تسعة أيام في عيادة فيدينغ النفسية في برلين

كانت قاعة المحاضرات فارغة على غير المعتاد. وعلى المنصة وقف رجل صغير البنية ذو شعر رمادي يلقي محاضرة أمام رجلين جالسين في الصف الأمامي، محاطين بالكراسي الفارغة. كانت معظم القاعة -التي تتسع لخمسمائة مقعد- غارقة في الظلام، لكنّ صفًّا من الأضواء الكاشفة أضاءت المسرح. خلافًا للأوقات العادية، كانت أبواب المدرج مغلقة.

كان البروفيسور مالزيوس، مدير العيادة، بصدد نقل معلومات شديدة الحساسية لفريمان ولاهنن، اثنين من أفضل محامي الدفاع في برلين.

- قبل انهياره، كان الدكتور لارينز طبيبًا نفسيًّا بارزًا يدير عيادة ناجحة في وسط برلين. أنا متأكد أنكما على دراية بإنجازاته العديدة؛ لذا لن أستعرضها بالتفصيل الآن. يكفي القول إنه كان مؤلفًا للعديد من الكتب وضيفًا منتظمًا في الراديو والتلفزيون.

أومأ المحاميان برأسيهما وتنحنحا. تناول البروفيسور مالزيوس جهاز التحكم عن بُعد وأشار به نحو جهاز العرض. ظهرت صورة شخصية لطبيب شاب لافت للنظر في مكتبه، ثم

الصورة التالية. بدت ملامح الدكتور لارينز معروفة وواضحة، ولكن هذه المرة كان في حالة يرثى لها، ملتفًّا عاريًا في وضعية جنينية على سرير في المستشفى.

- عانى من انهيار عصبي بعد اختفاء ابنته. أدخلوه إلى العيادة مؤقتًا، ولكن حالته ساءت ولم يتعافَ بما يكفي لنقله أو إطلاق سراحه.

نقر على صورة أخرى. كان عنوانًا صحفيًّا:

لا يزال البحث عن جوزي مستمرًّا.

أربع سنوات منذ اختفاء ابنة الطبيب النفسي الشهير دون أثر.

- قبل أربع سنوات في نوفمبر الماضي، اختفت ابنة الدكتور لارينز البالغة من العمر اثني عشر عامًا. في الأشهر الأحد عشر التي سبقت اختفاءها، تطورت لديها مجموعة من الأعراض الغامضة. سبب مرضها، وطبيعة اختطافها، وهوية المسؤولين عن ذلك بقيت لغزًا...

شرح مالزيوس. توقف لبضع ثوانٍ.

- حتى الآن!

قاطعه أحد المحامين، رجل صغير بشعر أشقر مجعد، وقف على قدميه كما لو أنه يقول:

- اعتراض، سيدي القاضي!

- مع كامل احترامي يا بروفيسور مالزيوس، كنا نأمل أنا وزميلي في سماع شيء جديد. الوقت يداهمنا.

- شكرًا، سيد لاهنن. أنا أدرك أن لديك أنت والسيد فريمان جدول أعمال مزدحمًا للغاية.

- حسنًا. في هذه الحالة ستفهم قلقنا. من المقرر نقل موكلنا إلى جناح الطب النفسي في سجن موابيت في غضون ثلاثين دقيقة بالضبط. ستعقد الجلسة التمهيدية غدًا؛ مما يعني أننا بحاجة إلى التشاور مع موكلنا اليوم. بمجرد خروجه من هذه المنشأة، سيُعتبر قانونًا في حالة جيدة بما يكفي للمثول أمام المحكمة بتهمة القتل الخطأ أو ربما القتل العمد.

- بالفعل.

قاطع مالزيوس غاضبًا من مقاطعته في قاعته الخاصة من قبل شخص ليس لديه أي درجة طبية.

- إذا سمحت لي بالمضي قدمًا في التقرير، فربما تجد أنك تعلمت شيئًا جديدًا ذا صلة بالدفاع عنه.

زم لاهنن شفتيه وجلس مجددًا.

- لمدة أربع سنوات، كان المريض غير مدرك لما حوله.

واصل مالزيوس.

- عاش في عالم خيالي منفصلًا عن الواقع، ثم قبل ثلاثة أسابيع اتخذنا خطوة جذرية، وأجرؤ على القول إنها خطوة رائدة فيما يتعلق بعلاجه. سأختصر التفاصيل الطبية وأركز على النتائج.

أومأ لاهنن وفريمان بامتنان.

- أول شيء يجب فهمه هو أن فيكتور لارينز يعاني من حالتين مختلفتين: متلازمة مونخهاوزن والفصام. أفترض أنكما أكثر دراية بالحالة الثانية؛ لذا سأعرفكما أولاً بمتلازمة مونخهاوزن: تستمد المتلازمة اسمها من البارون مونخهاوزن سيئ السمعة. يكذب مرضى المتلازمة بشأن صحتهم للحصول على التعاطف من الأطباء والأصدقاء على السواء، عبر تظاهرهم بأنهم يعانون من الأعراض الجسدية، عُرف -عن تجربة- أن المرضى قد يتمكنون من إقناع أطبائهم بإجراء جراحات غير ضرورية، مثل استئصال الزائدة الدودية. قد يحاولون أيضًا إطالة فترة علاجهم بفرك البراز أو القيء في الجرح.

- هذا جنون!

تمتم لاهنن عابسًا. بدا زميله مذعورًا أيضًا.

- حسنًا، إنهم مرضى عقليون. المشكلة هي أن التشخيص صعب حقًّا. متلازمة مونخهاوزن أكثر شيوعًا مما يدركه معظم الناس. تم استخدام المراقبة بالفيديو في بعض المستشفيات للمساعدة في الكشف عنهم، لكنها لم تكن لتكشف مشكلة لارينز. كما ترون، كان لارينز يعاني من متلازمة مونخهاوزن بالوكالة، والمعروفة أيضًا باسم المرض المفتعل أو المرض المُحفز؛ مما يعني أنه تسبب في أعراض لدى شخص آخر، وهو ابنته.

توقف مالزيوس لقياس تأثير كلماته.

- لارينز وحده علم بأن ابنته كانت تعاني من اضطراب في الجهاز المناعي، واستخدم معرفته الطبية لتحقيق تأثير قاتل. فقد عانت جوزفين أو جوزي كما كان يسميها من حساسية شديدة تجاه الباراسيتامول والبنسلين، وقد أعطى لها كليهما بكميات متزايدة. أعتقد أنه يمكن القول إنها كانت الجريمة المثالية. استمر لارينز في وصف الباراسيتامول لصداع جوزفين والبنسلين لأعراضها الغامضة الأخرى، وظن الجميع أنه أب مثالي. لم يكن لدى عائلته وأصدقائه أي علم بحساسيتها؛ لذا بدا أن نظام الأدوية منطقي طبيًّا. كما اتضح، كان لارينز يضع ابنته في صدمة تحسسية. في المراحل النهائية، كانت الجرعات عالية بما يكفي لقتلها.

توقف مدير العيادة ليتناول رشفة من الماء.

- الجولات اللانهائية من المواعيد الطبية والاستشارات هي عرض نموذجي آخر للمرض المُحفز. في حالة لارينز، تم تحفيز السلوك المسيء بحدث وقع عندما كان هو وزوجته وابنته في إجازة في ساكرو. كانت جوزفين تبلغ من العمر أحد عشر عامًا في ذلك الوقت، وكانت العلاقة بين الأب وابنته وثيقة للغاية. كل ذلك كان على وشك التغير. جوزفين كانت بحاجة إلى مزيد من الخصوصية: بدأت تقضي وقتًا أطول في الحمام، وبدا أنها تشعر براحة أكبر في صحبة والدتها. كان هناك تفسير بسيط؛ بدأت دورتها الشهرية.

أصيب لارينز بالصدمة من هذا الحدث، من نمو ابنته. لم يستطع التعامل مع فكرة أن فتاته الصغيرة ستصبح قريبًا بالغة ومستقلة. حتى زوجته لم تلاحظ موقفه التملكي المرضي تجاه جوزفين؛ لذا لم يخطر ببالها أنه سيسمم ابنته عمدًا لمنعها من النمو. أعطاها الباراسيتامول والبنسلين لجعلها ضعيفة ومعتمدة عليه، وهو سلوك معتاد لهذا المرض. عادةً ما يرتبط المرض بالأمهات، إنها المرة الأولى التي أراها في رجل.

- هذا مثير للاهتمام يا بروفيسور مالزيوس.

قال فريمان مغتنمًا فرصته.

- ربما يمكننا التركيز على الجانب القانوني. في رأيك، هل كان الدكتور لارينز مسؤولًا عن أفعاله؟ لقد سمم ابنته على مدى ما يقرب من عام. ألا يتطلب ذلك التخطيط والتعمد؟

- ليس بالضرورة. لارينز يعاني من الكذب المَرَضِي، ومن متلازمة مونخهاوزن بالوكالة، وقد كذب بشأن مرض ابنته، لكن الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك. لارينز يصدق أكاذيبه؛ إنه موهوم. وهكذا نأتي إلى اضطرابه الثاني: الفصام.

نظر مالزيوس إلى فريمان ولاهنن قائلًا:

- سلوكه لا يتبع القواعد المعتادة.

***

58

كانت أبواب القاعة مقفلة؛ لذا اضطر الدكتور روث لمواجهة البرد والنظر عبر النوافذ الخارجية. قبل بضع دقائق، كان فيكتور قد وصل إلى نهاية قصته، وهرع روث إلى الطابق السفلي لمعرفة مكان المحامين. كان يأمل سرًّا أن البروفيسور يملأ آذان زواره بأحد شروحاته المطولة الشهيرة: الصعوبة المعتادة كانت في إقناعه بالتوقف. الأضواء في القاعة لا تزال معتمة وكان مالزيوس مستمرًّا في الحديث.

في الواقع، من عدد الصور المتبقية بدا أن مالزيوس والمحامين سيظلون مشغولين لمدة خمس عشرة دقيقة أخرى على الأقل، وهي مدة كافية لروث لتحقيق ما يرغب فيه، بشرط أن يتحلى بالسرعة. انطلق بعزم، متوقفًا بالصيدلية لجمع بعض الأقراص، ووصل بعد ثلاث دقائق إلى باب فيكتور. توقف للحظة ليلتقط أنفاسه، يعدل شعره وينظر من خلال ثقب الباب: لا تغيير. فيكتور، لا يزال مقيدًا إلى السرير، كان يحدق في السقف. تردد روث قليلاً، ثم اتخذ قراره وأدخل المفتاح الضخم في القفل. دوران سريع لليمين، وانفتح الباب المعدني.

- إذن، عدت.

رفع فيكتور رأسه قليلاً ومد رقبته ليرى الطبيب النفسي يدخل الغرفة، واضعًا يده اليسرى في جيبه؛ لذا لم يكن فيكتور متأكدًا مما إذا كان يحمل شيئًا أم لا.

- نعم، عدت.

- هل قررت مساعدتي بعد كل شيء؟

توجه الدكتور روث بصمت نحو النافذة وحدق في الظلام. كان الثلج يتساقط منذ الصباح الباكر، واستقرت رقائق الثلج مغلفة الساحة الخرسانية القبيحة بغطاء جليدي.

- هل حصلت على ما طلبته؟

- لا، لست متأكدًا بعد..

- هيا، دكتور روث، لقد سمعت ما حدث، وتعرف أنني على حق.

في داخله وافق روث، لكنه لم يرغب في المخاطرة بمسيرته المهنية دون تذكير فيكتور بالمخاطر التي كان يتحملها نيابة عنه. تردد.

- أعتمد عليك يا دكتور روث، ليس لدينا الكثير من الوقت. إنهم متأخرون بالفعل نصف ساعة.

- حسنًا يا دكتور لارينز، لا بد أنني مجنون للموافقة على هذا، لكنني سأفعل كما طلبت. أنت استأمنتني على قصتك، وبهذا سنكون متعادلين. لا تطلب مني فعل أي شيء آخر.

ترك روث علبة الحبوب في جيبه، سحب يده اليسرى وفك الأشرطة بمهارة. فرك فيكتور معصميه وكاحليه بامتنان.

- شكرًا، كان ذلك لطفًا منك.

- لا مشكلة. انظر، لدينا عشر دقائق على الأكثر، ثم سأعيدك إلى القيود. هل تريد الذهاب إلى الحمام وغسل وجهك؟

- لا. تعرف ما أريده.

- تريد حريتك.

- نعم.

- هذا غير وارد، تعرف أنني لا أستطيع فعل ذلك.

- لماذا؟ اعتقدت أنه بمجرد أن سمعت القصة كاملة..

- هل سمعت القصة كاملة؟

- بالطبع، أخبرتك بكل شيء.

- لست مقتنعًا بذلك.

هز الدكتور روث رأسه وتنهد بعمق مطلقًا زفيرًا مطولًا من أنفه.

- أعتقد أنك تخفي شيئًا.. شيئًا مهمًّا. تعرف عما أتحدث، أليس كذلك؟

- هل أعرف؟

قال فيكتور بابتسامة ماكرة.

- ما المضحك في كلامي؟

- لا شيء. تساءلت كم ستستغرق من الوقت لتسأل؟

***

59

سعل البروفيسور مالزيوس، وأخذ رشفة أخرى من الماء واستمر في محاضرته بنبرة رتيبة حفظها لأولئك الذين حظوا بالشرف والبؤس الكافي ليكونوا أطباء، أو مرضى، أو طلابًا بالعيادة.

- الفصام الذي يعاني منه لارينز جعله يعيش في واقع مختلف. في المراحل المبكرة من حالته كان متمسكًا بالعالم الطبيعي، ولكن بعد فترة أصبحت الهلوسات هي حياته. لم يكن واعيًا لما يفعله بابنته. كان ذلك نوعًا من آلية الدفاع: الهلوسات سمحت له بمواصلة إعطاء الباراسيتامول والبنسلين لجوزفين، معتقدًا أنها بحاجة إلى الدواء. لم يكن عليه التظاهر بأنه أب مخلص، بل اعتقد ذلك حقًّا، وكل ما فعله كان موجهًا نحو جعلها أفضل: فقد تخلى عن وظيفته. وانغمس في البحث عن علاج. اصطحب جوزفين لكل اختصاصي يمكن تخيله، مع استثناء واحد واضح: لم يأخذها لارينز إلى اختصاصي حساسية. كلما ساءت حالة جوزفين، ساءت هلاوسه. ثم تدهورت علاقته مع إيزابيل وأقنع نفسه بأنها كانت السبب في تدهور صحة جوزفين.

في الواقع، حتى إنه ذهب إلى حد اتهامها بقتل ابنته، بينما كان هو الجاني، وإن كان دون علم.

- بمعنى آخر، القتل غير المتعمد، وليس القتل العمد.

هكذا قاطعه فريمان، رجل ضخم البنية، يرتدي سترة كحلية بصفَّيْ أزرار مميزة. وكانت هناك سلسلة ذهبية تمتد من حزامه إلى ساعة جيب، وبدت بطنه بارزة فوق خصر بنطاله الرمادي.

- التعريفات القانونية هي من اختصاصك.

قال مالزيوس بنبرة تناسب أكثر طفل سيئ السلوك.

- مهمتي -كما أفهمها- هي توضيح الحقائق، وهذه هي الحقائق بقدر ما نعرف. ولكن إذا أردت رأيي، لا يمكن تحميل الدكتور لارينز المسؤولية عما فعله. بالتأكيد لم ينوِ قتل ابنته، أراد فقط منعها من النمو. ولم يكن ما حدث مخطط له: لم تمت جوزفين بسبب السم، بل غرقت.

أخذ جهاز التحكم عن بعد وتقدم إلى الصورة التالية. أظهرت فيلا لارينز في شوانينفيردر.

- منزل الدكتور لارينز.. مكان رائع حقًّا.

تحرك فريمان ولاهنن في مقعديهما وأومآ بنفاد صبر.

- في وقت الحادث، كان الفصام الذي يعاني منه لارينز قد وصل إلى مرحلة متقدمة؛ كان يعتقد أنه هو وابنته في عطلة في جزيرة صغيرة في بحر الشمال تسمى باركام ، بينما في الواقع كانا في الحديقة في المنزل. بدأت الهلاوس الخطيرة

عندما اقتنع بأن إيزابيل، التي كانت في العمل في ذلك اليوم كالمعتاد، كانت عند الباب الأمامي. كما ذكرت سابقًا، كان يرى بالفعل إيزابيل تهديدًا لابنته، وعند سماع صوتها حمل جوزفين وأخذها إلى بيت القوارب.

ضغط مالزيوس على جهاز التحكم وأشار إلى مبنى خشبي جذاب على حافة الماء.

- في هذه المرحلة كان قد أقنع نفسه بأن إيزابيل تنوي إلحاق الأذى بهما؛ لذلك أخبر ابنته بأن تبقى هادئة وتختبئ. شعرت جوزفين بالخوف بطبيعة الحال وبدأت في الصراخ. رد لارينز بوضع يده على فمها ودفعها تحت الماء. لسوء الحظ غرقت.

نظر مالزيوس إلى الأعلى ورأى المحامين يهمسان ويتمتمان. كان بإمكانه تمييز كلمات متفرقة مثل: «الفصل 20»، و»الرعاية النفسية».

- لو أن بإمكاني أن أسترعي انتباهكما للحظة!

قاطعهما.

- كما تعلمون، لست محاميًا، لكن أفهم أن الحكم سيتوقف على ما إذا كان لارينز ينوي قتل ابنته.

- إلى حد ما، نعم.

- يمكن حسم مسألة النية بالإشارة إلى حقيقة واحدة واضحة: لارينز أحب ابنته بكل قلبه. بمجرد أن أدرك ما

فعله، عانى من نوبة ذهانية ثانية. أراد بشدة إصلاح الضرر؛ جعل ابنته بصحة جيدة مرة أخرى، إعادتها إلى الحياة. في حالته الوهمية، اعتقد أنها لا تزال معه. وضعها في السيارة وذهب لرؤية أخصائي حساسية. كانت العيادة مزدحمة لدرجة أن لا أحد لاحظ أنه كان وحده. لم يكن هناك سجل لموعد، لكن تم إلقاء اللوم على موظفة الاستقبال الجديدة التي كانت تكافح لتتعلم قواعد العمل. بعد فترة، غادر لارينز غرفة الانتظار لجلب كوب من الماء، وعاد وبدأ يدعي أن جوزفين اختطفت. كان الدكتور غولكي، أخصائي الحساسية، صديقًا للأسرة، ولم يكن لديه ولا الشرطة أي سبب للشك في قصة لارينز. قبل أن يتمكن من مغادرة العيادة، انهار لارينز ووُضع في رعايتنا. لمدة أربع سنوات لم يستجب للعلاج. بطبيعة الحال، افترضنا أن المرض كان نتيجة للضغط الناجم عن اختفاء جوزفين، وقمنا بمعالجته وفقًا لذلك. على عكس توقعاتنا، لم يعمل العلاج. في الواقع كان له تأثير عكسي؛ مع مرور كل يوم بدا احتمال الشفاء أكثر بعدًا. بالطبع، لو كنا نعلم أن لارينز قد قتل ابنته، لتعاملنا مع الأمر بشكل مختلف تمامًا. لكن اعتمادًا على ما عرفناه، عالجناه من الاكتئاب، ولكن جعلته الأدوية أسوأ. فمعظم وقته الذي قضاه هنا، قضاه في حالة شلل تصلبي، غير قادر على الكلام أو الحركة. دون أن نعلم، كان يعيش في عالم خيالي على جزيرة باركام ، محاطًا

بشخصيات خيالية بما في ذلك كلب يدعى سندباد، وعمدة يدعى هالبيرستاد وعبّار يسمى بيرج. كما اعتقد أنه يعمل على مقابلة. من غير الضروري القول إنها كانت هلوسة.

- ما الذي يجعلك تعتقد أنه لائق للمثول أمام المحكمة؟ كان لارينز مريضًا حقًّا. لمدة أربع سنوات كان يعيش في عالم خيالي. قلت على الهاتف إنه أصبح بصحة جيدة بما يكفي للحديث معنا. ما الذي تغير؟

سأل فريمان قلقًا من نفاد الوقت. ألقي نظرة على ساعته.

- أنا سعيد لأنك سألت. دعنا نلقي نظرة على هذه الصور.

قال مالزيوس، ثم أدخل شريحة جديدة في جهاز العرض.

- انظر إلى تطور مرضه. ها هو في اليوم الذي تم قبوله فيه. كما ترى، هو مشوش، لكنه ينظر إلى الكاميرا، من ثم تدهورت حالته.

تغيرت الصور بسرعة.

- خلال المراحل الأخيرة انهار تمامًا. ها هو مستلقٍ في غرفته، يسيل لعابه ويحدق في الجدران.

سعل مالزيوس من جديد.

- حتى كشخصيات غير محترفة علميًّا، أنا واثق من أنكم ترون أن محاولاتنا لعلاجه كانت تجعله أسوأ. الأدوية، المحاولات العلاجية - لم يبدُ أن أي شيء يعمل. ثم اقترح أحد أطبائنا النفسيين الشباب، الدكتور مارتن روث، نهجًا

جديدًا لعلاج الحالة. بصراحة، كانت الفكرة غير تقليدية إلى حد ما، لكننا جربناها. أوقفنا أدوية لارينز.

- حسنًا، وما إن توقف عن تعاطي الأدوية...

قال لاهنن بحماس.

- بدأت عملية الشفاء الذاتي. لقد استمرت هلاوسه، لكن هذه المرة تمركزت حول مريضته/ معالجته الخيالية: آنا جلاس.

تابع مالزيوس مقاطعًا إياه.

أصدر لاهنن صفيرًا منخفضًا وتلقى توبيخًا بنظرة من زميله. كان الاثنان من الشخصيات البارزة في العالم القانوني، لكن كان من الواضح أن فريمان هو الأقدم بينهما.

- في البداية، أخطأ لارينز في اعتقاد أن آنا مريضة، لكنه تعلم في النهاية الحقيقة: كان هو المريض وهي كانت مستشارته النفسية. كان الدليل في اسمها: «جلاس» مثل المرآة، عكست سلوكه وأظهرت له ما فعله. أخيرًا استطاع تقبل وفاة ابنته؛ مما يجعله أول مريض فصامي يعالج اضطرابه بمساعدة هلوساته.

أضيئت الأنوار. أدرك المحاميان بارتياح أن المحاضرة قد انتهت أخيرًا. كانا متأخرين بساعة عن الجدول الزمني ولأفاد تقرير مكتوب بالقدر ذاته. لكن الوقت لم يكن قد ضاع تمامًا: حصلا على عدد من التفاصيل المفيدة التي ستساعد في دفاعهما عن موكلهما.

- هل هناك شيء آخر يمكنني مساعدتكما به؟

سأل الأستاذ وهو يفتح الأبواب ويشير لمستمعيه للخروج إلى البهو.

- في الواقع، هناك شيء أخير.

قال فريمان بينما أومأ لاهنن بحماس في الخلف.

- كان تقريرك مثيرًا جدًّا، ولكن...

- ولكن ماذا؟

قال الأستاذ مالزيوس بغضب، رافعًا حاجبيه في استنكار. لم يتوقع سوى المديح.

- فهمنا الحالي للأحداث يعتمد على المعلومات التي قدمها المريض بعد تعافيه من حالته الشلل التصلبي. أليس كذلك؟

أومأ مالزيوس.

- في المجمل نعم. لم يتحدث كثيرًا. كان علينا تجميع الحقائق.

قال الأستاذ لهم عبر الهاتف أن لارينز كان حذرًا أكثر خصوصًا في الأيام القليلة الماضية، ويرفض التحدث إلى أي شخص باستثناء الدكتور روث. ليس أن الأمر مفاجئ، لكن استحال معرفة ما جال في ذهن لارينز على وجه اليقين في اليوم الذي ماتت فيه جوزفين.

لم يشعر فريمان بالرضا عن الإجابة:

- قلت بنفسك إن الدكتور لارينز يعاني من الكذب المرضي. ما الذي يجعلك تعتقد أن قصته الأخيرة ليست اختلاقًا؟

نظر مالزيوس -الذي اعتبر السؤال مضيعة لوقته- من ساعته إلى الساعة الرقمية على الحائط ثم عاد إلى ساعته، وقال بحدة:

- لا أعتقد أنك تفهم طبيعة الطب النفسي. ليست هناك إجابة مئة بالمئة على أي شيء، لكن الرأي المبني على دراسة يقول إنه من غير المرجح أن يتظاهر مريض بمتلازمة مونخهاوزن بنوبة فصام لمدة أربع سنوات لدعم كذبة. الآن إذا لم يكن هناك شيء آخر، أقترح أن..

- لا!

قاطع فريمان رافعًا صوته قليلاً. لم تكن نبرته بالضبط وقحة، لكنها كانت كافية لإيقاف مالزيوس في طريقه.

- هل هناك مشكلة؟

سأل الأستاذ وهو يظهر انزعاجه الواضح.

- مجرد سؤال أخير.

عبس مالزيوس وحول نظره من فريمان إلى لاهنن ثم عاد مجددًا.

- ما هو؟ ألم تكن إفادتي شاملة بما فيه الكفاية؟

- لم تجب عن السؤال الحقيقي، السؤال الذي جاء بنا إلى هنا.

ابتسم فريمان ببراءة.

- أين الجثة؟

***

60

مكتبة
t.me/soramnqraa

قال فيكتور مصفقًا بيديه الهزيلتين:

- أحسنت! سؤال بديهي، ولكنك وفقت في طرحه.

- إذًا أين هي الجثة؟ ماذا فعلت بها؟

أصر الدكتور روث.

توقف فيكتور عن التصفيق، وفرك معصميه وحدق في الأرض. إضاءة الغرفة أعطت اللون البني للأرضية لمسة خضراء.

- حسنًا. ولكن أريد أن أعقد صفقة.

- تخبرني بنهاية القصة وأعطيك حريتك؟

- نعم.

- آسف، لكن لا أستطيع!

زفر فيكتور مطولًا:

- أعلم أنني أستحق العقاب؛ فعلت أسوأ ما يمكن لأب فعله، أحببت ابنتي أكثر من أي شيء في العالم، وقتلتها. قتلت طفلتي. لكنني لم أكن بصحة جيدة، وما زلت لست بصحة جيدة، ولن أكون أبدًا. ماذا سيحدث إذا قدموني للمحاكمة؟ ستستمتع وسائل الإعلام بيوم طويل، سأبقى محبوسًا لبقية حياتي، أو سأتعرض للعزل إذا كنت محظوظًا، ولكن هل سيصبح العالم أفضل بسبب سجني؟

هز الدكتور روث كتفيه.

- وجهة نظري هي: كيف سيستفيد المجتمع؟ نعم، ارتكبت جريمة قتل، لكنني لست شخصًا عنيفًا. يمكنك إطلاق سراحي الآن وأنت تعلم أنني لن أؤذي أحدًا مرة أخرى. لماذا؟ لأنني لن أستطيع أن أحب أحدًا بقدر ما أحببت جوزي. ألا تعتقد أنني قد عوقبت بما فيه الكفاية؟ محاكمتي لن تكون في مصلحة أحد.

هز روث رأسه.

- ربما لا، ولكن ماذا تتوقع مني أن أفعل؟ سأخرق القانون بهذا.

- يا إلهي، دكتور روث، أنا لا أطلب منك فتح الباب. ليس عليك أن تقلق بشأن هروبي بالمعنى الحرفي. فقط أعطني أدويتي وسأعود إلى باركام .

- إلى باركام ؟ بعد كل ما أخبرتني عنها؟ كان باركام كابوسًا!

- أصبح باركام كابوسًا عندما أوقفت أدويتي. قبل ذلك كان جزيرة أحلامي.

ضحك فيكتور على اختياره للكلمات.

- كانت الشمس مشرقة دائمًا هناك؛ هالبيرستاد يعتني بالمولد، مايكل يجلب لي الأسماك الطازجة، سندباد ينام عند قدمي، زوجتي تتصل بي كل يوم، تأمل أن تنضم إليّ في أقرب وقت ممكن. ولكن أفضل شيء كان وجود جوزي معي. كان كل شيء مثاليًّا. جاءت العاصفة لاحقًا.

في أعماقه، أراد روث مساعدته، أخرج يده من جيبه وأمسك بزجاجة الحبوب.

- لا أعرف. لن يكون ذلك أخلاقيًّا.

- حسنًا، إليك الحافز. سأجيب عن سؤالك، ولكن بشرط واحد هو أن تعطيني حبوبي أولاً.

قال فيكتور وهو يجلس في السرير.

- لا! أخبرني ما حدث لجثتها، وسأعطيك الأدوية.

أجاب روث وهو يمسح شعره بقلق فوق صدغيه.

- ألا أستحق بعض الثقة؟ أخبرتك قصتي دون وعد بشيء في المقابل. الآن دورك. أعطني الحبوب وسأخبرك أين تبحث. لن تلاحظ أي تغيير لبضع دقائق. سيكون لديك وقت كافٍ لمعرفة ما تريد معرفته.

تردد الدكتور روث بجانب سريره. ما يفعله يتعارض مع كل ما يؤمن به كطبيب، لكنه لم يستطع منع نفسه؛ كان عليه أن يعرف. أخرج يده من جيبه وأخرج زجاجة صغيرة من الحبوب تحتوي على الدواء الذي كان فيكتور يتلقاه في شكل حقنة كل يوم طوال فترة إقامته في العيادة، باستثناء الأسابيع الثلاثة الأخيرة.

- شكرًا.

عد فيكتور فورًا ثماني حبات ووضعها في راحة يده الشاحبة للغاية. شاهده روث بلا مبالاة، ولكن بمجرد أن صارت الحبوب في فم فيكتور، اجتاحته رغبة في استعادتها. لكن كان الأوان قد فات بالفعل؛ فقد ابتلعها فيكتور.

- اهدأ يا دكتور روث، أنوي الحفاظ على وعدي. اتخذت القرار الصائب. وعلى أي حال، لقد مرت ثلاثة أسابيع بالضبط، ألم يحن الوقت لأنتكس؟ لن يفكر أحد في إجراء اختبار دم، ومحاميّ سيتأكدون من أن لا أحد سيحاول. عملهم هو إبقائي خارج قفص الاتهام. سيجدني الأستاذ مالزيوس أحدق في السقف، وسيفقد ثقته في قدرتي على الشفاء الذاتي. لم يكن مرتاحًا لوقف الأدوية منذ البداية، سيعود إلى ضخ الأدوية في أوردتي.

- ماذا لو قرر تنظيف معدتك؟

- هذا خطر أنا مستعد للعيش أو الموت معه.

سقط فيكتور مرة أخرى على وسائده. كان قد ضاعف جرعته المعتادة، وظهرت الآثار واضحة في تنفسه المجهد وكلامه المتقطع. رفع يده المرهقة وأشار للدكتور روث ليتقدم. انحنى الطبيب النفسي حتى يتمكن فيكتور من الهمس في أذنه.

صُدم الدكتور روث من نظرة مريضه غير المستقرة. خائفًا من أنه على وشك فقدان الإجابة عن سؤاله، أمسك فيكتور من كتفيه وهزه.

- أين جوزي؟ ماذا فعلت بجثتها؟

ارتعش جفني فيكتور، ثم ركز نظره وحدق في عين الطبيب النفسي. عندما تكلم، كان صوته ثابتًا ومصممًا.

- استمع جيدًا.

اقترب الدكتور روث أكثر بقدر ما يستطيع.

- انتبه لكلماتي التالية التي سأخبرك بها، ستحقق لك نجاحًا فائقًا في مسيرتك المهنية.

***

الخاتمة

بعد ستة أشهر، في كوت دازور

كان الجناح 910 في فندق فيستا بالاس في روكبرون[1] يتمتع بإطلالات خلابة على كاب مارتن وموناكو، لكن هذا كان جزءًا فقط من جاذبية المكان، بالإضافة إلى ثلاث غرف نوم وحمامين، جاء المكان الفاخر مع مسبح خاص لتجنيب سكانها الأثرياء حرج السباحة مع الأفراد الذين لا يستطيعون سوى تحمل تكلفة غرفة عادية.

استرخت إيزابيل لارينز على كرسي بجانب المسبح. وبدلاً من تناول الطعام في المطعم، استغلت خدمة الغرف المتاحة على مدار 24 ساعة، وطلبت شريحة لحم مع بطاطا إيطالية وكأسًا من الشمبانيا. أحضر نادل يرتدي زيًّا أبيض الوجبة على طبق فضي وقدمها على طبق من الخزف. ذهب نادل آخر إلى الداخل ليجد كرسيًّا يتناسب مع طاولة الطعام المصنوعة من خشب الساج. لم تكتفِ إيزابيل بأثاث الحدائق العادي.

- مدام، هناك شخص على الباب.

---

(1) هي مدينة ساحلية على كوت دازور، بين مينتون وموناكو في جنوب شرق فرنسا Roquebrune.

- عذرًا؟

وضعت إيزابيل، التي انزعجت من المقاطعة، أحدث إصدار من مجلة الموضة جانبًا وظللت عينيها بيدها.

- مدام، هناك رجل يريد مقابلتك. هل ترغبين في أن أُدخله؟

- أعتقد ذلك.

قالت وهي تقف وتشير له بنفاد صبر لينتهي من الأمر. كانت جائعة، وقد طال بقاء النادلين أكثر من اللازم، وكانت تتطلع لتناول غدائها. أثناء انتظارها غطّست إصبع قدمها الكبير في المسبح ونظرت بانتقاد إلى أظافرها: حان الوقت لزيارة جديدة من معالج التجميل بالفندق إلى جناحها. اختيار لون طلاء أظافرها الذي وُضع الأمس سيكون مروعًا مع الزي الذي كانت تخطط لارتدائه الليلة.

- مساء الخير يا سيدة لارينز.

تأففت إيزابيل بداخلها واستدارت، رأت رجلًا غريبًا يقف عند الباب الزجاجي المؤدي للصالون. كان متوسط الطول، شعره غير مرتب، يرتدي ملابس أنيقة ولكن غير باهظة الثمن.

- من أنت؟

قالت وهي تفكر أين ذهب النادلان، عادة ما يبقيان للحصول على بقشيش، لكن هذه المرة اختفيا. ولم يقدما الخضروات أيضًا. تنهدت بعدم رضا.

***

- اسمي روث، الدكتور مارتن روث. أنا طبيب زوجك.

- فهمت.

قالت إيزابيل. لم تستطع الجلوس وبدء الأكل دون أن تطلب من الزائر الانضمام إليها؛ لذا بقيت مترددة بجانب المسبح.

- أنا هنا برسالة مهمة، شيء قاله لي زوجك قبل أن يعاني من انتكاسته الأخيرة.

- لماذا العجلة؟ بالتأكيد لم تسافر من برلين لتسلم رسالة؟ ألم يكن بإمكانك الاتصال؟

- إنها مسألة يجب أن نناقشها شخصيًّا.

- حسنًا، يا دكتور روث. يبدو الأمر هراء، لكن لو أنت مُصر.

أشارت إلى الكرسي بلطف مصطنع.

- هل ترغب في الجلوس؟

- لا، شكرًا، لن يستغرق الأمر طويلًا.

مضى الدكتور روث عبر الفناء، توقف في وسط العشب، وتمركز تحت الشمس.

- شقة جميلة.

- نعم.

- هل أقمت هنا من قبل؟

- لم أزر أوروبا منذ أكثر من أربع سنوات... اسمع، أعلم أنك قطعت مسافة طويلة، لكن هل يمكننا إنهاء هذا بسرعة؟ غدائي يبرد.

- انتقلت إلى بوينس آيرس[1]، أليس كذلك؟

تابع روث كما لو أنه لم يسمع.

- غادرت برلين بعد وفاة جوزي.

- كنت بحاجة للابتعاد، أي شخص لديه أطفال سيتفهم ذلك.

- بالفعل.

نظر إليها بتركيز.

- سيدة لارينز، اعترف زوجك بإحداث رد فعل تحسسي لدى ابنتك على مدى أحد عشر شهرًا، كما اعترف بإغراقها عن طريق الخطأ.

- المحامون الذين استأجرتهم أطلعوني على الحقائق.

- في هذه الحالة، ربما أخبروك أن اعترافه أثار انتكاسة خطيرة.

- نعم، لم يُظهر أي علامة على التعافي، بقدر ما أعلم.

- لكن لا أعتقد أنهم ذكروا موضوع حديثنا الأخير. ففي اللحظات الأخيرة قبل أن يعود فيكتور إلى حالة الشلل التصلبي، وافق على أن يخبرني بما حدث للجثة.

---

(1) عاصمة الأرجنتين

لم تُظهر إيزابيل أي علامة واضحة على الانفعال. مدت يدها نحو نظارات جوتشي الشمسية التي استقرت على رأسها وأنزلتها على عينيها.

- حسنًا؟ ماذا قال؟

قالت بثبات.

- نحن نعرف أين هي.

- أين؟

سألت.

روث، الذي درس وجهها بانتباه، اكتشف أول علامة على الانفعال. كانت شفتها السفلى ترتعش.

عبر العشب واتكأ على السور. كان الفندق يقع في أعلى جرف، على بعد مئات الأمتار فوق البحر.

- تعالي وانضمي إليّ.

قال مشجعًا.

- لماذا؟

- من فضلك، يا سيدة لارينز، ليس هذا بالأمر السهل بالنسبة لي. أفضل أن أخبرك هنا.

ترددت إيزابيل، ثم انضمت إليه عند السور.

- هل ترين المسبح الرئيسي؟

سأل وهو يشير إلى الشرفة المائلة أسفل منهما.

- نعم.

- لماذا لا تسبحين هناك؟

- بحق الله يا دكتور روث، لدي مسبحي الخاص. وبصراحة، أود أن نلتزم بالموضوع.

- بالطبع.

تمتم دون أن يرفع نظره. يبدو أنه كان يحدق في الناس في المسبح.

- الأمر هو أنني كنت أحاول أن أفهم ما الذي يفعله ذلك الرجل هناك.

أشار إلى شخصية ذات جسم رياضي يرتدي سروال سباحة أحمر وأبيض. رجل لابد أنه في أوائل الأربعينيات من عمره، يسحب كرسيه إلى الظل.

- كيف لي أن أعرف؟ لم نلتقِ من قبل.

- إنه يسكن في الجناح المجاور، وهو طبيب مثلي ومثلك، دفع ثمن شقة بمسبح... لكنه لا يبدو أنه يستخدمه.

- أنا على وشك أن أفقد صبري، دكتور روث. اعتقدت أنك تريد أن تخبرني بما حدث لابنتي، وليس لتشكك في عادات السباحة لأشخاص ليسوا ذوي أهمية!

- بالتأكيد. أعتذر. الأمر فقط..

- ماذا؟

صاحت إيزابيل وهي تزيل نظاراتها الشمسية وتحدق به بعينيها السوداوين.

- حسنًا، ربما يفضل المسبح الرئيسي؛ لأنه يعطيه فرصة للتحديق في الفتيات. يبدو أنه معجب بتلك المراهقة الجميلة ذات الشعر الأشقر، على بعد ثلاثة كراسٍ من اليسار، ليست بعيدة كثيرًا عن صنبور الاستحمام.

- هذا يكفي.

صاحت إيزابيل.

- ليس لدي أي اهتمام على الإطلاق بـ...

- حقًّا؟

وضع الدكتور روث إصبعين في فمه وأطلق صفيرًا حادًّا.

جذب الضجيج انتباه عدد من الأشخاص حول المسبح، بما في ذلك الفتاة الشقراء. وضعت كتابها جانبًا. عندما رأت الدكتور روث يلوح، ردت التحية.

- مرحبًا؟

نادت بتردد، ونهضت وأخذت بضع خطوات بعيدة عن الكرسي لتلقي نظرة أفضل. تجمدت إيزابيل عندما نظرت الفتاة أولاً إلى الدكتور روث، ثم إليها.

- مرحبًا. ماذا يحدث؟

صاحت بالإسبانية.

- من هو هذا الرجل، مامي؟

***

كما تنبأ الدكتور روث، حاولت إيزابيل الفرار فورًا. وصلت إلى أبواب الفناء قبل أن يقتحم أحدهم الشقة.

- إيزابيل لارينز، أنا أعتقلك بتهمة عرقلة سير العدالة، وللتزوير الجنائي

قال المسؤول الفرنسي.

- هذا سخيف.

احتجّت. وأُغلقت الأصفاد حول معصمها.

- ستندمون على هذا!

همهم الشرطي بشيء في جهاز اللاسلكي، وبعد ثوانٍ ظهرت مروحية تقترب من الفندق على بُعد مئات الأمتار.

- لا يمكن لأحد أن يعيب دهاءكِ يا سيدة لارينز.

قال روث متبعًا الشرطي إلى الخارج. واصلت إيزابيل المشي لكنه كان يعلم أنها تستمع.

- جوزي لم تغرق، كانت فاقدة الوعي عندما وجدتها. هرّبتِها من برلين ووضعتِها على متن قارب إلى أمريكا الجنوبية. انفصام شخصية فيكتور جعله عرضة للتصديق، وشجعتِه على الاعتقاد بأن جوزي ماتت. بطبيعة الحال، انهار عندما اعتقد أنه قتلها. بعد ذلك، كانت لديكِ السلطة القانونية ويمكنكِ المطالبة بثروته لنفسك. تولى محاميكِ الأوراق، وكان هناك ما يكفي من المال في البنك لإسكات الشائعات حول زوجة الطبيب النفسي وطفلتها الصغيرة - هذه هي

ميزة الأرجنتين، على ما أعتقد-. نجح الأمر لمدة أربع سنوات، لكنكِ ارتكبتِ خطأً، كنتِ مخطئة في إعادة جوزي إلى أوروبا. بعد اعتراف فيكتور، اعتقدتِ أنكِ في أمان.

***

قاد الضابط إيزابيل إلى الطابق الخامس وصعد بها إلى سطح فندق فيستا بالاس. كان مهبط المروحيات مخصصًا للاستخدام من قبل الضيوف الأثرياء، لكن ما شغلته حاليًّا كان طائرة هليكوبتر عسكرية تابعة للشرطة الفرنسية. حافظت إيزابيل على الصمت ولم تولِ أي اهتمام للأسئلة التي كان الدكتور روث يصرخ بها خلفها.

- ماذا أخبرتِ جوزي؟ هل أقنعتِها بأنها ستكون أفضل في بوينس آيرس دون أن تراقب وسائل الإعلام كل تحركاتها؟ كيف أحببت هويتها الجديدة؟ هل طلبت رؤية والدها؟

لم ترد إيزابيل. لم تُظهر أي اهتمام بالإجابة عن أسئلته، أو طرح أي منها. معظم الناس كانوا سيطالبون بمحام أو يتوسلون للحصول على الحق في وداع المراهقة التي واستها شرطية على جانب المسبح بالأسفل. لم تقل إيزابيل شيئًا واقتيدت بعيدًا دون مقاومة.

- زوجك كان مريضًا.

صرخ الدكتور روث، على أمل أن صوته لا يغرقه صوت شفرات المروحية.

- لكن أنتِ... أنتِ مجرد جشعة.

أخيرًا توقفت إيزابيل واستدارت. سحب الشرطي مسدسه على الفور. بدت إيزابيل وكأنها تقول شيئًا، لكن روث لم يستطع سماع ما تقول. اقترب خطوة واحدة.

- كيف اكتشف فيكتور؟

وصلت الكلمات إليه بصوت عالٍ وواضح.

- كيف اكتشف زوجي؟

آه، لقد عرف فورًا، فكر روث دون أن يرد. عرف فيكتور حالما اتضحت له الأمور وتمكن من التفكير. عرف قبل أن يسأله روث عن الجثة بفترة طويلة. لم تكتشف الشرطة أي دليل على جثة جوزي في بيت القارب؛ لذا خلص فيكتور إلى أن ابنته لم تمت. وإذا لم تكن جوزي ميتة، فلا بد أن أحدهم قد هربها. لم يكن من الصعب وضع أجزاء اللغز بجانب بعضها بعضًا.

إصرار فيكتور على العودة إلى باركام حيّر روث في البداية، لكن بعد ذلك أدرك أن مريضه أراد الانسحاب من الواقع؛ لأن ابنته كانت على قيد الحياة. كان خائفًا.. خائفًا بشكل رهيب.. خائفًا مما قد يفعله لابنته. تسبب لها في الضرر وكاد يقتلها، مرضه كان غير قابل للعلاج، وكطبيب نفسي كان على دراية تامة بذلك؛ ولذلك اختار المكان الوحيد الذي ستكون فيه جوزي آمنة منه: باركام.

- كيف اكتشف فيكتور؟

كررت إيزابيل، تكافح لجعل نفسها مسموعة فوق ضجيج شفرات الطائرة.

- هي أخبرته.

صرخ روث. للحظة فوجئ بسماع نفسه يقول بالضبط ما كان فيكتور يود أن تسمعه زوجته.

- أخبرته؟ من أخبره؟

- آنا.

- آنا؟

دفع الشرطي إيزابيل قليلًا وأمرها بمواصلة السير. تعثرت للأمام لكنها استمرت في النظر إلى الخلف. أرادت التحدث إلى الدكتور روث؛ لطرح سؤال أخير، لكنها كانت تبتعد عنه ولم يكن بإمكانه تمييز الكلمات. لم يكن بحاجة لذلك. استطاع قراءة سؤالها من حركة شفتيها.

- من هي آنا بحق الجحيم؟

كانت نظرتها غير المفهومة، العجز في عينيها وهي تشاهد المروحية تقلع، آخر ما رآه مارتن روث منها. كانت صورة لم ينسها قطّ.

***

ببطء، استدار واتجه نحو الدرج. وهو يهبط، علم أن التحدي الحقيقي لا يزال أمامه. في الأشهر القادمة سيواجه أول اختبار حقيقي لقدراته كمعالج.

كان هناك مريض جديد ينتظره، وكان من واجبه أن يخبرها بالحقيقة. لقد وعد والدها.

***

شكر وتقدير

أولًا وقبل كل شيء، أود أن أشكرك أيها القارئ، ليس لأنني مضطر لذلك، ولكن لأنني أعتقد أننا نشارك نوعًا معينًا من الرباط. القراءة والكتابة هما نشاطان فرديان وشخصيان بشدة، وأنا يشرفني أن أحظى بأغلى هدية في العالم: وقتك. خاصة إذا كنت قد وصلت إلى هذه الكلمات في قسم الشكر هذا.

ربما ترغب في إخباري برأيك في الكتاب. يمكنك التواصل معي عبر موقعي الإلكتروني: www.sebastianfitzek.de

أو إرسال بريد إلكتروني لي:

fitzek@sebastianfitzek.de

***

بعد ذلك، أود أن أشكر جميع من أسهموا في «صنع» شخصيتي، على سبيل المثال:

وكيل أعمالي الأدبي، رومان هوكي، الذي عاملني كأحد مؤلفيه الأكثر مبيعًا ولم يجعلني أشعر قطّ أنني مبتدئ.

وكيلة أعمالي في المملكة المتحدة، تانجا هوارث، التي فتحت الأبواب أمام بان ماكميلان؛ حيث تلقيت أحر الترحيب من ستيفاني بيرويرث ودانييلا راب، محررتي في لندن ونيويورك.

شكرًا لكما على كل جهدكما في تحقيق حلمي ونشر روايتي الأولى من برلين باللغة التي كتب بها أبطالي الأدبيون، أعظم كتّاب الإثارة في العالم. مترجمتي، سالي-آن سبنسر، التي قامت بعمل رائع وشامل في النسخة الإنجليزية لدرجة أنني أحببت الكتاب أكثر من قبل.

محررتي الألمانية، الدكتورة أندريا إم. مولر، التي «اكتشفتني» ولعبت دورًا كبيرًا في تشكيل الرواية.

صديقي بيتر برانج، الذي شارك بدون أي أنانية الدروس التي تعلمها من سنوات كتابة الروايات الأكثر مبيعًا، وزوجته سيربيل برانج، التي قدمت توجيهات وتعليقات ممتازة. كانوا كرماء جدًّا بوقتهم معي، وآمل أنني قد نجحت في اتباع نصائحهم.

أخي كليمنس، الذي ساعد في المحتوى الطبي. لا يضر أبدًا أن يكون لديك خبير في طب الأشعة العصبية في العائلة، وهو مصدر راحة لوالدينا أن أحدنا يعمل في مهنة «مفهومة»؛ لضمان عدم لوم كليمنس على أخطائي، يجب أن أوضح أنه لم يراجع مسوداتي.

كل كتاب يمثل ذروة رحلة طويلة، وبدأت رحلتي مع والديّ، كريستا وفريموت فيتزيك. أشكرهما على حبهما ودعمهما المستمر.

القصص لا تستحق السرد إلا إذا كان لديك شخص ترويها له. تستحق جيرليندي التقدير؛ لأنها استمعت إلى رواية «جلسة علاجية » بالكامل على الأقل ست مرات، وأعطت كل نسخة

جديدة موافقتها المتحمسة. بالطبع، قد تكون موضوعيتها مشكوكًا فيها بعض الشيء.

ثم هناك جميع أولئك الذين لا أعرف أسماءهم، ولكن بدونهم لم يكن هذا الكتاب ليخرج في شكله الحالي: المصممون الذين ابتكروا الغلاف الرائع، ومنسقو النصوص، ومسؤولو الطباعة، وبائعو الكتب الذين وضعوا الرواية على الأرفف.

ولا يمكنني إنهاء هذا الشكر دون توجيه الشكر لك، فيكتور لارينز، أينما كنت...

سيباستيان فيتزيك

أكثر الأيام المشمسة في السنة

باركام

***

مكتبة
t.me/soramnqraa

عن المؤلف

سيباستيان فيتزيك هو أحد أكثر كُتاب الإثارة النفسية نجاحًا في أوروبا. بِيع من كتبه ثلاثة عشر مليون نسخة، وتُرجمت إلى أكثر من ست وثلاثين لغة، وأصبحت أساسًا لأعمال سينمائية ومسرحية دولية. كان سيباستيان فيتزيك أول مؤلف ألماني يحصل على جائزة الأدب الجنائي الأوروبي. يعيش مع عائلته في برلين.

للتواصل معه عبر موقعه:

www.sebastianfitzek.com

أو إنستغرام: @sebastianfitzek

"روايات فيتزيك المثيرة تحبس الأنفاس ومليئة بالتقلبات المثيرة". - **هارلان كوبن**

"فيتزيك هو بلا شك أحد أكثر الروائيين إثارة للإعجاب في عالم الجريمة". - **كارين سلاتر**

"رواية إثارة ألمانية رائعة". - **ديلي تلغراف**

لا شهود، لا آثار، لا جثة.

جوزي، ابنة الطبيب النفسي الشهير فيكتور لارينز البالغة من العمر اثني عشر عامًا، تختفي في ظروف غامضة، ولا يزال مصيرها مجهولًا!

بعد أربع سنوات من اختفائها، ينسحب فيكتور إلى جزيرة نائية للتعامل مع مأساته. هناك يلتقي بامرأة غامضة تُدْعَى آنا تطلب منه علاجها من مرض الفصام. تبدأ الأحداث بالتشابك عندما تروي آنا قصصًا تتقاطع مع أحداث اختفاء جوزي، إن احتمالية الكشف عن الحقيقة تغري فيكتور بأن يصبح معالجًا لآنا. مع عودة الماضي إلى النور، أصبحت جلساتهم وعواقبها أكثر رعبًا.

COVER DESIGNED BY AHMED FARAG

بيت الكتب

www.thebookhome.com
bayt.alkotob.publishing@gmail.com
bayt.alkotob.publishing
baytalkotob.publishing

مكتبة
t.me/soramnqraa